

العصر الجديد

في

الاجتماع والنقد والخلق والآداب

بمقتضى

محمد يوسف المدرس

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهـراء

الى

الذين عرفوا الحق واتبعوه ، وأبصروا الهدى فاعتنقوه

الذين تنزهت نفوسهم من الاثم أنفة واستكباراً

والذين أعرضوا عن المنكر صادقين ونبذوا الرذائل . تمتعفين

الذين هم لأعراضهم وفروجهم حافظون

والذين يسكوتون عن اللغو بأعراض المؤمنين وتجريح أقدسية

المؤمنات ، سجيّة طبعت عليها نفوسهم فكانوا حقاً من الطاهرين

أرفع رسالتى هذه مـ

المدرک

فهرست الكتاب

- | | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ١ المتطور والتقاليد | ٧١ التطعيم ضد الحب |
| ١١ بين القديم والجديد | ٧٣ آلام العشق وقصص العاشقين |
| ٣٣ في الاخلاق ، أصل الفساد | ٦٧ الحب الشعري |
| ٣٦ وصف المومس | ٧٠ نابذوا الحب |
| ٣٨ آلام المومس | ٨٥ نجواهم |
| ٤١ حياة المومس | ٨٧ فساد العائلة |
| ٤٣ شعور المومس | ٨٩ الزواج |
| ٤٥ المحرم | ٩١ الغرض منه |
| ٤٧ الجمال | ٩٢ اعتقادهم في الزواج |
| ٤٩ الزواج | ٩٣ الثقة الروحية |
| ٥٠ من الجاني | ٩٦ شقاء العائلات |
| ٥٢ سرب الضلال | ٩٩ واجب الرجل |
| ٥٤ الخطوة الاولى | ١٠٦ واجب المرأة |
| ٥٥ الحياء | ١١٩ كيف تتزوج |
| ٥٨ الوعود | ١٢٣ الوسط |
| ٩ الحب | ١٢٥ دروس الزوج |
| ٦٣ حقه وباطله | ١٢٩ الالفة اليتيمة |
| ٦٥ ضحية الحب | ١٣٦ الخطبة |

١٤٤ الطلاق	١٩٩ متاعب الحياة
١٤٨ مجلس في قصص المتزوجين	٢٠٥ أيام وليالي الحظ
وقصة الزواج	٢٢٦ التربية. التربية الحيوانية ومنشأها
١٦٠ حد الزنا في غابر الازمان	وغايتها
١٦١ الآداب العامة - الادب	٢٣٤ التربية النفسية
١٦٨ المسرح العام	٢٣٧ الارادة
١٧١ الاغاني والالخان	٢٥٢ التربية المنزلية
١٧٤ النقد	٣٤٨ التراخي والشدة
١٨٣ المعاملات	٢٥١ التربية المدرسية
١٩٢ الحرية الشخصية	

جدول الخطأ والصواب

نعتذر لحضرات القراء الكرام لما نرط منا من الاغلاط المطبعية التي قل أن يخلو منها كتاب ، وما دفعنا الي عمل هذا الاستدراك إلا خشية أن يؤثر اهمال اصلاحها علي المعني فيشبهه ولنا الامل الوطيد في أن القارئ الراغب في الوصول الى حقيقة الموضوع سيعني دون شك في تدراكها قبل البدء في قراءته وسبحان من لا يسها

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
ممن هي عليه	ممن عليه	١٤	١
بها من سلطان	بها سلطان	٢	١١
يجحفونه	يجحفونه	١٣	٢٣
المأفون وصهبا	المأون وصهبا	٣	٣٦
بدليل	دليل	٩	٤٤
حناء	حناء	١٤	٤٨
الزبدة	الزبد	١	٥١
إزهارها	أزهارها	٧	٥٤
الرحمن الأزرق	الرحمن والأزرق	١٨	٦١
هي	هو	١٢	٦٤
جوى	جو	١٢	٨١
غدره	عذره	١٣	١١٢
الكفاءة	الكفاة	١	١٢٠
بقاها	بقاها	٢	١٤٥
جزاها	جزاء	١	١٥٦

الصواب	الخطأ	السطر	الصحيفة
متصنعا	متصنعا	٦	١٦٢
ذلك من مشقة	ذلك مشقة	١٦	١٦٦
يا أيها الرجل	ألا أيها	٧	١٧٥
الهزل	الهزال	١٧	٢٠٧
صفحا	صحفا	١٥	٢٤٤
لا تعقب	لا تعقب	١٢	٢٤٩
خفيا	فيخا	١٨	٢٤٩
فشبه	وشبه	١٧	٢٥٣

مقدمته

أقدم للقراء الكرام بحثا اجتماعيا أخلاقيا دفعني اليه حب الحقيقة وطلب الفضيلة مسترشدا فيما كتبت بالواقع الملموس والأمر المشاهد وخلاصة أقوال المتكلمين وأعمال الباحثين ، وغاية ما أرجو من كل من يشرع في قراءة هذه الآراء ، أن يتفضل أولا بحفظ آرائه بعيدا عن فكره حتي لا يكون تحيزه لرأيه أسبق الى تشويه الصواب والاستهانة بالصعب وله بعد أن يقرأه خالصا من كل ميل أن يحكم ويضع لنفسه ما شاء من النتائج والآراء . واني قبل كل انسان ما أقدمت على كتابة حرف واحد الا وأنا خالص من جميع المذاهب والآراء ولهذا قد لا أرضي فيما كتبت الرجل أو المرأة ولكني مقتنع بأنني أرضيت الحقيقة وعلى الله المستعان

محمد يوسف المدرك

التطور والتقاليد

لازلنا نرزع تحت أعباء كثير من التقاليد العادية والعادات البالية التي أورثتنا إياها غابر العصور وسالف الدهور وقد جر عليها البلى أذياله فرتقتها الخرافات ورقعتها المبتدعات فجاءت غير ما كانت تحمل اسما كان لمسمى لم يبق له أثر، تراجعت البدع حتي أزهدت الحق المتبع، وزاعت الخرافة الى أن لا بست الحقائق وطمست معالم اليقين

نعم، ان العالم دائم التبدلور دائم على التغير فهو مافتيء يرتدي لكل حين حلة لم يسبق له ارتداؤها ولم ير من قبل متدثر بها، وللزمان ولع شديد بتغيير أطواره وتبديل أحواله، فارجع البصر على ماغير من سنيه وانقضى من دهوره، هل ترى إلا أشياء متناكرة وأحوالا متنافرة وأطوارا متناقضة! حق لا يلابسه ريب ويقين لا يداخله شك، فأين من عبثوا البحر وقدسوه ممن خاضوه وسخروه! وأين من ألهموا العجل ورفعوه ممن أخذوه مطية فركبوه ثم ذبحوه فأكلوه، وأين من تزوج أخوته حلالا ممن رعى حراما حراما، الى غير ذلك مما لا يحيط به حصر أو يخلو

مته زمن أو عصر

فالتغير سنة الدهر ومنهج الكون ، حتي انك لن تري عادة أو عرفا رضية الدهر حليفا أو اتخذها أليفا إلا إلى حين وأجل قليل ، كأنسان لم يك شيئا ثم كان لظقة فعلقة فمضغة نخلق فسواء جعله جنينا فوليدا فصديفا فرضيعا فقطما فجحوشا فدارجا حتي الموت . ، أطوار عدة يتقلب فيها الانسان لا يرى في طور كمثل في طور آخر بل لن تلامه حال واحدة في طورين متعاقبين ، فانظر مثلا إلى ثيابه التي تزعها عنه حاجة الأبدان المتباعدة في كل حين وفصل . بالمثل كل ما حاطه من شراب وطعام ثم من حركة وتنفس وقعود ونهوض وديب ثم من كلام وعلوم وتفكير إلى غير ذلك من كل ما ماس حياة الفرد الصحيح ، وهكذا الدهر يبلى عاداته ويبدل أهله وأخلاقه ويغير معالمه وهيئاته ، ولا يبعد أن يصير ما كان مذموما ممدوحا وما كان مندوبا مقدوحا مطروحا

إلا أن المتدبر البصير اذا ما تمعن لوح الماضي رأى ان هذا العالم فلك حائر بين قوتين تتجاذبانه وسلطتين تتنازعانه والحرب بينهما فيه سجال ، فاذا ما كانت احدهما فائزة مالت به الى مأواها فالى أسفل سافلين أو أعلا عليين وفي أحط الدركات أو أسمى الدرجات . حتي اذا ما دار الزمان دورته وأصبح الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا اجتذبه الفائز الى يمته وجواره

فسعد أم شقاء !

وما هاتان القوتان إلا : النفس والعقل ، أو الشر والخير ، أو الشيطان والایمان . فاذا كان العالم في تقدم وارتقاء فاعلم ان الايمان قد ساد والعقل قد غلب والخير قد حاز النصر المبين ، حتي اذا قارب العالم ذروة الكمال انبرى الشيطان فضل الانسان وطمس العقل بسجف البدع وهباً له المنحدر بهرج الخرافات التي تخلب النفس وتثير الشهوات

وها هو التاريخ يحدثنا بأقوام بلغوا سنام الكمال وما لبثوا أن انحدروا هاويين مع ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم

والغريب أن دواعي الفشل والسقوط لا تنفشي في قوم إلا من أقوي طبقاتها وأرفع هيئاتها ، وذلك بأن تشغل بالعرض عن الجوهر فيشغلها الظاهر عن اللب وتحاول اذالك للتوفيق بين النفس والعقل (أو الهوي والواجب) فتغلبه على أمره وتسيره ، حينئذ تصدر عن هذه الهيئات فعال وأعمال لا تلبث العامة ان تأخذها عنها مخلقة الحقائق لا نصير لها ولا داعي اليها ، وما أسمع به لو وجد ! .

تندفع العامة وراء هذه الأعمال الشهوية ضاربه بالحقائق والفضائل عرض الأفق مقتدين بتلك الفئة لمكانتها من العلم أو الجاهد مثلاً ؟ فالدولة العربية العظيمة التي بلغت مالم تبلغه أمة من أمم الارض قاطبة لم يقض على مجدها الشامخ إلا التعلق بالعرض وحب المظاهر الأمر الذي

أودي بحقائق العلم وفضائل الحق وبدلها بضروب من البدع والخرافات
الواهية التي أتى بها قوم يحملون اسم العلماء ويتزيون بزى الفقهاء وليسوا
على شيء ، بذلك كان القضاء على العلم بمن لهم هيئة العلماء فنفضوا الخرافة
في العلم ولو ثوا الحق بالبدع ولا مشاحة في أننا نتعثر في أذيال متركوا

ونحن لن نخرج عن كوننا جيل من أجيال هذا الكون المتقلب
فينا مظهره الحالى وعلينا جلبابه العصري فكل ما تمسكنا به من عرف
قديم أو عادة عتيقة كانت شبه رقعة بالية في ثوب جديد وخرقة عادية (١)
في حلة غالية لأننا لا نمسك من العادة الا أثرا لعبت به الالهواء وعبثت
به أغراض الادعاء فلو تمته بما لم يكن فيه أو بتراته من خير ما كان فيه ا
ولا نكاد نرى في غيه أثرا من الرشد ، ولكننا رغم ذلك له تابعين وبحكم
التقليد متأثرين منقادين يعز علينا أن ننبد ما وجدنا عليه آباءنا الاولين
دون تفكر أو تدقيق ، ولو حاولنا ذلك كان لتبرير شهواتنا فنمسك بباطل
متركوا الاولين عن الحق وجوهنا

واننا لنرى المهازل (٢) العديدة على مسرح الشوارع والطرق العامة

(١) عادة قديمة

(٢) المهازل جمع مهزلة أي حادثة هزلية

من انتهاك حرمة كل عفاف وثلث سياج كل شرف ونبذ كرامة كل عرض
أمور طفح بها الكيل فأغرقت الطرقات تنعى إلينا السرائر والممكنونات
فكم من حادث زرفت لها مدامع الفضيلة وأنت من ألمها الإنسانية الجريح
وكم من أساة تمزقت لها أحشاء الشرف بخنجر الرزيلة فبكت لها عيون
الأعراض بدماع الشكوى والاستغاثة دون آبه لأن فيها الذي يذيب القلب
ولو من حديد ويلين الفؤاد ولو كان من صخر شديد .

والغريب أن لا تبدر هذه إلا من قوم كانوا أحق بأن يأتهم الناس
بهم ويأتسوا (١) بأعمالهم الكنههم والحسرة ملء قلوبنا قد حادوا عن الطريق
السوي فنبذوا كل قديم حتى الفضائل والأخلاق تعلقا بكل جديد من
رزيلة أو بدعة خرافية اتباعا لأهوائهم واسترسالا مع نفوسهم ، فأصبحوا
وهم أحوج من إليهم الغمر إلى مرشد يعظمهم لعلمهم يذكرهم

قالوا إنا لنرى عصر جديد لا تربطنا بسالف الأيام مشابة في الأحلام
أو العلوم وما لدينا من خير عميم كان السلف به جاهلين ، وقد حصلنا على
مالم يحصلوا ، وعلمنا مالم يعلموا فنحن في حل من عدم تقليد ما كانوا يعملون ،
لا ينبغي من وراء ذلك إلا إرضاء نفوسهم والنفس أماراة بالسوء ، فإذا
ما وجدوا فيما خلف السلف لذة أو سبيلا إليها انكفئوا عليها ولو كانوا

(١) أي يتخذونهم أسوة حسنة

فى ذلك ضالين ، يعيشون فى الارض فسادا ضارين الحق بشقشقة ألسنتهم حتى اذا قصرت حججهم قالوا إنا لمتبعون ! . والله يعلم أنهم لمبتدعون حالقوا الافك (١) وكانوا له ناصرين وكان عصرهم الجديد هذا عصر الشيطان وهم له موالون ، فياقومنا أفيقوا وانظروا الى أي سبيل أنتم مسوقون ، وقد ضرب الشيطان على قلوبكم وأنتم له راضخون ! . فيها كلمة صدق من أخيكم مخلصه لوجه الحق ابتغاء التذكيرة لمن كان يستحي ويرجو أن يكون مع الراشدين لعله يزدجر عن الاتم وصحبة الشيطان الرجيم لقد ألبس عليكم الشيطان أموركم فأخرجكم من دياركم الى مراتع الدعارة وحبب اليكم الفسوق فما زلتم تتبعون خطواته ولا خمر تكرعون (٢) والميسر عليكم سلطان مبين ، والفواحش ما زلتم ترتكبون وما من فاحشة الا ولها أنما وخطرها الجسم ينزل بكم وكأنكم لا تشعرون ! فهل جنون الحمر عليكم هين أم أنتم له ترجون ! وماذا يعجبكم من الميسر إلا الافلاس والتنابد وكرهية بعضكم بعضا ، وما فى الفواحش من خير قط بل كلها رجس من عمل الله طان لا يرضي بها وبأوضارها (٣) من له عقل سليم

(١) الافك هو الكذب والضلal

(٢) تكرعون أي تشربون ولا يقال يكرعون الا اذا شرب بفيه مباشرة دون

وساطة يده أو كأس كما تشرب البهايم

(٣) أوضار: أوساخ

إنا لا نرجو التمسك بكل قديم وقد دبت فيه روح الخرافة وسرت
إليه الأهواء. ولا نميل الى التعلق بكل جديد لمجرد كونه جديداً حتي
لو كان بدعة شيطانية فاسدة ! ولكننا نبتغي سبيل الرشd القويم وصراط
الحق المستقيم . ولا مشاحة أن الفضائل والخيرات ما برحت مع الزمن
مذ خلقه الله وما كان آدم عليه السلام الا أول هاتف بها ثم تعاقبت في
بنيه من بعده تتنازعها القوة طوراً والضعف آخر ، ويتبع قوتها رقي هذا
العالم وتقدمه نحو الكمال والعكس بالعكس ، فكل محاولة منا في نبذ تلك
الحامد أو التخلي عنها بعكسها هدماً لعمار هذا السكون ، وقد ظلت سياجه
ضد عاديات الفناء ورائده إلى سبيل التقدم والارتقاء الى هذا الحين

اني نظرت فلم أجد بيتاً لم تلوئه البدع وتندفع في مساربه الخرافات
والأوهام ، متأصلة في النفوس لها قوة المعتقدات وكأن ليس هناك
من حق !

تري الناس سراعاً يلبون دعوة الشيطان وقل من يبطلء إذا دعاه
خصوصاً اذا لم يستند على قوة من الحق .

وهناك الفضيلة المسكومة التي عملوا على أن يدوا جراحها بآثامهم
التي هم عليها دائبون . فزادوها ألماً على ألم ، وقل لها النصير !

ثم (١) على قلتهم انقسموا على بعضهم وتشعبوا وسط الساحة متخاذلين
قد شغلهم التقادح عن مواصلة السبيل ، حتي قام نفر من دعاة الشيطان
التصق كل فريق منهم بفريق من المصلحين وظلوا ينادون معهم بما ينادي
هم به حتي كأنهم من المصلحين ! ثم ما لبثوا أن انقلبوا على أعقابهم مع
أهوائهم ناكسين ، فضلوا وأضلوا الناس الا من عصم ربك وكان من
الراشدين ، يطنطنون بنغمة ساحرة المظهر سامة المخبر تصدع الرأس
ولا تهدي السبيل

فمن دعواهم التي بها يصخبون أن المرأة بلاء على الرجل في الدنيا
والآخرة وهي في نظرهم سبب كل بلاء وشقاء وجد في هذا العالم !!!
وهذه دعوة حق عليها الفشل فهم يأخذون بالجرم من لا يدفع أو يشفع
ويطلقون من ارتكب الاثم وعنه لم يقلع فكان مثلهم في ذلك . مثل حاكم
قدم عليه اثنان يحتكان في مال اغتصبه الأول من الثاني باعترافهما ، فحكم
ذلك الحاكم باجرام الثاني وبراءة الأول لأنه لم يقدم علي فعلته إلا
مدفوعا بطمعه الذي أثاره فيه منظر المال فاغتصبه ، وحق علي الثاني
العقاب لجله ما لا يثير الاطماع فيه !

فهل يرواكم هذا الحكم وهذا القانون ؟! تلك هي حال الرجل مع
المرأة ، إذ يعتدي عليها بما يعتدي ويسلبها ما يسلب ولا يدان بشيء لأن

طعمه دفعه الى ذلك ولا قبل له على مقاومة ذلك الطمع أما هي فمجرمة آثمة لأنها امرأة حملت للرجال فيها مطمعا !!!

ومن دعواهم أن زعموا العلم والحياء لا يتفقان (١) ومن لا حياء له لا أدب له ومن لا أدب له لا خلاق له ومن لا خلاق له أتى كل الدنيا وارتركب أسفل الموبقات دون رادع من علم أو زاجر من حياء ! اقل هل تستوي الظلمات والنور حتي يجتمع العلم والضلال وما العلم إلا رائد الكمال ونبراس الهدى ومنازة العرفان لا غني له عن حميد الخصال وشريف الخلال ولكنهم زعموا العلم فيما لا علم فيه فأعماهم الشيطان وساروا على غير هدى يتخبطون

الى غير ذلك من أمور كثيرة ينعقون بها وما هي إلا الشر المستطير والعجيب المزري أن كل ما صادف من نفوسنا هوى ولو من شر اتبعناه وتماديننا فيه وسائرناه حتي يستحكم في نفوسنا تطبعاً فنستره باسم خلاب ونعته باجزل الأوصاف حتي نصوره خيراً صديماً ، وهذا أشد بلاء علي أخلاقنا وأكبر فساداً في نفوسنا يفتك بنا فكاً ذريعاً ! لأن البسدة الفاسدة تصادف في نفوسنا دائماً مرعى خصيباً وتجدها من أحلامنا معقلاً أميناً فتلابس معتقداتنا وتطفو عليها وتشغل من نفوسنا أغلبها ومن قلوبنا جلها حتي تتأصل بها كالعقيدة الراسخة وقد تتخذ اسمها غالباً .

(١) فانك لا تكاد تظفر بمن حصل له نصيب من مبادئ التعليم وقد حفظ

قطرة من ماء وجهه وحيائه سواء في ذلك الفتي والفتاة

وتلك البدع القديمة والخرافات السقيمة ذات سلطان كبير على نفوسنا جميعا حتي نرى خلافها ممضا لنفوسنا مؤلما لقلوبنا ، ومن أصعب الأمور علي المرء قبول ما خالف رأيه وعادته ولو كان حقا، لهذا كان كثير من الناس لا يميلون لقراءة ما خالف آراءهم كأنهم لعدم يقينهم من عقيدتهم في شك من مقدرتها علي الثبات أمام رأي مخالف لآرائهم فهم يسايرون الواقع ويتخذونه حججهم ولو خالف الواقع الحقيقة مع أن الحقيقة غاية كل عامل وحصاد كل غاية. هي كعبة الباحثين ونشدة المجتهدين . ركيزة العلم وأساس العمران . طلبها من عاش ويطلبها من سيعيش . أما الواقع فأمواج لجة الظروف المرتطمة بأعاصير وانواء الحوادث فقد يوافق الحقيقة مرة وينبو (١) عنها المرار . وما الا نبياء والمرسلون والابطال والمجاهدون الا طلاب الحقيقة وناشري لوأها بين الناس . ولذا كانت الجماعات في تطورها اما الى النمو والارتقاء ان لا بست تقاليدھا الحقيقة أو الديمور والفناء ان سايرت تقاليدھا الواقع استسلاماً . ١ « إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني عن الحق شيئا »

بين القديم والجديد

« إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها سلطان »
« إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس »

لا يكاد يخلو بيت من بيوت أي طبقة من طبقاتنا من أحد رأيين متناقضين . لهما رغم تنافرهما وتباعدهما أثر كبير في الحياة العائلية .
فهناك الذين لا يزالون ينظرون إلى السلف كأنه قد فتح لهم مغاليق الحكمة الأزلية وأن يكشف لهم مكنونات العلوم وسطعت بين قلوبهم أنوار العرفان واليقين وأتوا كل ما أثره من علم فسيح ورأي رجيح وعقل صحيح فما قالوا إلا الحكم البالغة والكلام الصادقة لوقتها ومن كان هذا أمرهم وذى حالهم حق على خلفهم وأحفادهم ومن بعدهم أن يتبعوا خطواتهم ويسلكوا سبيلهم أعلمهم بهم يلحقون ومن نور هدايتهم يقتبسون وحرام عليهم أن يحيدوا قيد أنملة عن الأثر الذي خلفوه ورأيتهم والنهج الذي نهجوه وسنوه لمن بعدهم وأصحاب هذا الرأي هم جدى وأجدادكم وقد يكونون من أبي وآبائكم أيضاً . فللكلام عن رأيهم يجب أن أحافظ على آداب النبوة وإن

عدوني عاصيا ثم كافرا . وما أسهل أن يرموني بالكفر والاحادأبهم مع كل من يحاول معرفة الغث من الثمين مما يقولون ويعملون ولو لم يكن له أدنى مساس بالدين ؟!

فيا أجدادي المحترمين وآبائي الفاضلين : اني أقدم معكم ماتقدسون من أعمال وأقوال آبائكم الأولين الى حد أن تكون مقبولة لها الى العقل طريق ودليل وثيق . تنفع البشر والانسانية داعية الى الرشد والتقدم مع الناهضين لا تفت في عضد العاملين والمجاهدين بخرافة ليس لها من العقل ضمين . لأن السلف طيب الله ثراهم كان منهم العلماء والحكماء كما كثر بينهم الأدياء (١) والمنافقون الأشقياء الذين لم يدعوا علما حتي لو ثور بباطل أو هاهمهم وفاسد افتراءاتهم شأنهم في كل الأزمان وهم الذين لم تسلم من أكاذيبهم حرمة الخلفاء ولا مقام الملوك والأمراء . فكم سودوا من صحف كانت أدعى الى السخرية بظلماء الرجال وكبار الأبطال وانما الذي يؤلم القلوب ويدمى العيون هو تأثير العقول بهذه الخرافات والسخافات حتي كانت مضرب الأمثال وموضع الاقتداء يؤخذ عنها وما بها إلا السيئة تلو السيئة والمذمة تعقب المذمة والفرية السافلة تقدر الفرية الباطلة ! (فاللهم الغوث)
أمام القيت هذه الترهات (٢) الخرافية من رواج وزیوع وبقاء مع الزمن

(١) الادعاء جمع دعى وهو من ادعى ما ليس فيه نخاض فيما لا يعرف

(٢) هى الدعاوى الفاسدة الواهية السخيفة الباطلة الحقيرة

الى هذا الحين فيشهد على أن النفس أميل الى الشر وأرغب في الفساد .
ولا يخفى أن ضياع عز هؤلاء السابقين الأولين ذلك العز الأقمس وانهيار
مجدهم ذلك المجد إلا نفس مسبب عن الخرافة السقيمة التي قضت على الحق
فكانت قضاء على أهلها ونحاول نحن التشبث بها !!!

نعم ان العادة صعبة الاقتلاع والمألوف ولو خالف الحق أسهل في
الاتباع ! ولكن أليس من الخرق (١) ألا نكر أن نستلين عادة مألوفة فنبتع
خرافة معروفة أتباعا لقوم خاطئين قد لا قواجزاء خطيئهم فكانوا من
المالكين البائدين !

ان لكل زمان علماء مجاهدين مجتهدين لا يغمط (٢) حقهم الا مكابر .
وهؤلاء القوم هم كواكب الهدى ومنارات العرفان . وهم كماداتهم قليلو
العدد والذهر ضنين بهم شحيح بأعمالهم . يندر وجودهم في كل الأزمان
فرقتهم الأيام كما يفرق الليل بين أضواء النهار . لكن أعمالهم متواصلة
وعلمهم متتابعة متوافقة يتم كل ما بدأ به سابقه لهذا يبدأ العالم بدرس
نتائج سابقه وأعمالهم فيتم مالم يتم ويدعم ما تنقصه الحجة ويحسن ما يقبل

(١) الخرق نقص في القوي المفكرة

(٢) غمط أى لا بشكر أو ينكر

التحسين . على هذا النمط سار العالم من الوجهة العلمية .
وأنى وجد أجد هؤلاء العلماء زهى العصر وتقدم نحو الكمال . وتستمر العصور
من بعده فى الارتقاء ان ظلت على سنته محافظة ولا تارده واعية . غير أنه لا يكاد
ينيب نجمة الساطع من فلك الحياة حتى تتهم على أقواله المأولون
والمفسرون ومنهم من يعلم ومنهم من لا يعلم . وما أكثرهم . فيخرجون أعماله
الظاهرة النقية ملوثة بكل إفك وبهتان . وماهى الا جولة من الدهر حتى
يأتي قوم يضربون بالأصل عرض الأفق أولا يحصلون عليه فيحملون هذه
التأويل لمرض فى قلوبهم ! إذ يجدون فيها ما يبررون به أهواءهم ومطالبهم
وطريق لذائذهم وهؤلاء هم الذين بقضون على نور العرفان واليقين قضاء
مبرما تبقى الاجيال من بعدهم تتعثر فيه حقبا عديدة . وما نحن الا
احدي هذه الاجيال

وهؤلاء المأولون والمفسرون ومعهم الراوون والناقلون هم من تسكلم
عنهم لأننا لا نتصور للسادة العلماء الأجلاء من خطئ وقد حفظهم الله .
وقد قال ابن خلدون فى مقدمته قولا عن الناقلين فى علم التاريخ وحقا
على كل الراوين أن يقرع آذانهم قال :

« ان الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة »
« وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال فى الاجتماع الانساني »
« ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر منها بالذهاب فربما لم يؤمن »

« فيها من العثور ومذلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ما وقع »
« للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع »
« لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو ثميناً لم يعرضوها على أصولها »
« ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمقيار الحكمة والوقوف على »
« طبائع الكائنات وتحكيم النظر البصير في الأخبار . فضلوا عن الحق »
« وتاهوا في بيداء الوهم والغلط . اهـ »

وعلى هذا الشكل من الخطأ وصلت إلينا الخرافات الواهية والآراء
الدائخة (١) فأخذنا هلاً منها عن السلف وصلتنا وهذا من خطأنا لأن الواجب
أن ننشد الحق أينما كان في تالذ الأولين أو طارف المحدثين

وإنا لموردون بعض الآراء المنقولة إلينا في بعض العلوم وقد قامت
الأدلة للفساد على فسادها ولا ندري ان كانت حرفت الى ذلك أو
وضعت كذلك

في الجغرافيا والفلك

« ذهب وهب بن منبه الى أن الشمس على عجلة لها ثمانمائة وستون »
« عروة وقد تعلق بكل عروة ملك . يجرونها في السماء ودونها البحر »
« المسجور (٢) في موج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء . ولو بدت »

(١) الفاسدة

(٢) المسجور أي الملائن الطافح

« الشمس من ذلك البحر لا تحرق ماعلي وجه الارض من شيء حتي »
« الجبال والصخور . اه »

« روي عن كعب الأخبار انه قال : خلق الله القمر من نور والشمس »
« من نار . »

« قال بعض الذين تكلموا عن الكواكب أنها معلقة في السماء »
« بأيدي الملائكة »

« الرعد ملك موكب بالسحاب معه كر (١) من حديد يسوقه »
« من بلد الى بلد كما يسوق الراعي ابله فكما خالفه سحاب سباح به »
« فزجره فالذى يسمع هو صوت الملك . اه »

« الارض : يقال أنها كانت على ماء والماء على صخرة والصخرة على »
« سنام ثور والثور على كم (٢) والكم على ظهر حوت والحوت على »
« ماء والماء على ريح والريح على حجاب ظلمة والظلمة على الثرى والى »

(١) الكر هو الجبل

(٢) الكم : هو الكم لانى لم اهتم الى معرفته

«نهاية الأرب»

«الثرى انقطع علم المخلوقين» .

وقد اثبتت جميع العلوم أن هذه الاقوال ليس لها أدنى نصيب من

من الصحة .

في التاريخ

«مدينة إرم ذات العماد . وكان سبب عمارتها شداد بن عاد بن إرم»

«لما سمع وصف الجنة سوات له نفسه أن يبني مثلها . فبني مدينة بين »

«حضر موت وصنعاء طولها اثني عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك . وأحاط»

«بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع غشاها بصفائح الفضة الموهة (١) بالذهب»

«فلا يدركه البصر اذا أشرق عليه الشمس . وبني داخلها مائة الف قصر»

«(بعدد رؤساء اهل مملكته) من الذهب والفضة وكذلك جزوع سقوفها»

«وأعمدتها وأجري في وسطها نهرا صفيح أرضه بالذهب وجعل على »

«حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك»

«والعنبر بدلا من الحمأة . وفرع منه جداول الى تلك القصور والمنازل »

« وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهره عرف طيب ورائحة »

ذكية !!!

«ويزعمون فوق ذلك أن رجلا وقع فيها في عهد معاوية

(١) الموهة : المطلية

مع ان هذه الاوصاف التي تتخطى أبعد خيال لا يؤيدها شيء من طبائع الارض هناك من وجود المعادن الكافية لاقامة قصر واحد على هذا المنوال وقد قال ابن خلدون في مقدمته عن هذه الاكذوبة مافية الكفاية وهذا نصه : - « وصحارى عدن التي زعموا أنها بنيت فيها هي « في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا والأدلاء تقصص (١) طرقه من « كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الاخباريين « ولا من الأثمة. ولو قالوا أنها درست (٢) فيما درس من الآثار أشبه الا « ان ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول أنها دمشق بناء على ان « قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى أنها غائبة وانما يعثر « عليها أهل الرياضة والسحر مزاعم كلها أشبه بالخرافات . أه «

الأهرام :

« يقال أن هرمس المثلث بالحكمة (وهو الذي يسميه العبرانيون « أخنخ ، وهو ادريس عليه السلام) استدل من احوال « الكهنة على كون الطوفان ، فامر ببناء الاهرام وايداعها «

(١) تفص طرقه أي تتبع طرقه أو تجوبها

(٢) درست أعمت وباد أثرها

« الأموال وصحائف العلوم وما يخاف عليه الذهاب والذثور » . أه

نهاية الارب

فأين ادريس عليه السلام من خوفو وأين خشية الطوفان من الجبل الرابع من صرايم بن حام بن نوح عليه السلام (١)، اللهم ان كل هذا يشهد على أن كثيراً مما وصلنا قد أملاه الوهم وكتبته الأهواء دون تحقيق أو استناد، والتاريخ مفعم بأمثال هذه الأراجيف وعلى الأشخاص القصص الدينية التي تتكلم عن الأولياء بما لا يدخل عقلاً سليماً، إلا أن العامة تضطر أن تأخذها قضية مسلماً بصحتها خشية الأحاد ولا أنهم يميلون بسذاجتهم إلى الإيمان بكل ما ينسب للسادة الأولياء ولو خرافة واهية . فمثلاً تراهم يروون عن السيد أحمد البدوي من الخرافات والأكاذيب ما تشمئز منه النفوس ويتنافر مع العقل والكرامة ، ولو أردت زجرهم عن ذلك كنت في نظري ملحداً والعياذ بالله ، لأن هناك شذمة من حامل العمام فوق رؤسهم مازالوا يروجون أمثال هذه السخافات إذ بها يستدرون ضرع العامة ويملكون ناصية الجيوب

ومما نقلناه عن السلف : النذور للأولياء وتقديمها لهم وهذه النذور

(١) من المعروف أن الطوفان كان على عهد نوح عليه السلام وهو المعروف

هي القرايين بعينها، ولا قربان أو نذر إلا لله الواحد المعبود ، فيجب أن تكون لله خالصة ثم يوهب ثوابها للولي المقصود ، إلا أن هذا الرأي يؤلم السادة لابسى العمام كشيء فلا يحبونه ، وما هؤلاء السادة إلا حاملي لواء الخرافة ناشري رواق الأوهام يحضون العمامة على التضرع للولي المقبور (ولا تضرع إلا لله) حتي لثمت العامة القبور وسجدت لها بارشادهم !! فاللهم احفظ علينا ديننا وقنا شر كهنة قدماء المصريين وما كانوا يفعلون ! (١)

إلى غير ذلك من أمور كثيرة تنبؤ عن الحصر ولا يجمعها الذكر ، قد قاسمت جميع حركاتنا وسكناتنا ومعتقداتنا وأتت على أغلبها ، ومما أحب أن أشير إليه هنا أيضاً عبارة يزعمون أنها حكم لغوي قالت به العلماء وأرى أنني لا أستطيع قبوله ، نصها : خطأ مشهور خير من صواب مهجور ، مفاضلة غريبة جداً في بابها إذ كيف بفضل الخطأ الصواب . هما أضيف إليه من النعوت والأوصاف ، ومن الغريب أيضاً أن تكون الشهرة ميزان ومعياري الأفضلية وليس هناك من شك في أن عامة كل عصر أنعماف خاصته الذين يعنون بالصواب ويظهرونه من الخطأ ، ثم إن من الخطار الدائم على اللغة أن تخضع خاصتها خطأ عامتها إذ لا تدور

(١) كان قدماء المصريون يعتقدون بوحدانية الله ، ثم وضعوا الاصنام رموزاً وهياكلًا غير أنهم أكثر وأمن تعظيمها حتى اعتقدت العامة بألوهية الاصنام نفسها وإن بقي الكهنة عالمون بالسر الديني وستروهم حفظاً لسلطتهم واستبقاء لسيطرتهم على عقول العامة !

رحى الزمن مدة الا وتبدلت اللغة بلغة أخرى من التحريف والخطأ
وان قالوا أن هذا الحكم لعبارات حصرت لا تقبل الزيادة قلت أن هذا
أغرب فهو التماذي في الباطل بعد أن انبلج نور الحق والصواب
فهذه العبارة لا يصح نسبتها الى العلماء لأنها سببة لهم انما هي من
أقوال ذي وجهة لا علم عنده أو من مفتريات دعي لئيم يصعب على
نفسه الرجوع الى الحق وبمثل ذلك وصلتنا كثيراً من الآراء والعادات
المرذولة التي لا تقرها العقول .

ثم هناك الذين ينظرون الى كل جديد بشوق وشغف ، ويميلون
الى كل طريف ميل المحب الدنف ، فيتها الكون على الحديث باقبال ولطف ،
حتى تراهم يعتنقون البدعة سرا عا ولو كان في ذلك للفضيلة ضياعاً ، فلا ترو
خبير أو تمن بصير حتى لا يدركون ما فيها من جدوة أو ما بها من نعمة ،
ولربما عملوا بالبدعة الفاسدة التي تضرهم فيستهدفون خداعها ، خائعين
لبلائها وهم يتأفقون (١) لألمها وهم عليها دائبون ، وكأنه ليس لهم منها من
محيط ! ولا يبعد أن تكون تليدة (٢) عليهم لم تولد لديهم ، نقلها اليهم
شريد وأتاهم بها نازح طريد فحملوها عنه تقليداً لتقليد ! فهم قوم افقتنوا

(١) يتأفقون أى يقولون أف أف .

(٢) ولدت في ديار غير ديارهم ونقلت اليهم

بالجري وراء كل غريب جديد أوله اسم الجديد وعمره دهر مديد ، فلقد
خاصموا القديم واستهجنوه وعابوا الغابر واستقبحوه ولكنهم جهلوه ولم
يعرفوه ، فقصرت خصوصتهم على الاسم فنفروا منه أينما وجدوه ! فلو
أطلقتهم على ابن الغد لكرهوه ، فالقدم عار وسبة يودون لو يظهر من
كل حركاتهم وسكناتهم ويوتهم وما فيها ، ألم تر كيف يسرعون الى
(المودة) من كل شيء من بناء وثياب ومشى وكلام وجلس وقيام ،
ثم يرسلون الى (الأنتيكة) من كل شيء نفاذة استهزاء وسخرية ويتباعدون
عنه كل البعد كأنه بلاء داهم ووباء حاتم يفرون منه فرارا ويطلبون بعده
ليلا ونهارا .

جروا وراء مذهبهم هذا أو ساقهم شيطان هذه البدعة الى أبعد
مداها فودوا أن لا يروا على سطح الارض عتيقا أو قديما ولو كان
شخص أبيهم أو جدهم لأنه في نظرهم (دقة مصطفىاوي) وهو طبعاً
(مودة قديمة) أما عقلة فمن (بتوع زمان المغفلين الأنتيكة) فلم تصقله
المدنية أو تهذبة الحضارة العصرية ، وأغلب أصحاب هذا الرأي هم الفتيه
والفتيات من كل حدث السن غرير الادراك حتي يظنوا أنفسهم على
علم و«ذلك مبلغهم من العلم لأن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو
أعلم بمن اهتدى»

تراهم كل يوم في زي جديد وطرز حديث لا يبتغون من ورائه

منفعة أو مصلحة إنما (مودة) جديدة قد تضر وتؤلم وتمرض وتؤدي
مادياً وأدبياً ولكنهم لها يقدسون ولغيرها يحتقرون! (لأنها مودة)

ولو قصرت تلك الدعاية على طراز الاثواب لقلنا افتتاح غريب
بشبابه وحسنه وأهابه لا يلبس أن تمركه الايام ويزوي غصن شبابه
الوطيب حتي يمل التقمش والتجمل وتجره الظروف والاحوال على
اختيار ما يليق بحاجة بدنه ليقه ويحميه الا أن الخطب تخطي الاشكال
والهيئات الى الاقوال والمعتقدات وسرت تلك اللوثة الفاسدة من
الازياء الى الآراء، فأصبح المحدثون ينظرون الى قديم الآراء نظرة
استهجان واستخفاف حتي تهجموا على أقوال الراسخين والثقات فهابوا
الفضائل واستقبحوا الكمال ونبذوا الحقائق وأعرضوا عن البر والخيرات
ليس إلا لأنها قديمة من مخلفات السلف حتي اتراهم يمرون من تعلق
بأهداب الفضائل بينهم ويجهفونه، أما ترى كيف يضحكون ممن يصلي
بينهم ويقيم شعائر دينه ! ويتمكمون عليه وبالسنة حداد يسلقونه كأنه أتى
أمراً إداً، وآخر مافي جعبة سبابهم أن يرمونه (بالولاية) يظنونها عاراً
عليه أو أمراً دداً (١) وما يلقاها الا الذين شمروا لها كذا. فكم من فتاة
رمينها أخواتها بالجمود والتأخر لغفتها وكملها وتشبثها بظاهر الخصال

وشريف الفعال وطيب الاقوال ، ولكم سخرن من حياتها وهزئن من
خفرها لما في ذلك على زعمهن من منافرة طلاء المدينه الكاذبة الموهومة
فبئس تلك المدينه التي تمحوا الفضائل من نفوس أهلها ولا حبذا
ذلك الرقي والتحضر الداعي الى الفسوق والذائل الخاض على الفجور
والآثام ا

ألا إن المدينه لبراء مما يلصقونه بها وينسبونه اليها . فما كانت
المدينه مدينه الا نهجها بالعالم نهج التقدم والارتقاء على معراج الفضل
وسنة الكمال ولن يتفق هذا وما يقولون ويعملون فقد وهموا أن المدينه أمر
حديث طارئ على هذا الكون جهلا وضلالا إلا أنها عريقه في القدم
مع هذا العالم القديم وها صفحات التاريخ تنبيك أن مدينت العالم كلها
مذدب على سطح الارض انسان متشابهة متقاربة تدور حول محور ثابت
فارجع البصر الى مدينه قدماء المصريين وعلاقتها بمدينه بابل وآشور
وصور ومقدونيا ثم انظر الى مدينه الرومان والفرس والعرب والاعريق
ومدينت أوروبا الحديثه فكلاهما ترجع الى بعضها بعضاً اذ ليست المدينه
يا حضرات الرشقاء الظرفاء بالحديث الطريف أو الطراز الجديد انما
هى اتباع أرقى السنن العقلية المؤدية الى نمو الجنس البشري وتمتعه بأنتم
رفاهية ورخاء لا ترف وشهوة وبهاء . على ذلك ليس المتمدين الذي اتخذ
من حليه الظاهر أحدثها استعمالا اذا سلك مع ما هو فيه من زي

طباع الوحوش والبهائم وصفات الحشرات السامة ، فهذا متأخر دون شك سافل ولا ريب منحط في أسفل الدركات ، لأن المدنية مدنية أخلاق وآراء قبل أن تبدو على الظاهر والأزياء ، ولا قياس بالاخيرة على التقدم أو التقهقر ، فلو وجد قروى مصري أو زنجي سوداني وآخر ممن يسكنون المدن والحوضر قد تطربش وتقمط بشباب أفريقية ليس لنا أن نحكم على الاول بالوحشية والثاني بالمدنية لمجرد المظهر اذ لا يبعد - وهذا كثير الوقوع - أن يكون الاول على حقارة مظهرة أرقى بمراحل ومراحل من ذلك الشخص صاحب المظهر المدني ، ولكننا بليينا بتصديق المظهر واحترام الهيئة الخارجية وهذا أمر شائع فينا لا يكاد يختلف فيه الجاهل والمتعلم (من متعلمينا) ، حتي تري ان الابن يستنكف رفقة أبيه لأنه في غير ثياب التمدن !!! وليس التمدن بقاصر في عرفهم على الأزياء بل هناك فعال وأعمال ان لم يأتها الفرد منهم كان في نظرهم متأخرا . وكل هذه الفعال آثام ورذائل منكرة لا يسعنا ذكرها ولا نريد أن نسجل بقلمنا بعضها في صحيفة شباب مصر الناهض !! ويكفيك نظرة واحدة الى حياء ذلك الوسط الملقب نفسه بوسط التمدنين (المودة) لتعلم تمام العلم أنهم على غير هدى سائرون ، فتعالوا انظروا الى أى دركة تحطون أنفسكم يا أولى الألباب !!!

ان الاخلاق التي هي أول ركن من أركان هذا العمران هي أيضا

أدق. يزان لرقى أو دموور الحياة الاجتماعية، فإن أردنا الحكم على أمة استطعنا ذلك بنظرة دقيقة الى أخلاقها الاجتماعية

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وأما الأخلاق التي ترد لكل يوم سوء أعلى سوء حتى صاح كل امرئ وصيحة الفرع لما آلت اليه حانا وما هي هاوية اليه ، فانك لتسمع أنات الناس من تدهورنا الأخلاقى وتألمهم وشكاتهم من انحطاطنا الاجتماعى في كل مكان ومن كل شخص ومن المرتكبين وذلك لانهم يتألمون مما يعملون إنما هم مندفعون في تيار جارف من المزاعم الموهومة ، وكم طنطن بذلك بعض الصحف لكنها طنطنة كانت شبه أنة المحموم أو بكاء المسكوم وليس في ذلك ما يدفع الاذى أو يكشف الغمة

فأفة ذلك أنا اتخذنا لنا مثلاً أعلى (١) ليس بيننا وبينه أدنى مشابهة في

(١) المثل الأعلى : أن لكل إنسان آمالاً في هذه الحياة يسعى اليها ويرجو تحقيقها ، وهذه الآمال أما خيالا من بنات خياله كونها من جمع بعض صفات ظن فيها الحسن والكمال وأما تنحصر بالشبه بأحد الاشخاص الذين صادقوه فاستحوذوا على إعجابه وغاية هذه الآمال هو ما يسمونه بالمثل الأعلى . وليس المثل الأعلى لفرد من الناس ثابت دائما في جميع أحواله وتطوراته بل أن البعد بينه وبين مثله ثابت لا يتغير تقريباً لهذا لا ينفك الانسان يجري وراء المثل والمثل يجري أمامه بسرعة متعادلة وتفسير ذلك أن الانسان وقد وضع لنفسه خطة في حياته أى اتخذ لنفسه مثلاً وسار إليه ، ترى أن موضع المثل عند أفق بصيرته

الأحوال والظروف فأخطأنا اختيار ذلك المثل ثم كماله مقلدين لآعنه
ناقلين ، أى كان ههنا اقتفاء أثرهم الظاهر واتباع حركاتهم الفردية الشكلية
وفيهم دوت ريب الفث والشمين والمليح والقييح لأن بين أفراد
ذلك المثل من هو صالح ومن هو طالح ومن هو زكى ومن هو شقي
الأننا أحصبنا (١) فى تقليدهم وما زال بنفوسنا أثر من الخرافة والاهام التي
غرسها فينا التربية المنزلية الأولى فكان ذلك ادعى الى ارتباك واضطراب
بين القديم العالق فى نفوسنا والجديد الذى تدفعنا اليه شهواتنا واهواؤنا
لأننا لم نبغ عند تقليدنا اتباع الأصلح وما ينفع انما أخذنا ما وقعت عليه
أبصارنا برمته دفعة ضر أو أفاد ، فكنا كمن يحمل اثقالا لا يدرى أفيها شرا
له ام رشدا ، فمن ذلك ان يزعم القوم أن شرب الخمر من التمدن ودليلا
على الرقي والتحضر لانهم رأوا الغربيين وهم مثلهم الا على يحتسونها فشربوها
مثلهم وزادوا عليهم ليلحقوا بهم ، وما دروا هؤلاء التمساء ان الغربي ان
تجرع الخمر فلضرورة ليست لدينامن قرارص البرد ولوافح القر ، ثم انهم

وخياله فكلما اقترب اليه أمتد أمامه الافق ولازم المثل دائرة الافق دائما ، لان المرء
إذا خطا إلى مثله خطوة واحدة إمتد نظره الى ما هو أسمي من أفقه بخطوة واحدة
فكما أن الافق لا يدرك وأن اختلف بعده عند الناس حسب قوة نظرهم وضعفه
كذا انى لا يدرك وإن اختلف عند الناس حسب إختلاف آمالهم وأهوائهم .

(١) اسرعنا فى العدو حتى تطاير الحصى .

أى الغربيين لم يتخذوا الخمر لهمرا أو لعبا إنما شربوها دفعا ومقاومة لبرودة
طقسهم فليس لنا مثل عذرهم هذا لتبرير تجرعها ، واننا فى اتباعهم وتقليد
الاعمى كنا ولا شك ساعين الى اضرار ابداننا لما تسببه الخمر من افساد
الدم الحار ، هذا ونفس ازياءنا الغربية التى أرادتيناها أيضا حبا فى التقليد
لا تلتأم جو بلادنا وأيام الحر وما يلاقيه الفرد منا خير دليل ، ومع هذا
فقد أبوا المتفرنجون منا الا ان يحتقروا جلبابنا العادى وملابسنا الشرقية
الجميلة التى هى خير مريح للبدن الحار فحرموا أنفسهم حتى من التمتع
بلذة النوم فى بحبوحة ذلك الثوب الفضفاض ، ولا يخفى أن التدخين وأشباهه
انما هى وليدة بلاد الغرب انتقلت اليها عداوها مع النازحين وليست
الامور العملية هى كل ما أخذناه أخذ غرير غير متشد بل الآراء والافكار
فكم ترى من فتي ممشوق القوام آلق الهندام قد حشر نفسه وسط قوم
من الاقوام مناديا فيهم بكلام لا يمكنه أن يعرف حقا هو أم زورا وبهتانا
وتراه عيبا عن أن يقيم له حجة أو يعززه من لدنه يبرهان فما سنده الا أنه
ناقل - وقل أن يكون النقل صحيحا - عن أستاذ على الشأن من أبناء الغرب
أعجم اللسان ، وكأنه لا يارى أن النقل ليس بحجة ولا برهان ان لم يؤيده
قول صدق وبيان وليست المعجزة بمفخرة فلكل أمة لسان

وهناك كثير من الشباب يرددون أقوالا محرفة يسندونها الى كبار
الاساتذة والعلماء وما لهم بها من علم انما تسقطوا بعض عبارات الصحف

ولن تنفع شذرات الصحف لبناء الآراء والافكار ، ولقد سرت تلك اللوثة الفاسدة الى كثير من الصحف التي يديرها قوم غير متمكنين ففتناقلتها الألسن وتلبست بها الافكار !

ويغلب أن لا تأخذ عنهم الا ما صادف أهواءنا وشهواتنا من لهوهم ولعبهم فالعابهم انتشرت بيننا بشكل مريع بل هي العابنا التي لا نعرف سواها وكأن أهلنا الاولين كانوا أهل خمول وموت لم يعرفوا اللعب في فراغهم ولا الرياضة عقب أعمالهم ، وهذا محال -- وأزياؤهم هي أزياؤنا فكان زي أسلافنا عاقبهم عن التفكير أو التقدم ، أما أخلاقهم فما أخذنا الا أسوأها وأحطها تلك التي لا تتفق مع كرامة كبرائهم وعظمائهم ومفكرهم وان سرت فيمن دون ذلك وهي التي لا يمكن اتفاقها مع ما لنا من خصال شريفة وحمية كريمة لا توجد فيهم لانهم قوم يمكن القول بأنهم صغار العمر بالنسبة لنا فلا يكاد يرجع مبدأ شعورهم بالإنسانيتهم الى أكثر من ألف سنة مع أننا قد تقلبنا في أدوار عديدة منذ آلاف عدة ومن هذا كان من الضروري وجود خصال استأصلت بنفوسنا هي خلاصة تجارب تلك الآلاف البعيدة ، ومع ذلك فإن أبناء الغرب لهم من الاخلاق السامية ما يصعب على النفوس النزاعة الى الاهواء المنقادة للشهوات التخلق بها معتذرة بنشأتها التي تعوقها عن اتباعها فما تعجبوا من ذلك الذي يطأ كل تقاليد في سبيل شهوة أولدة ثم يتعلق بفاسدها امتناعا عن

المكارم والخيرات ، فالعربي سافل في كثير من أعماله وعاداته لكنه يحترم نفسه ويشعر ان لكل فرد هنا الحق فتراه يظهر الاحترام لكل أفراد هيئته دون أن يكلف ، أما عندنا فمن احترم نفسه شمع بانقة على بني جلدته حتي ظنهم أنعاما وود أن يطأطأوا ويحنوا له الرؤوس ولا يكاد يراعي لهم حقا أو واجبا ومن هذا كنا أكثر احتقار لبعضنا لبعض دون مسوغ أو عذر معقول فمن أين جاءتنا هذه الرذيلة ؟ هي خليط من الكبر التركي والشهامة العربية وعدم التعليم الصحيح الذي يهذب القوة المفكرة كذا فساد التربية المرتبكة المختلطة لكثرة ما انتابها من عوامل وتقاليد ، فقل أن توجد أمة في العالم منيت بما منيت به مصر منذ آلاف السنين من تعاقب المغيرين الذي يعمل كل منهم على تصويرها على شاكلة وغرس عاداته في نفوسها لتتعلق به وترسخ بذلك قدمه فلم يراع حاكم من الحكام تكوين روح قومية مستقلة في هذه الديار من مثبات السنين ومن هذا نشأت بالنفوس عادة حب تقليد أسيادها أو غالبها على أمرها على باطل كانوا أم على صواب ، وكثيرا ما يعمل الغاصب على تكوين روح مضطربة مفككة تكون معه على نفسها حربا مثل حالنا اليوم فمن أصعب الأمور علاج مثل حالتنا هذه المرتبكة بين شتي التقاليد والعادات وبما أنه ليس لنا قوة مفكرة حرة لوضع نظام أخلاقي ملائم لظروفنا كنا في أغلب تطوراتنا مقلدين ومتبعين مخطئين أو مصيبين

ألا أن هناك أموراً بدهية يمكن نسها حسيّاً دون كثير قول
أو تدليل يسهل على المرء إدراك فسادها وهي شديدة الخطر ذات بلاء
كبير . وقد ترجع إلى أصول حقيرة قل أن يعيها الإنسان فتراه كثير
التهاون فيها وكأنه نسي أن معظم النار من مستصغر الشرر وما طوال
النخيل إلا من صغار النوى فأكبر العيوب والنقائص الأخلاقية
والرزائل والآثام ترجع إلى جرثومة صغيرة قد لا تزيد عن كلمة واحدة
فالقاتل الذي يسفك الدم ويزهق الأرواح قد يكون في أول أمره صالح
أغضبته كلمة والغضب جنون فأقدم على الجريمة الأولى وما هي إلا أن
يتابع السبيل ، فكلمها ازداد إجراماً كلما غلظ قلبه وصار من المتوحشين
بالمثل كل صغيرة أو كبيرة لو تتبعنا تدرجها لرأيناها ترجع إلى كلمة أو إشارة
وهذا أمر مسلم به فكل معلول علة فالذين يحاولون علاج أو درس
المعلول نفسه بلا نظر إلى علته كان ولا شك محتوم عليهم الفشل ، ولقد
شاهدنا أن جميع من حاول إصلاح الحالة الاجتماعية باعتراض التيار المندفع
في إبان قوته قد حققت عليهم كلمة الفشل وباءوا بالخزي آفلين ، فواجبنا
أن ننقب عن علة الأمر وأسبابه فنبينها ونرشد إن أمكن إلى أقوم
الوسائل وأضمن السبل لتدارك الخطب وتلافي الخطر فإن النطاسي البارع
إذا تمكن من القضاء على جرثومة المرض في البدن أو على الأقل منع
نموها وانتشارها في مختلف أضلاعه كان ولا شك هو الأقرب إلى

الصواب ، وهذه الطريقة دون ريب أخف وأجدي وأدق وأتق وأقرب وأضمن للنجاح والفوز الأكيد ، وحسبك أن تري أن هذا الأمر البسيط الواهي الذي يمكن دون شك الاستغناء عنه في بساطته بسبب أخطاراً وأهوالاً حتي تعرض عنه كل الاعراض وتنبذه نبذ النواه أما إذا ترك حتي كبر هذا البسيط في نفسك لتعوده وألفته فيغدو دون ريب عصي النبذ مهما كان !

ولقد فصلنا كثيراً من الأمور من وجهة نظرنا هذه وما حصلنا عليه من التجارب العديدة التي يقوم بها الناس بعد أن ضربنا لكل امر مثلاً لا تكاد نخفي على عين من له بصر سليم

ولم اجد أمراً أشد خطراً من شبح (المودة) الجديدة وما هي الا مثال الرزيلة مموه بوشاح البدعة الخلاب وبرد الالهواء الجذاب فيبعد بالمرء عن مواطن الفضائل حيث قد زحزحة عنها مثال الخرافة القديمة التي ليست الى بدعة عتيقة لها من الشر ما لبدعة اليوم حتي لقد قضت على أهلها وأصحابها الاولين وها هي تفتح لاختها بدعة اليوم ، مغاليق القلوب الخاوية من نور اليقين فالحذر من البدعتين قديمها للوروث وحديثها المبعوث فمن كان يرجو حياة طيبة فليعمل عملاً قيمياً ولا يخبط في حياته وآرائه خلطاً بين القديم والجديد وليتبع طريق الحق فانه أجدي لمن ابتغاه وكان من الراشدين

المبحث الأول

في الأخلاق

الفصل الأول

لم يبق اليوم بمصر من لا يلتاع حزناً ويتفطر كمداً ويذوب أسى
كلما ألقى الطرف إلى ما انحطت إليه حالنا الاجتماعية الأخلاقية أذلاً
يكاد يفتح المرء بصره أينما كان أو يرسل بنظره حينما يكون ألا ويقع على
جرح دام في كبد النضيلة وسوسة ناخرة في صلب الآداب

انتهكت العفة على قارة الطريق ومزق الشرف على رؤوس الملاء،
وجعثن الفساد المورق اليوم بين ظهرائنا الآن المرأة الساقطة التي

هي أم الشر بنت المنكر أخت الفجر
هي أصل الفسق ورأس الخبث وحبّة الجريمة
هي ركاب الشيطان ودعامة اللوم وبذرة الكذب
هي أس المجازر وسبب المعارك ودليل المفاسد
هي سراب اللذة وكهف الآلام
هي سلم الدعارة وباب الخراب

هي الممثلة البارعة والمماكرة الخادعة

هي عاشقة الذهب وعبة الفضة
هي المتهكة المتجملة والمتبرجة المترنحة
هي المتنعة الطامعة والمتحبة المانعة
هي المبوقة المقنعة والأفعة المبرقعة
بل

هي الخادمة الذليلة والأمة الكسيرة
هي الشقية المعذبة والتعسة الحقيرة
هي الضالة الفقيرة والتائهة الضريرة
هي الخاسرة المفحمة والساقطة المرغمة
هي الفريسة الملوثة والتاجرة المذمومة
هي الكارهة الصامتة والمتألمة الساكتة
هي المسكينة الظالمة والحزينة الباسمة
هي الميتة التي تسمى والقطرة التي تهوى فالي حمئة من طين تصير

هي المحاسبة التي ليس لها حساب
ف

هي المسروقة السالبة والمقهورة الغالبة
هي المخذولة الغائمة والمذبوحة القاتلة

هي الوردة الناضرة التي سقطت تحت أرجل الكلاب والخنازير
بل

هي راح المأمون وصبياء المجنون
هي حظ المغرور وأنس المضرور
هي خصيمة الفضيلة وحليفة الرذيلة
هي ضد الآداب وند الألباب

هي مثال الزينة البهرج وعروس (١) التبرج
مع أنها صاحبة الفؤاد الكسير . والنفس المعذبة والقلب الضال
والوجدان الخامل وهي ليست فقط الساقطة بعلم القانون وبتصریح
منه وتحت حمايته اذ هي كل من خدشت عفافها بأى وسيلة وعلى أي شكل

— ٢ —

كثير الفسق وعم الفجور وانتشر الزنا في البر والبحر ، أى كثر
الزانون والزانيات وكل زانية هي مومس وانتشار المومسات انتشاراً
فظيماً تخطي كل حد في هذه الايام يرجع (اللوم) فيه على الرجل ،
نعم . فلم تولد المومس مومساً ولم تكن من يوم نشأتها مومساً بل
أحتكت بها ظروف وأحوال هي التي خلفتها مومساً وهذه الأحوال
وإن لم تكن واحدة إلا أن أساسها واحد ألا وهو : الرجل

(١) هي أجيعة بمحلات الثياب تضع مختلف الازياء أمام المشتري

غريب جداً علي مسامع الرجل أن يسمعني أصرح بملء في أنه سبب بلاء
تلك التمسمة طبعاً غريب جداً أن يسمع ذلك بينما هو يصخب بأعلا صوته
أنها علة شقائه ونحسه ، وأغرب من ذلك أن يتنصل من الاتم وينكره
بعد أن يري ويلبس البراهين الدامغة على أدانته

ولكنني قبل سرد هذه البراهين سأكمل وصف المومس وأتم
بيانها حتي لا تختلط بالمرأة الشريف

وصف المومس

المومس هي التي نزعَتْ عنها برقع الحياء وتلك أول خطوة تتخطاها
المرأة في سرب السقوط ثم داست أحكام العقل والآداب ولعلها ثانی
قفزة في ذلك المنحدر ثم انتهكت العفة ونبتت الشرف وهذه هي
الذلة التي نصل بها الى قاع هوة الفجور

ومتي وضعت المرأة قدمها في هذا الطريق لأول مرة صعب على
نفسها النكوص ، وخيل لها سهولة سلوكه ، آذا الانسان يبقى متهيأ
الشيء محجماً عنه حتي يطرقة مرة فيسهل عليه ويهون إذ لا يزال المرء
مستمراً ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار

فترى المرأة في أول سقوطها ، مطرقة حزينة . هان على المصلح
انتشالها بأزالة الأسباب الدافعة لها ، وبعد . تراها وقد تلبسها الأفك
وأعمها الشيطان عن الخير وزين لها الشر فتصبح ضده المتين وساعده
اليمن ينال بها أتقى المتقين ، فاذا ما تجرعت الكأس حتي الثمالة تذهبت...
فاذا بها وسط بؤرة فاسدة وبيئة منحطة في أسفل سافلين ، ترى شاطيء
الطهر أبعد مرأماً عن منال جهدها وبرج العفة لا يكتحل برؤيته طرفها
الذي أعياه التلاعب وأضناه السهر . تبصر ذاك . فتأوه من صميم فؤاد
مكوم إذ تتخيل أنها من قليل كانت راتمة هناك في ذلك النعيم التريف
حيث الاحترام والأجلال ، والثقة مع الوقار ، والصدقة مع الهناء ،
والراحة مع السعادة الزوجية . حيث كانت امرأة فاضلة وسيدة آمرة
وأم محترمة ، متمتعاً بالمحبة القلبية وحنان الأهلية وإخلاص الأقربين ،...
والآن تري نفسها لعبة كل عابث وهدف الكوارث فهي : —

المطرقة لغاية والمحتقرة في النهاية - أليست مأجورة الدرهم في يد
الوضيع والذنيء نفرت منه أو أنست إليه ؟ فلا رغبة أو إختيار . مسكينه !
لم تر ذلك إلا بعد أن تحققت بالممارسة أن كل ما تسمعه من عبارة منمقة
وكلمة مزوقة ماهي إلا ستار خلاب للسخرية والامتهان فسرعان ما انحقت
رينبها عن أذنها وتجاهه الغاية المرجوة منها ! وما أدأها من غاية هي التي
اشترك فيها الوحش مع الانسان حتي الطير والمهرام ، فتضع نفسها بين

يدي الفاسق يعيث بأجزاء بدنّها الغض النضير يجامشه بيد لا تعرف
الرحمة ، ولا يمكنها أن ترده عن موضع ألمها خيفة كدره واستيائه وإن
فعلت كان بكل تذلل وانكسار ، ومع ذلك فقلما يثق بقولها أو يسمع
لشكايتها وذلك لأنها مومس (وكفى) ، أي بذرة الكذب وكل ذلك
في مقابل دريهمات ينمّحها بها كأجر على مانال منها ، وهو لو وهبها مال
الأرض ما جزاها على ما أخذ

ظهرت لها كل هذه الحقائق متجسمة ورأت بعين اليقين البون
الشاسع بين الطهر والفجر فهاج حقدّها واضطرم سخطها ضد الذي قادها
هذا المسلك

فتشت عنه فوجدت أنه هو الرجل فصبت عليه جام غضبها وجعلته
مرجة لانتقامها لنفسها المتألّمة أفليست محقة فيما تأتيه ؟

— ٣ —

آلام الموحس

أن الثا كل التي ثكلت لإنها أو الأ رمل التي فقدت بعلمها يصيبها
بث شديد لفرقة جدت بينها وبين عزيز عليها (تحبه لنفسها ويقربه فؤادها)
فجزعها الذي يكاد في بعض الأحيان يذهب بنور حياتها ليس إلا لجرح

فؤادها جرحا قد يندمل على مرور الأيام بتناسي الفقييد وإن طال الزمن . فلا يصح لنا أن نقيس بهذا الحزن كمد المومس ، بل لست أرى أي لهف يشابهه أو يقارب سدم المومس أبداً ، فالسارق والنقاتل لا يلقيان من سدمها ما يعادل جزية ضئيل منه من وخز الضمير

أما هي : فهي المخلوق الذي شكل في كل عواطفه ونكب في كل مشاعره فأصبحت لا يقاسي لها أو لعواطفها وحواسها وزنا فالكلب في بيت سيده يجد من المعزة والادلال ما تتشوق إليه ولا تنال خياله وهي تتألم لنفسها ولكل عاطفة من عواطفها ألما يعادل ألم عشر ثكلات فحياتها ألم وشقاء وأسى

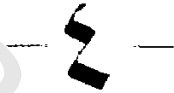
وليس أدل علي توجعها ان كان هناك منزع للشك فيه عند البعض مما يسمعه المار بينهن من الأغاني المملوءة أدعية من الله أن يتوب عليهن وحتى لا تبتهل الواحدة لزميلتها إلا بالتوبة زد علي ما يروي عنهن علي السنة زوارهن والمترددن عليهن من عبارات لا تدع مجالاً للشك في فرط تألمهن إذ حدثني أحد المترددن عليهن فقال : جلست يوماً الي واحدة كنت أتردد عليها فعرفتني ، فاذا بها تتأوه آهة طويلة وتقول والدمع يترقق في عينها . متي يتوب الله علي وقد طال عذابى . ست سنوات وأنا في هذه السعير المحرقه أه

وقال آخر : كنت أزور هناك فتاة توسمت فيها حدائة العهد بالمهنة

وكنت آمل انتشالها قبل الانغماس إلى القعر فكانت تجلس بين يدي مطرقة صامته إذ كنت أحدثها عن حياة الشرف ولما ألمت لها عن إني لا أضن بمساعدتها في العودة إلى الطهر ارتمت علي صدري مجبهة في البكاء تتمم . أحقا ما تقول ! ؟ أه

هذا وضمني مجلس كان سمرنا فيه انتقاد الحالة الادبية ومعرفة من المعلوم ؟ خالفني الكل الا واحدا ، رأي رأيي ، فقال : حقا ما قلت فلقد تحككت بفتاة بميدان المحطة . فحادثني وكلمتها وتواعدنا على منزل كبير هناك ، ما هو ألا أحدى مقابر العفة ، وهناك جعلت حديثي عن أسمها وعائلتها اذ راعني سرعة أنقيادها ، فعلمت على دهشة مني انها من عائلة كريمة وزوج لرجل ، غير أنه من كبار المساهمين في الخانات (والبارات) وانها لا تبغى بعملها هذا ألا اكتساب ما حرمها منه بعلمها ، فعلمت عليها بقارص الكرم وشنيع الشتائم مينا لها فظيع ما أثمت مؤنبا لها على ما جنت على نفسها وعائلتها وبعلمها ولولا جلستنا التي كنا بها لآدعت فرارا من شديد لومي أنها أظهر من حواء وأشرف من عائشة ، وطلبت منها الكف عن ذلك واعدتها بأصلاح زوجها ، وقد كان . فصلح حال العائلة وانا لها (العائلة) إلى اليوم صديقا يقر كلا الزوجين بفضلي . أه كما أني سمعت قول امرأة كانت مومس وتابت مع شاب تزوجها

فالحقته معها فاقة شديدة فقالت : لو آتني خدمت بمنزل كافر
ماعدت الى ما كنت فيه بعد أن عرفت الجنة من النار . أه
فهل يعرفن ذلك المندفعات الى هذه الهوة المملوءة بالرمداء
والنار وهلا يشفق الرجل على هذا الهيكل الرشيق ولا
يقذف به الى ذلك العذاب الإليم ابتغاء شهوته وسعيا للذته ! أناشدك
الرحمة أيها الرجل أن تحرص عليه كحرصك على عينيك



حياة المومس

ما أمر حياة المومس وانكي عيشتها التي لا تكاد تكون الا
سلسلة حلقات متماثلة تماما ، فليست الا برنامجا واحداً ،
تسير على نمطه بكل دقة كمقربي الساعة ، فهي تقضى نهارها
الى ما بعد العصر بين نوم وغسيل وكى وتجهيز حتى اذا ما
آذنت الشمس بالانحدار الى المغرب — اذ الشمس نمامة والليل
قواد — لبست ثياب الفجور وبرزت الى ميدان الدعارة .
تباشر عملها . فهي أما واقفة بباب مسكنها تعرض على المارين
أو الزوار بضاعتها ، التي ليست إلا جسداً أضناه التعب وأنهكه الحر

والمسمات الأخرى بوجهه شاحب طلته بطبقة سميكة من الدهانات
والمساحيق وعينين غائرتين من كثرة السهر والتلاعب . أو واقفة بمحطة
السيارات الكهربائية تميل بنظرها ذات اليمين وذات الشمال . أو مارة
وسط ميدان بمشية المستوحلة بلا وحل . أو بحديقة عمومية حيث مدت
من لحظها الشباك ، أوفى محل عمومي وقد لبست من أثواب الرياء ما تفرر
به الأغبياء وتمنقت بسلاح الخبث لتصيب به الأُدنَاء

وهنا يمكنك أن تتمتع برأي رواية من أبداع ما يمكن أن تمثل أمامك
على مسرح الحقيقة لا مسرح الخيال هي

رياء المرأة وغرور الشباب

فتظفر بالرجل إذا لم تخرج من مأواها إلا لذلك ويظن نفسه الظافر
بعد أن سال لعابه على مواطىء نعلها !

وهذا العمل الشاق زيادة على تلك العملية الوحشية التي لا أرى إلا
أنها حلقة لاتصال الوحش بالإنسان هو ما تقوم به طول ليلا ثم تأوى إلى
فراشها تتساورها المتاعب والآلام

وهذه صورة مجملة من عملها اليومي فالناظر إليها يحكم دون أدنى
تردد بتعاسة هذه المسكينة . فهل يعلمن ذلك المقدمات على هذا المسلك
وهل يعرفن إلى أي هوة هن مسرقات - لا أظن ذلك فلو علمن لفضلت
الواحدة منهن الموت على تلك الحياة ولرضيت أن تموت وتنهش جسمها

الغض إلا ساودوا الذئاب قبل قضاء تلك الساعة التي أودتها شقاء الأبد
وفقدان الحياة أهون على من شقاء ساعة كشقاء تلك التهمة ، هذا زيادة
على ما اتلاقيه من اضطهاد وامتهان ومقاطعة ، حتى تضطر أن تستر وراء
ثياب الطهر محاولة كتمان أمرها عن أهلها ومن التف حولها ، فتفر من
خط لا آخر ومن مسكن لثان . كما تخفى جرحها عن الزیوع ، فتحرم
الطمانينة أيضاً . والتاجر الشريف يأنف معاملتها ، فهو إما يردّها دون
ما تريد أو يبيعها الشيء بأضعاف ثمنه ، حتى لا تعود إليه . ثم لا تلقى من
أحرار القوم إذا إمتهاناً ومن أدنيائهم إلا كل سفه وطمع فهل من حياة
أتمس من هذه الحياة ؟

شعور المومس

وأدهى من ذلك وأمر أن يعتقد غالب الناس أن المومس لا شعور
لها ولا حس فلا يوجد من بين عامتهم من يري أنها أحق بالشفقة والرحمة
والكل مجمعون على أيقاع الأذى بها والاضرار ، وأني لا أدري كيف
حكموا عليها بعدم الشعور ، ولا دليل لديهم إلا كونها تظهر الميل لكل
فرد وتضاجع كل شخص بلا تألم ، وما نروا خبء قلبها . وإذا صحت

هذه الحجة كان أحري أن ندين بها الرجل إذ هو يبادلها هذا المنكر
بسعي من طرفه وهو مطالب مثلها بالعفة تماماً ، مع أن شأنها في هذا
ليس إلا كتاجر يستقبل جميع زائريه بالتحية والترحيب فإن كان حسن
استقبال ذلك التاجر كل زائريه منقصاً من شعوره كذا يحكم عليها إذ هي
مضطرة بحكم التجارة التي تملك رأسمايتها أن لا ترين الناس منها إلا
تجملاً ظاهراً يخدع البسطاء وليس علينا ان تعيب من أجاد مهنته مهما
صغرت والبصير المدقق لا تخفى عنه مظاهر ألمها

ألم تسمعوا أن لم تروا كم من مومس اجتهدت بكل أسلوب وحيلة
في أخفاء أمرها عن الناس أو ليس هذا بوليل علي أنها تشعر بدناءة ما
تأتي وشناعة ما تفعل ؟ خير من ذلك الشاب المهندم الذي يتوسط محفل
أخوانه يسرد عليهم كيف أصاب عرض عذراء وغدر بجرمة جارواتهك
عرض صاحب وهو مبتهراً نفوراً والكل منصتين لحديثه بكل انتباه !!
إذن فالمومس تتألم من حالها وتشعر بخفضه وتخاف إقتضاحه وهذا
يكفي للدلالة على أنها تشعر بشعور أرقى كثيراً من مباعيها الشبان

وهل يتق الاحتقار إلا من يشعر بغضاضته أو يحذر الأزدراء إلا
من يتأفف من مرارته ، ولكن هي الضرورة الغالبة التي قهرت هذه التعسة
فليست إلا واحدة من ثلاثة متألمة أرغمتها الحاجة أويأئسة استسلمت
أومتحيرة ضلت السبيل وقليل من مروءة الرجل تسعفها

الفصل الثاني

— ٦ —

المجرم

أيها الرجل خل عنك التحيز قليلا واصحبني الي بؤرة من هذه البؤر التي لا تخلو منها بلدة في قطرنا — تسهلا للطريق — ودعنا نواجه كل ساقطة نراها هناك بهذا السؤال : — ما سبب وجودك هنا ؟ فلا نكاد نسمع ألا أحد الاجوبة الآتية : —

١ — أحببت فتى أغواني فهربت معه بعيدا عن أهلي ثم ماليت أن خلفني الى حيث لا أدري ! فطرقت جميع أبواب المعيشة فلم يفتح لي الا هذا على مصراعيه ١ . آه

٢ — تزوجت من شاب ماليت أن أهملني بعد شهر العسل فملتفتا الى خديناته وخليلاته وبحكم الطبيعة بحثت عن من يملأ فراغه فكان هذا مالى . آه

٣ — زوجني أبى من كهل أسن منه . أو من شاب أنقر منه فكنت له زرجة بالاسم ولكني لغيره أستبدله بآخر لبعض ظروف ، وكذا ولجت هذا الباب . آه

وعن هذه لا تكاد تخرج قصص أغلبهن في المغزي فلا ينكر أن لرجل دمايتها الا مكابر وهذا لا جدل لنا معه . فهي رغم أنفه حقيقة والحقيقة مرة ، وأمر منها الاعتراف بها . فلا غرو أن يصعب على الرجل الاقرار بها لذا فهو يثير الجدل ويعكس الآيات ، ويقلب الحقائق حتي يتهم المرأة بأنها التي دعتة الى اغوائها ، ومنته بنفسها ، طورا باظهار محاسنها وطورا بابرار زينتها ، ثم بموافقتها على ما يبغي ، ولو تدبر قوله هذا لراه اثباتا لا نفيا لجرمه فهو يحكم على جنسه بالانصياع للشهوة كالبهايم فلا عزة أو عفة ولا ارادة أو اباء حتي جعل اشارة واحدة من امرأة كافية لان تجعله يهرول خلفها كالكلب المطيع فأين أين أوصاف الرجولة ؟ أفضحيها في سبيل انكار الحقائق ؟

والغريب أن يجعل نفسه في حل من كل ما يأتيه معها اذا ما أثر فيه جمالها ويريد منها أن تصد هجماته القوية عليها وهي هي الضعيفة التي تتأثر به كما يتأثر بها ان لم يكن أكثر أفليس هذا اجحاف ؟
ثم لا أدري كيف يستعظم جرمها اذ ما نظرت اليه مرة بقصد أو بلا قصد (وقد يكون ذلك بعد سقوطها على يده) ويستسبل أن يرشقها بسهام لحظة المتوالية ويحوطها بسياج من كلماته اللينة عذبة المنطق أجاج المقصد ثم يتأثرها الشهور والليالي فاذا ما غلبها على أمرها اقترسها بلا رحمة

أو اباء فنأخذها بجريرته ونكبره لبراعته وما هو إلا مجرم أشد اجراما
من السفاك فهذا يقضي على حياة فرد وذلك يهدم كبرياء أسرة مدي
الدهر في سبيل لذة بهيمية دقائق معدودات

—V—

الجمال

أبك معي أو اضحك ! من قول الرجل حين يقول وهل خلقت
من حجر أو عديم الشعور حتي لا تحركني تلك المناظر الجذابة أو لست
رجل يجذبني ما أري من جمال إليه . وما ذنبه إذا خطرت أمامه الحسناء
في ثيابها الشفاف وجسمها الزجاج وأريجها العطري فأسرت له وسلمت
رشده فسمي سعيه ملق بفتايج عمله الدنيء عليها . بل على تكوينها الذي
وضعها الله فيه ! الا يضحك هذا ! والضحك هنا أمر من البكاء . أن
يكون نظر الرجل إلى المرأة أخط من نظرة الحيوان إلى أنثاه . غلبت
عليه بهيميته وملسكته غلمته فهي غاية منها أبدا وبئس بها من غاية سافلة .
قد يتبادر هنا إلي الذهن أني أطالبه بأن يتحجر فلا يعرف ما هو
الجمال ! . ولا يميل إلى النساء ! فعن الأول أقول اني أدعوه بكل قواي
أن يعرف (أولا) ما هو الجمال الحقيقي الرباني الرائع الجذاب الجمال الحق

الذى يفضل الخير ! ويشمل عليه فهو مازال يطمر (١) وراء الطلاء يغره الرياء ويسره التتهتك يهرول اليوم وراء المرأة فقط ، لأنها محط شهوته ، كالقط يجري وراء قطته . وهاهى المشاهدات بين يدك فى كل مكان تسير فيه تقيم الدليل على أنه يجرى وراء الفسق ويتلذذ بالفسق ويحب الفسق لأنه فسق فقط ، وقد يكون متزوجاً ويتبع خطوات الشيطان وهو يعلم أن المرء كما يدين يدان ، غير جاهل أن زوجه تقوم بتلك المهمة بكل ارتياح كما يشاء فتغنية من ارتكاب الموبقات ويحصنها عن ثلم شرفه وفى الحديث النبوي الشريف .

(أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تَعْجِبُهُ فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهَا فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا)
(ثَانِيًا) أَنْ يَكُونَ رَجُلًا صَاحِمًا لَا تَغْرَنُهُ الزَّيْنَةُ الْبَهْرَجُ وَلَا تَسْتَهْوِيهِ الْمَرْأَةُ الشَّطْبَةُ اللَّيْسُ الشَّدِيءُ فَيَنْظُرَ إِلَى الْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ نَظْرَةَ الْمَعْجَبِ بِقُدْرَةِ مَبْدَعِهَا جَلَّ وَعَالًا وَإِلَى الْمُبْرَجَةِ مِمَّا كَانَ ظَاهِرَهَا نَظْرَةَ لِزْدِرَاءٍ وَلَا سَتْنَكَارٍ بَدَلَ كَلِمَاتِ الْأَعْجَابِ الَّتِي تَكَاثُرُ لَهَا أَيْنَمَا سَارَتْ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ وَالْغَوَانِي يَغْرَهُنَّ الشَّاءُ

(ثَالِثًا) أَنْ يَتَحَلَّى بِنَفْسٍ عَالِيَةٍ فَيَتَمَسَّكُ بِالْعِفَّةِ وَيَتَسَرَّبِلُ بِالْأَبَاءِ فَيُرِي الْمَرْأَةَ قَسِيمَتَهُ فِي الْحَيَاةِ وَيَتَخِيلُ فِيهَا الْأُمَّ الْمُحْتَرَمَةَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا رَسُولُ (إِنْ

المرأة التي تهز المهد بيمينها تهز العالم بشمالها) ويتصورها ذلك الهيكل
الظريف الذي خلق لمؤانسته ومواساته ولترويح المتاعب والمشاق عنه
(لا جلبها عليه) ينظر اليها بنظر أدق وأوسع فيرى نفسه مرغما علي
احترامها، إذ يبصرها في جمالها الروحاني، لو اجتهد أن يعرف من هي
المرأة؟ تلك المرأة التي لا تزال من يوم نشأتها إلى الآن مشاربها كبرية
بين الفلاسفة والأدباء وسيبقى كذلك أمرها إلى الأبد.

— ٨ —

النزواج

أما عن الثاني وهو الميل إلى النساء فهو غريزة لا يمكن استئصالها
بل لا يعمر العالم إلا بها، ولكن الإفراط في كل شيء مفسدة (حتى في
العلم فإنه يورث الشذوذ والجنون) وقد سن الله للناسنة حسنه لا يجحد فضلها
إلا كافر، ألا وهي : النزواج. وسنفرد له المبحث الثالث من هذا الكتيب

٩

من الجاني ؟

اني لا أعجب للرجل يطلب من المرأة التي شهد لها الشرع بالنقص والطب بالضعف ان تمنعه فيما قد غلبه علي امره وهو مشترك بينهما بطريقة عكسية ، فامتاز عنها بكثير من القوى وقسطه منه دون قسطها ، حتي أصبح الكثيرون يأخذون على المرأة استسلامها للرجل فجعلوه رضي منها وقبولاً وليس الواقع الا قهراً أو انخذالا اي انها لا تستلم للرجل الا مرغمة بثلاث قوي فعالة أجيز لنفسي ان اقول انها فريستها وهي :- الرجل وتأثيره فشهوتها تم الشيطان .

فأين من ينكر ان المرأة تشمر نحو الرجل بمثل ما يشعر هو نحوها أن لم تفق ، كما ان غلبتها أشد عليها تأثيراً من شهوة الرجل عليه زد على ان الشيطان يملكها عن الرجل لو هنها وخلوها (والشيطان يسكن الخالي) فهذه المميزات التي منحها الرجل دونها تجعله أكثر مسئولية بل هو المسؤول عن كل ما يصيبها منه .

ومما يؤسف له انه هو داء الذي يسعى في الايقاع بها بكل خطة دنيئة واسلوب منحط ثم يتطالب منها تعففاً ! فكان كمن يريد من الماء جذوة نار أو واضع

الزبد على الجمر ويود أن لا تذوب! أليست الضعيفة والمعرض ، فكيف نرجو لها السلامة مع كثرة ما يعتورها من السهام أو ندينها بشيء! اللهم اني لو رأيت امرأة تحاول الايقاع برجل وتمكنت منه لا أؤمن الا الرجل لا نخذاله أمامها ، اذن ليس من العدل أن ندين البريء ونطلى الجاني أو نشركهما معا فن الاجحاف أن ندين أو نشرك المرأة في جرائم الرجل

أيها الرجل . خبرني صراحة كم حاولت اغواء جارتك أو ابنة جارك وهل راعيت في ذلك حرمة الجوار؟ ثم دعنا ممن أبلت نمليك في متابعتهن وأتعبت قدميك في تأثرهن وأصدقني وأبيك هل تمنعك غفتك أو خلقك أن تأتي امرأة ثيبا كانت أو بكرأ ، أو هلا راجعك وجدانك مرة أو لم تر في ذلك مادونه جرم القتل . لعمرك قل ولا تمارا لا تتمني كل امرأة تراها؟ — غير العجائز طبعا — مهلا لا تنكر ، فإن عينيك اللتين تستقبلان المرأة من فرسخين ثم تشيعها فرسخين آخرين وقد كستهما المعة البهيمية لا صدق عليك حجة من اسانك ، لقد ملكتك شهوتك وغلبتك بهيميتك ، لذا يسرك أن تزعن المرأة لبغيتك وتفسك راضية بذلك والى هذا أنت سالك ، فكأنك تسعى في جعل جميع النساء مومسات ، فليس بغريب بعد ذلك أن أقول أن المومسات مخلفات جرائم الرجل وأن المومس امشلاء امرأة افترسها رجل .

الفصل الثالث

— ١٠ —

سرب الضلال

ينحدر المرء الى هوة الضلال فاقد الرشد مسلوب الحجا اذ ينزلق اليها بكل بطء فلا يشعر الا وهو وسط تلك اللجة التي لا قرار لها ولا يحس الا وقد أحاط به سرادقها وانطمست عينيه عن سواء السبيل ، تتخبطه دياجير الضلالة وتتقاذفه أنواء الرزيلة ، ولو علم بهذه النتيجة لسلك غير هذا الطريق ، ولكن للرزيلة سراب خلاب وللسيئة شكل منمق زاهي الالوان لا يدل على خبيثه ظاهره وخصوصاً للمرأة قصيرة الادراك .

حدث المرأة الشريف عن المعهر ، تذهر لك مقدار مقتهاله وليكن هذا هو الميعار الذي به تقيس ما بين انطهر والمعهر من يون ومرحلة ، فالطهر ذروة عالية والمعهر خفضة واطية وحطة . متناهية في أسفل الدركات ، وعلى ذلك لا أدري كيف يصفون بعض الناس المرأة بالشرف الى أن تزنى . وماتلك الا غاية الفجر القصوى ، ومحال ان تسقط امرأة تات السقطة الشاهقة دفعة . لا تموت اذ الانتقال من الطهر الى منتهى الفجر لا يطاق

والحقيقة أن المرأة لاتصل هذه الدرك إلا بعد أن تكون قد
انحدرت تلك المرحلة الواسعة خطوة خطوة متكأة على ساعد الرجل
ومنقادة له دون أن تبصر غاية الطريق ووعودته ، إذ وضع على عينها غمة
من الاسماء المشوقة . فاذا ما قاربت عجمتها (١) وقفت برهة ! وفي هذه البرهة
تترث فاما أن تولد من جديد أم تسقط الى الحضيض ، أما ان تنكص
على عقبها وتفلت من حاطبها إذ تنكشف لها الحجب أو أن تنكفىء على
وجهها متعثرة معيأة وقد حصرها كما هو الغالب ، إذ لا يسمح أن تضع
الصفقة وقد قاربت الانتهاء وعلى ذلك تسقط صاحبة بعد فوات الفرصة :
يا لكم من أنذال . ولكنها صيحة المفعم المحموم تستغيث ولكنها من حياتها
وتندب ولكنها بقاءها تفتش عن السعادة الوهمية التي تخيلتها عقر (٢) انما
فلا ترى حولها إلا حزازة الجريمة وقذارة الرذيلة ، إذا بها غارقة في قمامة
الفجور وما سمعت إلا خداعا وما رأت إلا سرايا ، نصيح بها (عن
كشب) (٣) أيتها الساقطة أنت بلاء على الرجل في الدنيا والآخرة ، ثم نلتفت
إليه فإذا به قد علت وجهه ابتسامة الظفر ، ولا أنيدال ساعة انتصاره
فهلل له لأنه بطل وداهية ! ! ! ؟

١١

الخطوة الأولى

ان المرأة التي سقطت اليوم انحرفت عن السبيل السوي من أمد
وجاست مضلات الانم والافك دون رادع او مانع ان لم تكن كما هو
الغالب تحت تأثير خادع طامع

نهدت البنت فاحبت التجميل ومالت الى التزين بحكم فطرتها ، فتقمشت
وتهندمت وتعطرت أى اصبحت كوردة اكتمل أزهارها وكمة تم تفتحها
حتي اذا ما اعصرت ثم غنست اي كمل نضجها وتناهى نفاؤها دون آبه
لها شمرت بأنها مهملة في نقر اذار وآلمها ذلك أذلا يختلف اثنان في ان
البنت خلقت لتكون زوجة قبل ان تكون اما ، فماذا يصيها اذا ما عطل
ما جعلت له ؟

ان الوردة بعد تمام نضجها تأخذ في الانضواء والذبول ثم التراخي
فالجفاف حتي تصبح هشيا زلقا تذروه الرياح ، أما البنت فعند ما
تبلغ سن الاعصار تشرئب بعنقها الى من سيكون بعلمها ؟ فترى
من وراء خدرها اغفالا وتبصر من خلف سترها أغضاء - اذ بلينا
أخيراً بأعراض الشاب عن الزواج لأسباب سنتكلم عنها في البحث

الخاص بالزواج . فتتخيل ذلك لجهل وجودها وعدم العلم بحيويتها . فتبرز لتدل على نفسها وترشد الشاب الى وجودها وحقها عليه ، وخصوصاً في أوساطنا الغالبة التي تعير البنات فيها بعدم سرعة زواجها ، حتى من ذويها ، بألفاظ جارحة وكلمات مؤنة كأنها التي ردت الشبان عن طلبها والله يعلم ، أنه أجل أمانها ! ولكنها ويا لآلف أسف ركبت الى بغيتها مطية جامحة غير ذلول ، وقد عرجت على غرة منها الى ميدان هائج وساحة طاحنة لا تتلائم مع تكوينها الطبيعي بأذلة في ذلك ثمناً باهظاً وقدرراً فاحشاً ألا وهو الحياء

١٢ الحياء

هو انفعال النفس من اتيان ما يجلب اللأئمة وينحي عليها بالتوبيخ وتأثرها بما يجد في عرف الناس نقص . كذا عرفه جمال الدين الافغانى فالحيي هو الشخص الذي تتأثر نفسه مما يأتيه هو من النقائص وقبل أن تعلم ذلك الناس لهذا تراهم ينأى بنفسه تلك عن مواقف الخجل فيترفع عن جميع الدنيا ويتبعد من نفسه عن مواطن الغوايا حتى لا تشور نفسه حياء ويندى جبينه خجلاً

وتلك هي النفس الحساسة الرفيعة التي منحها الله حظاً أوفر من حميد الخصال التي تلازم الحياء كشرف الناس والأباء والغيرة فالأولى

تُنهى عن قرب الرزائل والصغار والآثام كما تدعوا الثانية الى نبذ
الذل ومواضع الحطة والامتهان

أما الثالثة فتدفع بصاحبها الى الجهاد والحرص على عرضه وشرفه
ونفسه وروحه فوطنه وأُمته

وليس الحيى هو الجبان أو من لا يستطيع عن نفسه دفاعاً لأن
هذا من الجبن فالحياء وما تفرع منه من الخلال والسجيا يسوق صاحبه
الى الكمال النفسانى والمجد والفخر بعد أن يطهره من أرجاس الرزائل
ومن أوزار النقائص حتى لا يرى الخاتم فيه مقدحاً والخاطب له مذمة ،
أما من لا حياء له فهو أقرب الى السوام والبهائم حتى قيل : -
إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

وهو للمرأة كالشمس للنهار والدواء للداء فهو لها درع يقي عرضها
وسياج لشرفها وحارس يزود عن عفافها فهو الوازع النفسى الذى ينأى
بالمرء عن مواطن النقد واللوم فلا يأتى الدنيا أو يقرب النقائص، اذن
الحياء والتبرج ضدان لا يقتربان والا كيف يسمح الحياء للمرأة أن تبرز
بصدر عار بأعلى النهدين وساعدين باديين الى المنكبين وساقين مكشوفين
الى مافوق الركبتين . وهل أبقت هذه لنفسها أو لسيدها من شيء الا
ما يقابل عودة الأُمة؟ وهذه الله أعلم ! مع ان ملابسها الضيقة المنطبقة تماماً

على باقى بدنہا لا تستر ورائہا من شيء ، ثم كيف يسمح الحياء للمرأة أن
تضحك تلك الضحكة ذى المثاني والمثالث على مسامع الملا وفي قارعة
الطريق وبدون مسوغ ، بل كيف يسمح لها أن تسلك السبل تتصنع
التثني ميامنة مياسرة تراشق القوم بسهام اللاحظ ونبال الثغر؟ فطبعاً هذه
لا حياء لها وما جراًها على فعلتها الا أنها لا تستحي وامرأة لا تستحي احق
بها القبر ، فمتي أراقت ماء وجهها وصلد جبينها فتتح أمامها رتاج الاثم فهان
عليها ارتكاب الدنيا متدرجة فيها تنازلاً حتى تأتي الفحش تحت قيادة الرجل
غير شاعرة بشناعته ، اذ متي خالطت المرأة الرجل بلا حياء هان عليها
الانحدار أو قد قربت من السقوط اذ عرضت فسفور شهوتها لكبريت
الرجال وتصبح مرمية في عرضها مشكوكا في أمرها اذ الغالب أن تسقط
وراء ستار من الوعود الخلابه وخلف اكمة (الحب) تضعيع

- ١٣ -

الوعد

الوعد ميثاق يقطع المرء على نفسه يقوم به لزمناً أو شرط رهين شرفه وكبريائه ، فوفاء هذا الوعد لا مفر له منه إن كان ممن لهم ذمة وشرف يرفعونهما

لهذا كانت الوعود من المعاملات السائرة عرفياً بين الناس ، حتى قيل - الوعد دين - غير أن هناك فئة لا تعرف للوعد قيمة : ولذا فهي تكيل الوعود جذافاً مضمرة الخلف ، فهؤلاء جرثومة فساد أقل ضررها أنها تربك دولا بأعمال الهيئة الاجتماعية وإن شئت فقل إنهم يؤذون المجتمع في كل حركة أو سكونة يأتونها إذ هي غش ورياء

وما أكثر هذه الفئة بيننا ثرثارون متحذلقون آنفون إن رأيتهم خلتهم من عليّة القوم وسروات الناس !

وتأثير هذه الزمرة علي المرأة أشد ، إذ يغرها رواقهم وتستهيها لباقتهم (والسّم في العسل)

فيستدرجها الفرد من هذه الزمرة إلي حافة السقوط علي وعد أن يرشدها إلي ما لا تعلم من المدنية الحديثة فيزيل عنها برقع الحياء ليزيد جمالها ويزهو جلالها ، ثم يرشدها إلي طريق الضلال واعداه فيهبه بالسعادة

الابدية ، كل ذلك وهى واثقة بقوله مستهدية بهدية (وهو في ضلعة يعمه)
حتى إذا ما استلانت له خيل لها تمثالا من المدنية والسعادة وجعل له دربا
يوصل إليه به كل المخازي والفجور وأطلق عليه إسماء عذبا لذينا ألا
هو (الحب)

المبحث الثاني

الفصل الرابع

١٤

الحب

وما ادراك ما هو :

الحب عنصر من عناصر الحياة ذوات الاثر الفعال في تسيير دفعة
أمر الكون . ولو اننا ^{كلمتنا} ~~تبعنا~~ حركة الكون العالمية لاهتدينا الى ان للحب
دخلا كبيرا في حركات الطبيعة وأفعال الانسان ، فلولا حب الارض
للمشمس ما حامت حولها ، والقمر للارض ما طاف بها وابتسم لها من آن
لأن مداعبا مضاحكا ، والرياح للسحب ما حملتها على أعناقها واحتضنتها
بين جوانحها ، ولولا حب الانسان للحياة ما عمل وكد وزرع وحصد ،

والحيوان للبراري ماعدا فيها وركض وأوي مغاورها فرحاً مغتبطاً ،
أو الطائر للرياض ماغني على أفنانها وصدح على أغصانها وعز عليه هجرها
تلك معجزات الحب رسول الحركة التي هي مبعث الحياة الكونية
فهو اذن كامن في كل حركة وكل شيء ، فتنوعت أشكاله وتعددت
اسماؤه حتي غدت لا تدخل تحت حصر ، منها . الجذب والفطرة (الطبيعية)
والغريزة والحاسة والعاطفة والفن : فالجذب للمادة و(الفطرة) او الطبيعة
للحركة والغريزة للحيوان والحاسة والعاطفة والفن قد اختص بها كلها
الانسان واختص كل اسم من هذه الاسماء الثلاثة بجزء من أعمال
وشعور الانسان :-

فالعاطفة هي ما يكون بين الوالد وولده أو الام وما حملت
والحاسة هي ما يكون بين الانسان للخير أو للشر
والفن هو ما يكون بين الانسان ومظاهر الطبيعة أو معانيها

وتلك هي حقائق الحب وما خلق له . غير أن تقادم التواتر أحدث
على أفهامنا معان جدد حتي أصبحنا ضالين لا نعرف إلا حب أنفسنا وغاياتنا
ثم كسونا أغراضنا بنعوت والقاب فكانت كلمة الحب ضمن ما أطلقناه
على إحدى علاقات المرأة بالرجل وتوسعنا في ذلك مسيطرة لأهوائنا
وأتباعنا لملاذنا حتي رددناها كل لسان ولا كتبها شفاة الصبية والأطفال

كما ترنمت به الشيب وتغني بها الشبان . ثم تناولاتها عروض الشعر وزينتها
أقلام البيان فخرجت بذلك علاقة المرأة بالرجل عما كانت عليه إلى مجال
لم يجعل لها ولم تكن له فاضطربنا واختلط علينا، حتي دفعتنا الغريزة
الحيوانية فخضعنا صاغرين، وبعد أن كانت المرأة هي جماع العاطفة والحاسة
والفن أصبحت وقد تفردت بالغريزة وطلبت من أجلها ليس إلا وإن بقيت
كلمة الحب كلمة يرددها كل لسان، فأصبح الانسان يراها أو يسميها في كل
مكان وبقعة علي شفاة الصبي الصغير والبنت الكاعب، وتلك الكلمة هي
التي أغرت المرأة حتي سيرتها مومسا ودفعت الرجل في سبيل الفجور،
فهي شرك القلوب وضياع العفة بل أشبه بالسهم في العسل

الحب وإن كان لذيذاً علي فؤاد كل من سمع اسمه ولم يخبره يشواق
إليه اشتياق العطش إلي الماء الزلال والأثير إلى الحرية الكاملة إذ يظن
فيه خيال السعادة وما به إلا شقاء مستمر علي ما يقول الخبيرون وتنبئنا
به حوادث الغابرين

ويقول البعض إنهم يلتذون بحلوه وصعبه ويأنسون إلى نكده
ونصبه وهذا بلا شك علامة الألق والألس بل الجنون والهوس حتي
لقد أجمع كثيرون من الأطباء والعلماء كالمقري والماردني والشيخ عبد
الرحمن والأزرق وابن المقفع وأبو علي بن سينا إن العشق داء يشبه

الملخوليا (١) لا يصيب إلا الضعفاء إذ الضعيف هو الذي يمكن أن يقيد لاشيء
ويثيره لاشيء في عقله منظاراً مستحسنه أو شكل استجمله، أما الرجل ذو الإرادة
القوية فلا يذله حب أو يقهره عشق لأنه دائماً متسيطر على عنان قلبه
وعواطفه والحب قهري علي ما يقولون ككل داء آتس في بنية الإنسان
ضعفاً أتام، أما الحب فلضعف الإرادة ووهن العزيمة وصغر المدركة

كلام بعض الفلاسفة

في العشق

قال افلاطون : العشق حركة النفس الفارغة بغير فكرة

وسئل ويوجانس عن العشق فقال : سوء اختيار صادف نفساً فارغة

وقال ارسطاطاليس : العشق هو غمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب

وفيما روى الاصمعي عن أعراييه أن العشق : ذل وجنون

نهاية الادب

— ١٥ —

الحب

حقه . باطله . جرائه

أما ذلك الحب الذى كانوا يعرفونه بأنه مهبذباً وهادياً فلم تثبت الايام وجوده ولم نرمه سوى الاسم إذ أن الحب الشعري (الفن) الذى مازال الكتاب يتغنون به على صفحات رواياتهم ويشيدون عليه دعائم كتاباتهم ويتزعمون به فى أشعارهم ما هو إلا شركا يستعمله الشخص لبغية له حتى يفوذ بها فيندثر ويموت ! ورغم أن هذه الحوادث تكرررت أمامنا كثيراً لم ننعظ وهامى ضحايا تلك الكلمة أمامنا فى كل مكان تعطينا العبرة ولكن ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار !

ألم تلك المومس رمية تلك القذيفة وقنص ذلك الشرك ! أليس هو أول طارق طرق باب قلبها ! ألم يك دافعها الى الرجل وموثقها له ؟ بل ما كل ساهر وشاردوباك وهازل الا طعين العشق ولذيع جمرته . وكم للعشق من جرائم لا تحصى ولا تستقصى واليك واقعتين تثبتا لك تأثير الحب على شرف المرأة

١ - فقرة من خطاب مرسل من محبة الى حبيبها بالنص : —

« مازلت تطالب الى البرهان على حي لك فأقدم لك البرهان تلو البرهان »
« فتضرب بذاعرض الحائط وتطرح ذاك خلف الظهر مالى نبذته مقتنعاً »
« بغني فؤادك وجاهي رميتني فيه اذقلت ليس كل من حاز الرتب شريف »
« وعندك العامل خير من الوزير - فماذا أقدمه لك على مائدة حبك لتقتنع »
« بأنى أحبك فوق ما أستطيع - أى ماذا تملك فتاة مثلي بعد المال والجاه »
« وأعز منها ليتعادل مع قلبك الكبير (الصخري) اللهم الا الحياة والشرف »
« وهما لك فلم أر بأساً من أن أهبك الثاني والأعز لعلك تثق أنى أقدم لك »
« يا فلان . وياليتته قبل افلاتأخذنى بتلك الزلة فأنا مقتنعة بسخافة الفكرة »
« ولعنت منمقها لى في حالة سكر (اذ للعاشق ساعة فيها يسكر أو يعمى »
« لا أدري . اه »

تقر هذه الآنسة بوجود ساعة يذهب فيها عقل العاشق ويطيش
حجابه إذ قد تلقت ذلك طبعاً عن التجربة التي ^{لهي} خير أستاذ .
ساعة يذهل فيها العاشق عن حجابه لا يدري ما يأتيه فيها - أعينك
الله من شر تلك الساعة فهي

هي يذره با كورة الشقاء السريعة التأصل بل
هي ساعة الجنون التي تلد لعاسة الأبد وذل الدهر
إذ لولا شرف نفس حبيبها لأُمتست في عداد الساقطات .
ثم أنظر كيف يسهل على المرء التفريط في كل شيء في سبيل ارضاء

شيطان الهوى أفليس هذا الجنون و جنون محض ماسببه سوى مانسميه حباً ؟

١٦

(ب) ضحية الحب

عَلقت سيدةٌ حسناء بشاب نصف عامى وقد كانت تعيش من دخلها حرة بلا رقيب . فاندفعت فى تيار حبها وأفرطت فيه دون مانع . فلما علم ذلك الشاب دخيلة قلبها نحوه ولم يبادلها من العاطفة سوى ما يفهمه منها صراحة إذ للحب سبيل عند كل طبقة ، فابتدأ يراودها عن نفسها مختصرا الطريق وهي ترده بكل حيلة وأسلوب وجعلت تلقى عليه المحاضرات فى العفة والشرف ولكنه كان يحبها أي امتلأت نفسه ميلا إلى وطئها اذ هذا منتهى درجات الحب عند المحبين لذا كان لا يفكر إلا فى هذا الامر الدنيء وصعب عليه فهم ما كانت تلقى عليه من كلام أما هي فرغم ولها به بقيت متمسكة بشرفها حتي هددوها بالهجر بل بالقطع ان لم ترعن له .. ؟ (ولو دري لتأني قليلا حتي يتملكها شيطان الحب جيدا)

دارت رحي الحرب النفسية بين النفس والوجدان وباتت تقلب الأثر على جانبيه فلا تري لها ألا أحد مجازين بل واحدة من التضحيتين حبيبها أو شرفها .

ولما ذاق مرارة الهجر المريرة تخيلات لذع صلا العار أهون منها ،
بل عميت عن هدى السبيل فسارعت بعد ست أيام قضتها في لهيب
القطع إلى الطريق الذي يمر فيه حبيبها إلى عمله وردته إلى وصلها ووعدته
بنوال ما يريد!! ثم عز عايمها شرفها فهاطلته مسوفة بكل يوم إلى الذي يليه ،
حتى سئم وازداد هيامه فأتاها يوماً لا يرضي فيه تسريفاً ، فركعت تلك
الفريسة أمام ذاك الوحش الذي (تحبه) متذلة ضارعة أن يرحمها من
تلك المرة الكبرى فأبي إلا

وبلغ منها ما أريد وهي باكية حزينة حتى أغشى عليها من فرط تأثرها
وسقطت تلك التمسمة مكبلية بالحب !

وكما أنى أعرف فيمن أعرف حوالى العشرين شاباً لكل واحد
منهم فوق الثلاث عشيقات ويا للأسف كلهن من المتعاملات وبنات
البيوتات - والشباب منهم لا يأنف أن يسلب الواحدة درتها ويقول
(والله حصل عفواً) (١) وهو منتفخ الأوداج تيتها ركبرا

على ذلك وجب على كل فتاة تود أن تعيش شريف أن تحذر الحب
حذر الساري وسط رملة قحلاء من الحية الرقطاء خصوصاً وشبان اليوم

(١) كلمة قيلت لي حرفياً من شاب يعتذر بين يدي عن فعلته

قد تفتنوا في الحب وابدعوا فلعبوا بأفئدتكن وسخروا من عواطفكن
الوجدانية البحتة مقابل كلمات لا تمنعني عندهم مخارج الكلام. وقد أصبح
القلب على المبدأ (المردة) (يسمع ألقا وزيادة) (١) (ولا حب إلا لمن
حضر) (٢)

١٧

الحب الشعري

عجبا أن يدعى كل عاشق أنه يحب ذلك الحب الشعري الشريف.
فاتهدأ يا هذا بلا فأنا لا أود أن أرميك في حبك بل أقول : أأست ممن
رأي فعمشق ذاتا رآها لجمال امتازت به عن سواها في نظارك ؟ فعمشقت
جسما جميلا ! فإن أردت أن تعرف حبك عبثا كان أو جدّا ، فتخيّل تجرد
ذلك المخلوق من آيات الحسن التي بنيت عليها حبك واخبر روحك أن
كنت تميل إليه أم لا ؟ وطبعالا ! . أي . لا تميل إليه والنتيجة تكون : أنك لا
تحب ذلك الحب الشعري . فذاك هو اجتذاب روحين بلا أدنى التفات
إلى ماعداهما فلا جمال أو شكل أو مال بذى أثر في قيمته ولذلك يستمر
الحب محبا ولو صار محبوبه هيكلا عظيما يرعب الرائي بمنظره . فهو الذي

(١) مبدأ قرره فتاة تسير صاحب لي وواقفتها أخرى

(٢) كلمة أحد الرشقاء قالها لحبيبة له علي مسمع مني

يفوق حب الأم لابنها وهل رأيت أما تتحول عن فلذة كبدها ولو صار
قرداً ؟ !

أما أنت أيها المفتون فتخيل أن محبك أو محبوبك بعينه يخص فهل تري
نفسك إلا نافرأ منه ! وهذا هو الواقع الذي يؤيد أننا مازلنا بعيدين عن
الحب الحق لأن ذاك لا يكون إلا بالارواح والارواح جنود مجندة فما
تعارف منها ائتلف فلا يتسرب بعد ذلك الى ايهما شك في أختها لأنها
تكون أدرى الناس بها حتي لو أجمع السكل على وصمها بعيب لا يكون
لذلك الاجماع تأثير دليها بل لها هي نظر أصدق من الجميع ومثل هذا
يجب أن يكون الحب غير أنه ويالآلف أسف غير موجود الا في عالم الخيال ، .
فالواجب أن لا يزجن المرء بنفسه في ذلك العشق الطائش الذي لا أسميه الا باب
السقوط فكل الساقطات مررن به وكل العاشقات على أبواب السقوط وعلى كل
امراة على الأخص النظر فيما أقول ؛ ألا ترى أنها بين يدي حبيبها مأسوبة
الرشد ضائعة الحجالا تفكر الا في التعبير عن عواطفها بالبلغ أسلوب وأدق معني
وهل رأى العاشقون أو أهدوا الى عبارة أبلغ في ذلك التعبير عن الرشف واللثم
ثم الضم ؟ وهل يختلف أثنان في خطورة هذه الحال على عرض المرأة ؟ ! بل أن في
ذلك الكفاية لا ثبات السقوط ، أو ليست القبله من لزوميات الحب وما هي
ألى رسول الضم والأحتضان . . . مهلا مهلا ألى أين يسرقنا الحب . . .

ها ها . . . أنه ولا شك يدفعنا الى الفحشاء وأى شريف ترضى عن ذلك
نعم أنها تستطيع أن تأبى وترفض وتأنف وتستنكف هذه الآثام والمنكرات
مالم يدنس قلبها العشق ، أما أن سمحت لنفسها واغترت كغيرها
فاسترسلت مع طيشها وشبابها لداعى الهوى فهي ولا شك ساقطة وساقطة
رغم أنفها لأنها شربت بيدها مخدرا كان قضاء على قواها وحسبها
الحق الخالص الحر كما قضى على كل من تقدمها فى هذا البلاء



الفصل الخامس

- ١٨ -

نابذوا الحب

رأينا أن الحب مفسداً أكثر منه مهذباً وسمعنا أن الحب الصادق الشعري الشريف كان قدما أول هاد إلى حميد الخصال أفبين ما نرى وسمع نقف حائرين ، كوقفة السارى على مفترق الطرق ، وكان قد سمع أن الطريق الذى قبله سهل : السلوك مظلالا بالأشجار ذات الثمار وبجانيبه الآبار بها الماء الزلال ، وها قد وقف أمامه فاذا به جبل وعر ومأسدة موحشة ! أفليس من الهوس أن يعتمد على ما سمع ويغامر بنفسه في هذا الوادي وهلا يكون عمله هذا جنونيا محضاً فيه الموت المحقق ؛

والحب ، لا يختلف عن ذلك قط ، فما أشهى ما نسمعه عنه وما ألد ما يترنم به فيه ، ولكن بأفواه المصابين به والمرضى ، إذ الواقع بين أيدينا غير ما قالوا فما قولهم إلا أنات المرض وآهات الداء

فواجبنا حيال ذلك أن نخاصم الهوى ونزدرى الغرام ونهجر العشق وننابذ الهيام . فما من مفكر إلا ويرى هذا واجبا لمن يريد أن يحيا حياة طيبة شريفة هادئة لذيدة . ولكن كيف يمكن ذلك وقد أصبحت الناس

تركم لسلطان الهوى وتسجدله اذ باتت جميع القلوب مطعومة بالمادة القابلة
لنماء جرثومة الحب وهى والعياذ بالله فاتكة بالحياة أدبيا وماديا ضارة
بالجسم والعقل على السواء، قال كثيرون منهم من ذكرنا أن علاج العشق
هو . اشغال الفكر بالرياضيات والعلوم والسفر والتنقل وكثرة الوطىء
ولكني أعتقد أن الحب داء عصي إن أصاب قلبا فتك به فهو شبيه
بلا امراض الوبائية القاتلة كالزهرى والسل والجزام - عزيرة الدواء، وهاقيس
العامري وغيره من عشاق العرب لم يحصل لهم شفاء

فكما أن الاجسام تحصن ضد جراثيم هذه الامراض بالتطعيم كذا
الحب يجب أن نطعم قلوبنا بالمادة القاتلة لجرثومته حتى نضمن لا نفسنا
السلامة منه وطريقة ذلك دقيقة جدا ولكنها سهلة وهى تتعلق بتقوية
النفس كما يأتي : —

١٩

التطعيم ضد الحب

ما من نفس الا وتشعر بحنان الى كل جميل (الفن) وتود اطالة
النظر اليه لتتشبع برؤيته ، وهذا الشعور مختلف التقسيم بين
الأ نفس باختلاف حسها فيحسن بمن يري في نفسه استعدادا قويا لتلك
ال عاطفة أن يعدها حب شريف بأجلى . معانيه الشعرية ثم يضرب في بيداء

الخيال ساعة يفتش عن محبوبه فيري وسرعان ما يبصر :شخصا حوي من الصفات أنبلها ومن الأخلاق أكملها ومن السجايا حميدها ومن الغرائز أشرفها ومن المدارك أسماها ومن القوي أقدرها فأن رجلا فبطلا وأن امرأة فخورية

يرى ذلك ويتخيل أنه منه محبوبا وله محبا فيشعر بالغبطة والارتياح وعندما يعود إلى مجال الحقائق وفي نفسه أثر من ذلك المحبوب وأوصافه ويقرن بينه وبين نفسه ، وينظر ، أليق أن يكون أدنى من محبه في شيء؟. ومن ذا الذي يطبق ذلك ؟ . فيميل إلى نفسه يهذبها . ويعدها لمزاملة تلك النفس العالية فيثبت فيها من المحامد ما لو حاول أكبر المهذبن غرسها فيه في عشر سنين لعجز ويثقف مداركه وعقله بما يرقىها من الاطلاع والمذاكرة لتتعدل مع مدارك حبيبه السامية أي يسعى بغاية جهده أن يقارب حبيبه في جميع ما تقدم من الصفات ، وعلي ذلك يرقى عالمه بالتساع مداركه أي يري الجميل والحسن بمنظور أكبر ، فتبقى المرحلة التي كانت بينه وبين حبيبه حينما كانت (بنظارية المثل الأعلى) فيجتهد أن يدانيه فيرتقى عالمه بارتقاء مداركه ويرقى حبيبه لا تساع عالمه وهكذا كلما دأناة سبقه حتي اذا بلغ الشخص من الكمال الدرجة المحموده أصبح بحيث لا يخشى عليه من حب أو عشق اذ يقبض بيده علي أزمة فؤاده وعنان

قلبه ويتسيطر علي عواطفه . وهذا يبقى سليماً من داء الحب إلا إذا كان مثله منحطاً جداً ميسور الحصول عليه في كل مكان فيصاب بالحب الذي يقضي على شرفه وصحته وما له إلا انحطاط المدارك وفساد التربية

ومن الغريب أننا لم نسمع عن العاشقين إلا كل ما يزرى بالكرامة ويحط بالقدر ولا نرتدع كما أننا لم نر أو نسمع أن أرسطو عشق أو أفلاطون أحب أو النبي صلى الله عليه وسلم تدله في هوي أو أبو بكر أو عمر أو أحد كبار الرجال وصف يوماً أنه من العاشقين أما كل العاشقين فمن حثالة الاقوام أو مأفونيهم أما الشعراء ففنيون ليس في أقوالهم إلا جولة خيال محبوكة الأوصال حسنة الوقع والتأثير ولهذا حاول الطائشون تحقيق الخيال فكانوا من الخاسرين

مجلس

في آلام العشق وقصص العاشقين

قال المتنبي

ما العشق الاغرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب
وقال اخر

هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الحشا ليس له برد
وفيض دموع العين مني كلما بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو
قال آخر

الحب مشغلة عن كل صالحة وسكرة الحب تنفي سكرة الوسن
لابن أبي حصينة

والعشق يجتذب النفوس الى الردي بالطبع واحسدا لمن لم يعشق
وقال أبو تمام

اما الهوي فهو العذاب فان جرت فيه النوي فالتيم كل التيم
وللبحتري

قال بطلا وأفال الرأي من لم يقل ان المنايا في الحدق
ان تكن محتسبا من قد ثوي بحمام فاحتسب من قد عشق

ولعبد المحسن بن غالب الصوري

وكان ابتداء الذي بي مجونا فلما نمكن أمسي جنونا
وكنت أظن الهوي هينا فلاقيت منه عذابا مهينا

قال محمد بن عبد الله المبادر

من فتي أصبح في الحسب سقاء الحب سما
كلما اخفى جوى الحسب عليه الحب نما
يا أخى دائي جوي الحسب وداء الناس همي
لا تلم مفتضحا في الحسب ان الحب أعمى
وقال آخر

من سره أن يرى المنايا بعينه منظرا صراحا
فليحس كاسا من التجني وليعشق الاوجه الملاحا

وقال آخر

ما أقتل الحب والانسان يجهله وكل مالم يذقه فهو مجهول
راح الرماة الى بعض المها فاذا بعض الرماة ببعض الصيد مقتول

وقال اسماعيل بن عمار الاعرابي

عينان مشئومتان ويحهما والقلب حيران مبتلى بهما
عرفناه الهوى لظامها ياليتني قبلهما عدمتها

وللمتنبى أيضاً

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل
ولا بن المعتز

وما أدري إذا ماجن ليل اشوقا في فؤادى أم حريقا
ألا يامقلتي دهيماني باحظا كما فذوقا ثم ذوقا
ولعلية بنت المهدي

يا عاذلى قد كنت قبلك عاذلا حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا
الحب أول ما يكون مجانة فاذا تمكن صار شغلا شاغلا
أرضى فيغضب قاتلى ماتعجبوا يرضى القتل وليس يرضى القاتلا
وقال من قال

والله لو حلف العشاق أنهم موتى من الحب أو قتلى لما حنثوا
قوم اذا هجروا بعدما وصلوا ماتوا وأن عاد وصل بعده بعثوا
ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
قال واحد من الناس

سقتني كأسا أزال الهجو ع وأجري الدموع وازكى الجوى
سقتني كأس الغرام التي أضلت بها فى الهوى من هوى
وكنيت بكأس الغرام طرو بفاصبحت اكرغ كأس النوى
وراشت سهام لحاظ العيو ن فاودت بقلبي وغصني ذوى

وحطت لدى جيوش الهمو م وعز التآسي وهد القوي
فما أنا الا يئأس الحيا ة بكأس البلايا انتشي وأرتوى
ولأبن عبد القدوس

عاص الهوي أن الهوي مركب يصعب بعد اللين ، منه الذلول
أن يجلب اليوم الهوى لذة فقى غد منه البكاء والعويل
ولابن الفارض رحمه الله

دع الحب واسلم بالحشام الهوى سهل فما اختاره مضني به وله عقل
أنا تقيس العامري

ألا أيها القلب اللجوج المعضب أفق عن طلاب الغيد إن كنت تعقل
أفق قد أفاق العاشقون وإنما تماديك في ليلى ضلال مضلل
تعز بصبر واستعن بخلاله فصبرك فيما لا يدانيك أجل

فان تك ليلى بالعراق مريضة فاني في بحر الغرام غريق
أهم باقطار البلاد وعرضها ومالى الى ليلى الغداة طريق
كأن قلبي فيه نار تقادحت وفيه لهيب ساطع وبروق
إذا ذكركه النفس ماتت صباة لها زفرة قتالة وشهيق

(١) قصة زليخا وسيدنا يوسف بنص القرآن الكريم

«وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها»
«حبا انا لتراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن»
«وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج»
«عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً»
«إن هذا الا ملك كريم . قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته»
«عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من»
«الصاغرين»

والقصة مشهورة فانظر كيف ان امرأة العزيز على مكانها في الملك
قد راودت مولاها عن نفسه لما شغفها حبا .

(٢) حكى عن محمد بن زباد الاعرابي قال . رأيت بالبادية اعرابيا
في عنقه توائم وهو عريان وعلى سوائته خرقه وفي رجله حبل ومن خلفه
عجوز آخذة لطرف الحبل وهو يعض ذراعيه ، فقلت للمجوز ، من هذا؟
قالت : ابن ابنتي ! فقلت لها ! ابه مس من الجن ؟ فقالت : لا والله ولكنه
نشأ وابنة عم له في مكان واحد ، فعلقها وعلقته . فخبسها أهلها ومنعوها
منه فزال عقله وصار الى ماتري ! فقلت لها . ما اسمه ؟ قالت عكرمة .

فقلت . أيا عكرمة ما أصابك ؟ قال . أصابني داء قيس وعروة وجميل
فالجسم مني نحيل والفؤاد عليل .

نهاية الارب

(س) . حكى عن عباس بن عبيد ، قال . كان بالمدينة جارية ظريفة
حاذقة بالغناء فهويت فتي من قریش ، فكانت لا تفارقه ولا يفارقها .
فلما الفتي وفارقها ، وتزايدت محبتها له حتي ولهت . وتفاقم الامر بها
حتي هامت على وجهها ومزقت ثيابها ، فرآها مولاهما في ليلة من الليالي
وهي تدور في السكك ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكي وتقول

الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الاقدار
حتي إذا اقتحم الفتي لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
فما بقي أحد إلا رحما . فقال لها مولاهما ، يا فلانة إمضي معنا إلى
البيت فأبت وقالت : شغل الحلى أهله أن يعار

نهاية الارب

(د) . يحكي أن رجلا اجتاز بباب امرأة نصرانية فرآها فهويها من
وقته ، وزاد الامر به حتي غلب على عقله فحمل الى البيمارستان . وكان له
صديق يتردد اليه ويترسل بينه وبينها . ثم زاد الامر به فقالت أمه لصديقه
اني أجيء اليه فلا يكلمني ، فقال : تعال معي ، فأنت معه . فقال له : ان

صاحبتك بعثت اليك رسالة ، قال : كيف ؟ قال : هذه أمك تؤدي رسالتها . فجعلت أمه تحذره عنها بشيء من الكذب . ثم زاد الأمر عليه وقد نزل به الموت ، فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتي في الدنيا ، وأنا أريد أن ألقاها في الآخرة . فقال له : كيف تصنع قال : أرجع عن دين محمد ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم فقال ذلك ومات

نهاية الارب

هـ — يقال أن ابن ملجم رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام ، كانت من أجمل النساء ، وكانت ترى رأي الخوارج ، وكان قد قتل الامام على قومها يوم قهروا فلما عشقها ملجم وخطبها فقالت : لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقنيه ، وأن تقتل علي بن أبي طالب . فحمله العشق على أن خسر الدنيا والدين وفي ذلك يقول الشاعر .

فلم أر مہرا ساقه ذو سماحة	كمر قطام بينا غير معجم
ثلاثة آلاف وعبد وقنيه	وضرب علي ، بالحسام المصمم
فلا مہر أغلى من (علي) وإن علا	ولا فتك إلا دون فتك بن ملجم

هـ — يحكي أن عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن

مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بالطلاق . - كان يتمشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكر أنها له ، ثم استأثر بها وخلا معها . فخلعه العشق على أن انتضي سيفاً ورصد أباه في بعض خلواته بها فقتله . فسجنه المنصور بن أبي عامر سنين . ثم أطلقه فلقب بالطلاق . واعتراه من ذلك شبه جنون فكان يصرع في بعض الأوقات .

٧ - قال الراوى

بينما ابن عباس رضى الله عنه في عشية عرفة ، إذ أقبل فتية يحملون فتي من بني عذرة في كساء وهو نحيل البدن ، من أحلى من رأيته من الفتيان فوضعه بين يديه ثم قالوا : استشف لهذا يا ابن عم رسول الله ، فقال : وما به ؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفى الأنين وهو يقول : -

تكاذ لها نفس الشفيق تذوب	بنا من جوالاً حزان والحب لوعة
على ما به عود هناك صليب	ولكنما أبقى حشاشة معول
ولكن بقاء العاشقين عجيب	وما عجب موت المحبين في الهوى

ثم حمل فمات في أيديهم فقال ابن عباس : هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود .

٨ — عن الأصمعي ، قال رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه وضوّل جسمه ورق جلده . فتعجبت ودوت منه أسأله عن حاله . فقالوا : أذكر له شيئاً من الشعر يكلمك ، فقلت

سبق القضاء بأنني لك عاشق حتي المات فأين منك المذهب
فشق شقة ظننت أن روحه قد فارقت ، ثم أنشد يقول :
أخلو بذكرك لا أريد محدثاً وكفى بذكرك سلواً وسروراً
فقلت له : أخبرني عنك ! قال ان كنت تريد علم ذلك فأحملي وألقي
على باب تلك الخيمة ، ففعلت . فأنشد يقول بصوت ضعيف يرفعه : —
ألا ما للمليحة لا تعود أبخل بالمليحة أم صدور
فلو كنت المريضة كنت أسمى اليك ولم ينهني الوعيد
فاذا جارية مثل القمر قد خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا وطال
ذاك فلما خفت عليها الفضيحة ، فرقت بينهما فاذا هما ميتين

...

٩ — كان أبو عبد الله الجيشاني يعشق صفراء العلاقية وكانت
سوداء ، فاشتكي من حبها ، وضني حتي صار الى حد الموت ، فقال بعض
أهله لمولاهما : لو وجهت صفراء الى أبي عبد الله الجيشاني ، فلعله أن
يعمل اذا رآها . ففعل ، فلما دخلت عليه قالت له : كيف أصبحت يا أبا
عبد الله ؟ قال : بخير ما لم تبرحني ؟ قالت : ما تشتهي ؟ قال : قربك .
قالت : ما تشتهي ؟ قال : حبك . قالت : فتوصي بشيء ؟ قال : نعم ،

أوصي بك أن قبلوا مني . قالت : اني أريد ألا نصراف . قال . فتعجلي ثواب الصلاة علي . فقامت منصرفة . فلما رآها مولىة تنفس الصعداء ومات لساعته .

١٠ — حكى عن أبي يحيى التيمى ، قال . كنا نتخلف الى أبي مسعر ابن كدام ، وكان يختلف معنا فتي من الذسك ، يقال له أبر الحسن ، ومعه فتي حسن الوجه يفتن به الناس اذا رأوه . فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته اياه . فمنعه أهله أن يصحبه وأن يكلمه ، فذهل عقله حتي خيف عليه التاف . فلقيته فأخبرته بذلك ، فتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول

يامن بدائع حسن صورته	تثني اليه أعنة الحدق
لى منك ما للناس كلهم	نظر وتسليم على الطرق
لكنهم سعدوا بأمنهم	وشقيت حين أراك بالفرق

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط الى الارض ، فحركته فاذا هو ميت .

..

١١ — ومما يحكى عن العاشقين أن رجلاً هوى جارية له وكان كبير السن فخشي أن مات تمتع بها سواه فقتلها وأحرقها وصنع من رمادها قدرا صار يشرب فيها !!

١٢ — وقريب من هذه الحكاية ما روته إحدى المجلات الفرنسية

من أن بحارا صاحب زوجة في بعض رحلاته حتي اذا كانت سفينتهما وسط
اللجة ثارت زوبعة مخيفة فخشي الرجال غرق زوجه فما كان منه الا أن
قتلها وأكلها حتي اذا غرق تكون في جوفه !

ثم ان الجرائد لا تفتأ تذكر لنا المدهشات من الحوادث التي أساسها
الحب وما أظن أن حادثة : -

١٢ - الدكتور محمد عبد المجيد بغائبة عن الأذهان ، ذلك النابغة
المصري الذي قتله عشيقته الفرنسية لما هجرها ويئست من رده الى وصلها ،
فبلغ بها جنون 'عشق' الى ان قتله رميا بالرصاص .

١٤ - ولا زالت الصحف تطنطن بخبر تلك البولونية التي أمدتها
الحب بجرأة حتي استطاعت أن تصوب مسدسها الي قلب من تهوي
لتقضي علي حياته فتريحه من آلامه المبرحة التي يعانيتها !

هذا وحوادث العاشقين أكثر من أن تعدوا أشهر من أن تذكر
فلنا في كل ساعة حادثة وفي كل خطوة مشهد غريب أما الحب ربه ومثواه

الفصل السادس

— ٢٠ —

نجواهم!

لو أوتيت قوة الوقوف في عدة مجالس للشباب الناهض في ساعة واحدة أو السماع لعدة أفراد . ما خيل اليك إلا أنك تسمع نعمة واحدة ترددها عدة أبواق ! وذلك أنه أصبح لا حديث للشبيبة في نجواهم وسميرهم سوى لغو القول واللفظ بالأعراض واتهاب الحرمات . فإذا ما غدت غادية أو راحة راحة التفت كل الى الآخر يقول من هذه ؟ فينبري أحدهم ذا كرا أهلهما فرداً فرداً ثم يقول : ولى معها قصة بدیعة ! أولم تروا كيف كانت نظرتها إلي ؟ ثم يدوي في آذان الحاضرين بقصته المقتطفة من ألف ليلة وأحط خيالا حتي انك تود لولا حرمة القانون أن تشبعه بالنعل ضربا فوق أم رأسه جزاء له على قصصها فقط ، وقد يغلب أن تكون من قذائف خياله السافل فلم يعرفها أو يرها من قبل ولكن حب الابتهار كذبا قد تربع بعقله حتي ليقضي الشاب منهم تسعة أعشار وقته في هذا الحديث دون ملل ، ولو حدثته فيما ينفع لنأى عنك بجانبه وكنت من المبغضين وأما إن تنازلت الى جده في حديثه والتدقيق في قوله وقربت

من كشف ثوب كذبهم ماك بالجهل بأمور الرقي والتمدن ، لأنك لا تخاطب
سوي قدماء القوم الغابرين . وأما هو فيجب عليك أن تأخذ قوله كما يليق به
لأنه من معاشري العصرين أصحاب الرقي محتكري التمدن آخر (طرز)
وتري كل منهم عاشقاً يبكى غراماً ! متياً يشكو هياماً ، معذباً في
الهوى يعدد آلاماً ، ولو تنقبت الحقيقة ما وجدت لها إلا كلاماً أو فسقاً
حراماً ، فإن جارتهم سمعوك وآخوك وإن حاولت زجرهم باعدوك
وبالكبر وجميع المسالب قدفوك . وما نشأ ذلك إلا من فساد التربية وسوء
التعليم وخلل عواثدنا القديمة التي شببنا عليها وفي دائرتها وكلما سارعنا
في الخلاص منها وقعنا في هوة الافك حبا في التقليد الاعمى لمن نرى
أنهم مثلنا أعلى . . . ! ولربما أنا واهمين .

المبحث الثالث

الفصل السابع

٢١

فساد العائلة

نستخلص من المبحث الأول والثاني ، أن علة تدهورنا الاجتماعي
والمحطاطنا الاخلاقي هي فساد تربية العنصرين ؛ لهذا كان المتبادر الى
الذهن أن تكون التربية موضوع هذا المبحث ، ولكن اتباعاً لطريقة
الاستقصاء والذهاب وراء علة كل معلول نرى . أن فساد التربية نجم
عن فساد العائلة الناشيء هذا عن خلل في تكوينها وغلط في تأليفها أي
فساد طرق الزواج عندنا

ولو أنك ألقيت الطرف يوماً الى المحاكم الشرعية منها لرأيت
الجموع الحاشدة والآلاف من النساء والرجال متهاككين في خصوماتهم !
وما هم الا الرجل وزوجه والمرأة وبعولها ! وهؤلاء رغم عظم عددهم ليسوا
إلا جزءاً ممن احتوتهم المرافق وآوتهم المساكن وهم على الشحنة مقيمين
وفي التناوب مغرقين ، يتمني كل من كل الخلاص فلا يهتدي اليه السبيل
منعهم ظروفهم من التقاضي حرصاً على حشالة الحياء وضناً بالمال أن ينفذ

با نمر أن ينقضى ولم يفصل بعد في شكاتهم !
وزوجان تساكنا على هذه الحال دون أن يظلمها شيء من وفاء
الزوجية أو اليسير من الاخلاص في العشرة، يبذل كل ما استطاع من
كيد نكاية بالآخر حتي يهلك في ذلك ماله ووقته !؟ فهل يجد ان
وقتاً أو مالا لاصلاح حال أولادهما ازد على ما يفلت من أحدهما في
حق الآخر من سيء القول ورديء الفعل أمام أطفالهم التعمسين - مع أنني
لن أكون منادياً أكثر مني في حضرة أولادي - فتنبت في نفوسهم بذرة
الشر التي تغدو دوحه الأثم يوماً فتكلم أفئدتنا وتدمى قلوبنا
ولو أن هذه العائلة أسست على دءائم صالحة من الولاء والاخلاص ،
بقبول من الطرفين ورضا الزوجين لوجودا من ميلهما وودهما مبعثاً
لراحتهما ودافعاً لتعاونهما على ما تتطلبه هذه الحياة فيتعهدان الطفل
بالاشتراك بما يجعله قرّة عينيهما وكعبة آمالهما ورآة حبهما ولا أعطيانه
من نفسيهما خير مثال يحتذى به في حسن الأدب والمعاملة مع الناس
واحترام كل الآخر . حتي يصبح رجلاً يفيد بلاده بعزم صادق . ولن
تكون هذه العائلة الا باصلاح طرق الزواج

الفصل الثامن

٢٢

النزواج (١)

خلق الله الذكر والأنثى وأوحى بقرانهما ما أوحى وجعل الزواج عروته الوثقى وخصه بالنعم العظمى والجزاء الاوفى . الزواج رابطة الجنسين ومحك اتصال النوعين وموحد القلبين وعلّة بقاء الثقلين على كرّ الجديدين به يستكمل المرء نقص نفسه ويريح قلبه ويسعد فؤاده ويسر نظره ويمتد بدنّه ، به يستنضض المرء همته ويقوي من عزيمته وينشط مروءته ويجهد قدرته لهناء أسرته

بالزواج يصبح الرجل وليا وربا وأبا . ولي لزوجته ورب لبيتها وأب لولده . فالزواج سر خلق الرجل والمرأة ووحى العاطفة الانسانية قبل الغريزة البهيمية ، به يتخذ الرجل معينا أميناً وجليسا أنيساً ، به تكون العائلة ومن العائلات تتألف الأمم ، فحقا انه لعمل جليل

هو عبارة عن وفاق مفهوم أو مشهود به بين ذكر وأنثى على ان يرتبطا رباطا وثيقا يتعاضدان به على تأليف هيئة جديدة ويتشاوران ما نالها من السراء والضراء وغايتها انما هي انماء الجنس البشرى قياما بما سنته العناية من نواميس الطبيعة . (دائرة المعارف)

الزواج أمر لا بد منه تسوق اليه العواطف والفرائز، فيشعر الرجل
مذ تحركت بقلبه المشاعر وتأججت بفؤاده الوجدانيات أنه في حاجة
الى الف يشاركه خطرات قلبه وتفتتات صدره، ولا يزال هذا الشعور
ينمو بنمو الاحساس فيه فيهم باحثا عن ذلك الالف الخدين أو الشطر
الثاني للانسان الكامل فاذا هو: المرأة، ولا يجمعهما غير الزواج، سنة الله
في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولو أن للرجل أن يحيا منفصلا عن المرأة ودون حاجة اليها ما خلقت
لآدم حواء لتعوضه عن جنة الخلد بحلاوة الابناء وسعادة الولاء وطيب
الهناء، ولو كان لآدم منفردا أن يعمر الكون ما وجدت بيننا النساء
وهل خلقت المرأة لغير الزواج، به يضمها الرجل الي جنبه ويلصقها
به لتعاضده على هذه الآلام الدنيوية ويشدأ أزر بعضهما بعضا ويقوم كل
بما ينفع صاحبه ويرضيه فما أجمل الزواج وما أحلاه

تخيل أن لك زوج تود لقياك وتحن لمراك ترقب مجيئك بفارغ
صبر وتستقبلك بوجه وضاح يعلموه البشر والانشراح. فاذا كنت بعيدا
تخيل أن هناك قلبا يحقق لك وانك تسمع نغمات الودية .

تخيل كيف تكون زوجك بين يديك تعي كل اشارة منك
وتفقه كل بادرة تأتيها لا ترجو إلا سرورك وراحتك

نخيل كيف تقاسمك حبورك وترحك وكيف تجتهد أن تزيل عنك
الأتراح إن كان ذلك في وسعها، نخيل أنها لا تتكلم إلا من فؤاد مخلص
وسريرة نقية وقابلها بالمثل تري أن الزواج من أجل ما أفاضه الله على خلقه

— ٢٣ —

الغرض منه

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل
بينكم مودة ورحمة » فليس الزواج لمجرد الشهوة البهيمية كما غلب
على عقول الكثيرين فاستعاضوا عنه بالفسق، إنهم لفي ضلال مبين،
جروا وراء شهواتهم وهم لا يشعرون بما حرموه من سعادة اللفة الزوجية
ولذة المودة القلبية ! وما دام قضاء الشهوات ميسورا لهم هان على هذه
الطغمة الاعراض عن الزواج جهلا وغرورا. وليست الشهوة إلا إحدى
لذات الحياة الزوجية وإن لم تكن غرضا لذاتها بل لنتائجها التي أهمها الولد
والنسل، وإنما منحنا الله الشعور بتلك اللذة حين القيام بهذه العملية
شاقة تخفيفا لآلامنا وتشويقا لنا، ولولا تلك اللذة الوقتية لأعرض
الرجال عن الوطء فانقرض النسل وباد العالم، فتعس الذي ظن سعادة
الزواج في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا

فاني مباه بكم الامم يوم القيامة» وليس الذين قضوا على النسل وأبتغوا الشهوات إلا من الأشرار المجرمين . عجبا ! أنسوا من المرأة رقتها ولطفها وطيب مودتها وحنانها وحقيق اخلاصها ولذيذ سمرها ! ألا يعرفون منها الا ما يعرفه أحقر الحيوانات من أشاء

اللهم أن هناك بعض فصائل من الحيوان تكره حياة السفاح وقد اختض كل ذكر يأتي يتبادلان كل المنافع باخلاص أكيد، ولو فرض أن طرأ على أيهما طاريء فما أمر حياة الآخر بعده ان لم يقض عليه أسفا فاللهم ما أعجب هذه العقول ! أفبعد ان يؤمن الحيوان والطيور بسمادة الزواج ولم يطالب مثلنا بطهارة الاعراض وسلامة الانساب يقوم منا المأفونون يبنغون ما انتبذه الحيوان وقد أحل له وحرم علينا ! مزر والله ايبي والله لنا سبل الكمل بما سن لنا من سنن كاملة وشرائع طاهرة فنحيد عنها نادا وكفرا ! فاللهم انما لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور

٢٤

اعتقادهم في الزواج

الرجال اليوم فريقان معرض عن الزواج وراغب فيه . أما الفريق الأول فهم أدعياء التمدن مروجي وباء السفاح أعداء العمران ممن خلبهم

شارع العاشقين بلندره وهيدبارك . وعلى يدهم وبمبدئهم الفاسد الذي لو قدر له الانتشار لقضى على هذا العالم القديم قضاء محتوماً ، فاللهم ارحم

أما الفريق الثاني فذي ثلاث شعب : من ينظرون الي الزواج من ناحية الشهوة البهيمية فقط ولا يطلبونه إلا من أجلها ، وزواج هذا الاعتقاد أساسه قل ان يعمر طويلا ان استمر هذا غرضه ، ثم ان طال أجله لامر ما فعلي مضض وتפור يصحبه ألم ، ولما كان هذا هو الرأي الغالب فينا فقد تفشى الشعب في العائلات وعم الشقاق كما يؤيد ذلك الواقع . ثم من يرغبون فيه فتمنعهم ظروفهم الاجتماعية وشمعية أولياء الامور مع فساد الجو العملي والفكري ، وآخرون يطلبونه سمياً وراء غم شخصى دنس لا يتفق مع الكرامة والاباء فى شيء وقل من يرجونه لما وجد له ؟

أما المرأة فليست بأرقى من الرجل في فهم سر الزواج والفرص الحقيقي منه الذي أوضحناه . بل انها لا تري الرجل إلا بعين شهوتها وبمنظار غلغلتها ، ثم انه ليس إلا عائلها الذي يعولها ويكسوها مقابل انصياها له ، وعلى ذلك فهي انما تبادله المنافع المادية الشخصية واحدة بواحدة دون أن يكون هناك أدنى رابطة روحية توثق عروة المودة القلبية بينهما ولهذا قل ان تحرص مثل هذه الزوج علي مصالح يعلمها حرص المبقى على الشيء المؤمل في غده لانها تري أن ليس بينهما إلا علاقة أوهي من أن تحمل كلمة من فيه ولم ينشأ ذلك الا من سوء تصرف الرجل

٢٥

الثقة الزوجية

الثقة هي غذاء كل العراطف وري حبات القلوب وعماد المعاملات
مادية كانت أو أدبية . فالمالى غير الموثوق به مقضي عليه بالافلاس
والأدي العارى من الثقة محتوم عليه الخمول، كذا كل عمل لم ترفرف عليه
ألوية الثقة فآله الفشل، حتى أن جميع المشاريع والمخترعات القيمة لم يبرزها
إلى حيز الوجود غير الثقة ، ولهذا نرى العلماء والمخترعين والزعماء السياسيين
يبذلون جهودهم لا اكتساب الثقة باشخاصهم وفى آرائهم لتجوز روعة
الحق وبهاءه

وأى عمل تري أجل وأعظم من تأسيس عائلة هي بمثابة ركن من
أركان الأمة ، وكيف يعقل أن تشاد أمة بغير ثقة ! وقد قضت سنة
الاجتماع أن حسن الظن من أكبر دواعى حفظ الامم ورفقها
وأين مجال حسن الظن اذا كانت العائلة على النفرة والكراهية ، أين
مجال حسن الظن اذا كان رأي الرجل في المرأة أنها من سقط المتاع وهي
انسان كامل الخلقة تام الأضلاع مكلفة أمام الشارع بما كلف به الرجل
دون نزاع، أين يكون حسن الظن اذا رأت المرأة فى الرجل المستبد

المطاع ، وأين يكون حسن الظن اذا رأى الرجل أن المرأة والشيطان سواء و (الرجال قوامون على النساء) ، أين حسن الظن اذا رأى الرجل المرأة عبثاً على كاهله يخاف عليه ولا يؤمن اليه وتراه يطلبها وهي رخيصة عليه يراقبها ولا رقيب عليه، أين مجال حسن الظن وهو لا يرى الا أن المرأة والشهوة البهيمية سيان فلا يعرف منها أو يطلب سوى فرجها كما أنه يتخيل بل يكاد يجزم أنها لا ترجو منه الا فرجه ! وقد صنف سادتنا السابقون سائحهم الله من الخرافات السقيمة والقصص المسممة التي صورت المرأة عارية من كل الفضائل لا تميل بغريزتها الا الى الخبائث فتسمت بها عقول الرجال وأثبتت سوء ظنهم بالمرأة . ولم أدر كيف أن هؤلاء السلف عملوا على أن يوسعوا بل ينشئوا شقة خلاف بين الزوجين الذكر والأنثى ! أليس ذلك بقاؤهم على حسن الظن ؟ وهل بغير حسن الظن تعمر القلوب ! وبعمار القلوب تعمر البيوت فترقى الأمة

الفصل العاشر

— ٢٦ —

شقاء العائلات

الحياة الزوجية

ما من شاب الا ويفكر ساعة في الزواج ولو لأحد الأسباب
والدوافع التي ذكرناها، ولكنه لا يلبث أن يسمع من آهات المتزوجين
وأناث المتأهلين ما يمحو لذيق أحلامه

وقل أن ترى اليوم متزوجاً لا يشكو متبرماً ويتأفف مثلاً كأنه
على السعير مقيم وفي الرمضاء دفين ! صرخة تكاد تصم ونزعة تكاد تعم .
فما أسبابها وما علتها وكيف يكون علاجها ؟

كتب في ذلك كثيرون منهم من حاد عن جادة الرشد ومنهم من
أصاب لب الحق ، لكنهم لم يضعوا أنفسهم موضع الأساة واكتفوا
بالصراخ والعيويل والنحيب والتهويل ! فهل تزيل دموع البكاء ألم الداء
أو تخفف عبرات العيون من خطر المرض والوباء اكلا وألف كلا !
نعم ان الأمر مبك والحال تنقطع لها نياط القلوب، حتي لا يفكر فيها
أمرىء الا وعيناه تذرف مدامع الحشرات وقد حشرج صدره بفصات

وزفرات نعم ان الحال تحتاج نادبا وناعيا . يندب لنا أحلامنا وينعي
علينا أفقدتنا !!!

يتوجع المتزوج جهارا علي رؤوس الملائ ولا يدرى أنه بذلك يقدم
اعترافا على سوء تصرفه و اقرارا بعجز ادارته فيقيم الدليل على قصر
نظره وعدم ادراكه لمعنى الحياة
وأن للحياة المنزلية لسياسية واسعة النطاق وتدابير وأجراءات
تطلب من الحزم والتفكير مثلما تتطلبه سياسة الدول والحكومات حتي
قالوا أن البيت مملكة صغيرة . ويتكون من مجموع هذه الممالك الصغيرة
جسم المملكة أو الدولة التي ترجع سياستها غالبا الى ما تكون عليه حالة
بيوتاتها، والرجل وحده هو المسؤول عن سياستها فهو رب البيت وصاحبه
والرأس الاعلى فيه ، فما يشكو وحقا أن تكون الشكوى منه ! أنه يثن
تحت عبء المسؤولية التي لم يقدرها عند أقدامه علي الزواج !
أنه يشكو ممن ألزمها أن توقف له حياتها ولا يريد أن يمنحها من
وقته أو ماله أو أهوائه شيئا !

أنه يتبرم ممن قيد حريتها وحبس أهواءها ولا يميل الى النزول
لها عن شيء من حريته وأهوائه !

انه يتأفف كلما خال الزواج قيذا وتوهمه سجننا لشهواته ومفاسده !

دقق النظر في شكوي البعل فهو لا يستطيع أن يحصرها أو يحدها بل لن يمكنه أن يعينها لك أنها من أعمال المرأة أو من المرأة نفسها أو من غيرها، والحقيقة أن المرأة إذا كانت من وسط زوجها لن تكون سبب شقاق لولا سوء تدبير الرجل . فان الفتاة عندما تنتقل من دار أبيها إلى بيت بعلها تكون في حالة تشبه المعلن الذائب على أهبة أن يصب في أي قالب يريد الزوج ، حتي أنها تكيف نفسها لما يلائم مزاج وليها في ظرف وجيز ، فواجب الرجل أن يحرص على الأيام الأولى من أيام زواجه لأنها ستكون كبرنامج حياته الزوجية فيما بعد ، فيها تدرس المرأة عاداته وأخلاقه وتطبعها في نفسها .

وكثير ما يتكلف الرجل في شهر العسل أخلاقاً غير أخلاقه وخصالاً غير خصاله وأعمالاً ليست من جهده ولا من طاقته ثم لا يلبث بحكم الضرورة أن يحيد عنها راجعاً إلى طباعه وعاداته فيجد بينه وبين حليلته فروقا هو الذي كونها ، تكون بذرة الشقاق وعلة شكاته ، وعلى نفسها جنت براقش . ولو أنه ظهر من أول أمره بدون رياء بأخلاقه وطباعه الحقيقية لعرفت من هو زوجها وعلمت على أن توافقي مشاربه ، أما وقد ظهر لها في توبين فقد أربك عليها أمرها وغدت في حالة تشبه أمر الغراب ! ليس هذا كل ما يأتى الرجل مدي أيام حياته بل أن أفكاره ومعتقداته وآرائه لدى أثرين في حياته الزوجية ، وعلى قدر صحة ماله من

الافكار تكون سعادته أو شقاؤه. ومن أكبر اغلاط الرجل أن يطالب الزوج
بواجبات كثيرة قد تكون غير مسؤولة منها ثم أنه يهمل في قسطه من
الحياة الزوجية جاعلا نفسه في حل من ذلك الاهمال لعدم تمكن المرأة
من سلطة تضطره بها الى اداء واجباته غير انه بذلك يولد في نفسها
فكرة امتيانه لها وقل ان يحمل مخلوق مهما صغرت نفسه هو انا، فيكون
ذلك داعيا لاهمالها راحته فاذا ما أحس بذلك لا يحاول اصلاح خطئه
بل يزيد الطينة بلة بتماديه والتجائه الى طرق يزعم فيها راحته وهى أكبر
إرة (١) في سعي العائلات

٢٧

واجب الرجل

لا يريد الرجل أن يكون مدينا بواجب ما نحو المرأة وهو يميل
أن يجعل كل رغباته واجبات وفروضا عليها مع ان واجبات
الرجل ما أقلها، ولكنها هى على قلبها مهر واجبات المرأة الجسيمة
العظيمة.

ان من الصعب تحديد تلك الواجبات تفصيلا ولهذا سنجمل
الإشارة اليها في أهم مواضعها : فانك ترى في كثير من العائلات عدم
ميل المرأة للتوفير حتى لتجتهد بكل حيلة لتبديد أمواله بدون حرص

(١) إرة هي الحفرة الملائى بانار

فيظن الرجل المسكين ان ذلك من نشأتها وتربيتها! ولربما كانت تذكر
اله في أحاجيها عاداتها في بيت أبيها! والحقيقة أنها كاذبة. إذ فعلت ما فعلت
لما رأتها من عدم اقباله على بيته حتى فضل عليه القهوة أو (البار) أو إحدى
لمحال العمومية .

وقد يعتاد الرجل قبل زواجه قضاء أغلب أوقات فراغه متنقلا بين
محال اللهو حتى اذا تزوج لم يجعل لزواجه تأثيرا على تلك العادة المرذولة
واستمر متابعا خطته العوجاء غير ملتفتا الى قسيمته في الحياة التي أصبح
مطالبها بانسها وسمرها وطربها واسعادها من جميع الوجوه ، وان
ساعة يقضيها الرجل بين جدران داره في مناجاة حرمه لأجدي عليه من مائة
ساعة يقضيها بين أمكنة اللهو ومراتع الرياضة و (نعم صومعة الرجل
داره) حديث

فهي اذاً تندفع الى تبديد ماله حرصا عليه ورغبة في ابقائه لنفسها
لأنها تري في ذلك رأيين . أولهما : انها ان لم تبده هي بدده هو في محال
اللهو والفساد دون أدنى عائدة عليها أو عليه اذ يهلك المال بذلك تماما .
أما هي فان أسرفت في زينتها وحليها فاغلبه باق لها وهذا دون شك أخف
من الاول خطرا .

وأما كانت تخشى ان يتزوج من ثاية . وهذه الافكار السخيفة ما
لوثت عقول المرأة الا بعد تجارب عديدة! اذ تكون المرأة آمنة مع بعلمها

وبدون أدنى سبب تري أو تسمع أنه تزوج بثانية ! وهذا أمر كان شائعاً ولا يزال تنتشر في أذباله بين الطبقة الوسطى والتي دونها وفوقها أيضاً ثم إن كثيراً من الرجال ينظرون إلى أزواجهم نظرة ، صغيرة فلا يميلون إلى سرها أو ، يبادلونها القول وأن تكلم فبالأوامر والنواهي بكل شدة وجفاء وبالفاظ ليس فيها رائحة الاحترام أو المحبة
إنما المرأة مرآة بها كل ما تنظره منك ولك

مثل هذا الرجل لا يلقى من زوجه أدنى عاطفة أو احترام وإن أظهرت له طاعتها فقد أخفت كراهية وسخما شديدين لا تلبث أن تبشها في نفوس صغارها فيشبون الأولاد على خوف وكراهة أبيهم فإن محبة الأولاد لا ييهم من محبة أمهم ، وقل أن تصلح لهذا المسكين تربية فقد لا يسمع كلمة حق صريحة لم تمددها حرارة الخوف أو تقلصها رطوبة الحذر .

وقد قال الله تعالى في كلامه الحكيم

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم »
فالرجل العاقل يقدر أنه بزواجه سينتقل من طور العزوبة إلى طور الزواج فيصبح رب بيت ورئيس أسرة عليه هو أن يسعى لراحتها بكل ما استطاع من قوة ولن يمكنه معرفة ما تتطلبه الأسرة إلا بملازمته لها وبملاحظته أياها ، والمرأة كالصبي تفرحها كلمة وتغضبها نظرة ، تخيفها

الشدة ولا تقومها ويفسدها التراخي ولا يسعدها، وليست سياستها بالامر
الهيّن وليس كل متزوج رب بيت وهو فطير الرأى غريب العقل في حاجة
الى التثقيف لانه ويا للأسف لم يتلق عن أيه شيئا بل وما نقل عنه الا كل فاسد
لا يصلح ومع ذلك تراه قد جفخ وشغ وحسب نفسه عالم الاولين والآخرين
حتى اذا فاهت زوجه بكلمة بحسن نية اولها الى غريب المعاني وأسفلها لها كأنه
بين اخوانه في ماخوذ أو (بار) لقرب عهده به ولشدة تأثيره عليه ، مهلا أيها
الرجل ! ان المرأة لم يصل علمها الى حد الامام بنكت (الغرز) و(قفش) الخانات
حتى تحاسبها على كلامها كأنها إحدى جلسائك بالخان امام الدنان ،
نعم انها جرحت احساسك ولكن بدون قصد فعفوا ! لانها لا تفهم من
عبارتها الا ظاهر معناها وليس لها سابقة اطلاع على علوم التورية البلدية !
نعم عزيزي القاريء : ان كثيراً جداً من الرجال يشقون أنفسهم
بأويل كلمات نسائهم على حسب قواعد التورية البلدية التي لن تصل
اليها أرقى متعلماتنا وقد تلم بها جيداً المومس وبائعة البرتقال والممثلة ،
نخير لهم لو عاملوها بعلمها لا بعلمهم والا اضطرت الى لزوم الصمت
وامتنعت عن ذكر ما يختلج بنفسها من شكوى أو ذكرى فبغض اليها
سر زوجها وتكون من البائسات

وقد ينظر الرجل الى كثير من الامور المنزلية العائلية بدون اكرث ولا
يعيرها أدنى اهتمام لانها من صغار الأمور وسفاسف الاشياء في نظره وقد

تكون هذه الاشياء البسيطة الواهية كما ادعى أكبر أثر في النفس
والمواطن مما قد يوليه اهتماماً كبيراً . فلو امتاد أن ينادي زوجه بما
يشعر بالاحترام والمحبة واذا أدت اليه عملاً ولو بسيطاً تقبله منها باسم
الشكر ضاحك السن ولا بأس من أن يقول لها كلمة شكر فاذا أراد أمراً
قاله بصفة استحسان أو استشارة مصحوبة باظهار رغبته في تنفيذه، واذا نهاها
عن شيء كان في قالب نصيحة مبيناً مساوياً ومضار ما ينهي عنه محاولاً
أن لا يلبس ثوب المستقبل الغشوم . على أن لا يغفل التنبيه على كل صغيرة
وكبيرة في ثوب قشيب وأسلوب رقيق . ويبادر باستجلاب ما تشتهي
قبل أن تطلبه وان طالبت أمراً فليسارع بتنفيذه إن لم يك مضرراً أو مفسداً
وان لم يكن في استطاعته . وبعض النساء سريعات الغيرة يملن الى التقليد
لجأ الى استقباح هذا الشيء بأسلوب لا يشعرها بأن ذلك بناء عن طلبها
وانما مجرد ذكر وانتقاد . ان من لانت كلمته وجبت محبته . ومن أكبر
ما يستجلب رضا المرأة عن زوجها ويكون دعامة المودة بين قلبيهما أمر
قد لا يذكر صراحة إلا في حالات الاعمال ، مهلاً أيها القاريء . فليس
هو بالذي تبادر الى ذهنك إنما هو الأكل ونظامه ومما لا شك فيه
أنك لو خبرت الزوج بين أن تأكل أنخر الأطعمة على افراد وأن
تأكل أحقرها مع زوجها لفضلت الثاني بلا أدنى تردد . حتي أن كثيراً من
السيدات اللاتي اعتدن الأكل مع أزواجهن لا يتنذرن بالطعام ان

غاب بمولتهن اقليجته الرجل قدر استطاعته في أن يكون شريك حليلته في أوقات الطعام ، ثم استسمح المبطنين والشرهاء في أن أستحسن لو أثر الرجل زوجه على نفسه فنجها بيده خير الموجود محاولاً أن يشركها معه في كل لقمة وقضمة . اما الذين يقولون بان المرأة هي التي بيدها كل شيء وهي التي تجود بها علي رجلها فقوم أعمام حب النفس حتي عميت أبصارهم عن طباع المرأة التي ألحنا اليها أعلاه فهي ان كانت من الأغنياء وقد طبخ الخدم وجهن الطعام لا تقربه حتي يحضر زوجها ثم لا ترضي أن تسابقه الي طيبات الاطعمة وهي لا شك أدري بها منه وبالأولى ان كانت تصنعها بيدها

أما ان رأت منه ذلك الشره والاشعبية اضطرت أن تخص نفسها بما تشتهي وبذلك ينهدم ركن كبير من توافق الزوجية ، أما لو سلك السبيل التي نرشد اليها رضيت عن طيب خاطر أن تخصه بأخف شيء وخصوصاً اذا كانت طاهية بيدها تحفته بجهد واجتهاد بكل مالد وطاب ، زد على أنه قد ملك بذلك نفسها وعواطفها إذ تذكر دائماً أنه يقدمها على نفسه في طعامه . وهذا أمر عندهن جسيم يذكرونه دليلاً على فرط المحبة والاعزاز وتتأثر بذلك عواطف المرأة الوجدانية وقوة المرأة منصرفه في عواطفها وبذا يسلس قيادها وتلين شكيمتها . ولكن احذر كل الحذر من التصريح بهواك لها جهاراً أو ذكر سالف خديناتك وخليلاتك أو استحسان

امرأة قابلتها أو رأيتها في الطريق، وابتعدت عنها قدر المستطاع عن الروايات الغرامية
السافرة إن كانت ممن تقرأ، واجتهد قدر طاقتك أن تشغل وقتها كله فلا تدعها
خالية أبداً وحاسبها على الوقت من طرف خفي وكن دقيقاً حذراً من ذمتها وأعيانها
لا تجابهها بشكوكك أو ظنونك، ولا تفرط في غيرتك إلى درجة سوء الظن
ولا ترخي العنان إلى درجة الإباحة، واجعل نفسك مسؤولاً أمامها ليسهل
عليك أن نسألها واخبط بين الجد والهزل معها أني شئت ألا أمام الناس
وأولادك، واجتهد أن تعاونها من نفسك في كل شيء ولكن لا تسمح لها
أن تكل إليك مالا يخصك، واعلم بأن الزوج خير من الصديق فما كتبه
عنها لا تبحه لصديقك فهي أحرص الناس عليك بعد أبويك

٢٨

واجبات المرأة

هنا كلمة أود أن أسرها لأختي فتاة وادي النيل محاولاً قدر ما استطعت أن أكون رقيقاً متأدباً في حديثي لعلني أقنعها بما أريد ، نعم ان مدارك بنت مصر العالية ليست في حاجة لنصيحة ضعيف مثلي واني لم أتقدم بهذه لأن أكون مرشداً أو واعظاً حاشا لها وهل هي في حاجة لوعظ واعظ أو ارشاد مرشد وقد طبق الخافقين علمها وبلغ السماكين أدبها ورقبها ومن ذا الذي يتجارأ على نكران ذلك ! وهل أصابته غمة فلم يبصرها في الطارقات وقد سابت الرجال في تقليد عادات أبناء المغرب فبرزت في ميدان ولم تدع باباً من أبواب الرقي الحديث إلا كانت أول والجب فيه ولا ضرباً من ضروب التقليد . . . لا بناء وبنات الغرب الا وهى أول مقدم عليه !! ماذا جرى وما الذي أقام بعض المشهورين ! لقد نظرت المرأة المصرية (بواسم) نظرها فرأت أن الغرب قد جاء الى الرقي والرفاهية مراحله واسعة فأخذت على عاتقها أن تقلب مصر فالشرق الى حالة تفوق الغرب بكثير ، فهل لا ترى ذلك (بردون) يا عزيزي ، ألا ترى أنها أصبحت أوفر من بنت الغرب فى التوايى والبيان والدانس وملاحقاته. وأنها تحافظ بكل شرف على الراندقو ثم أنها

تفوق ولا شك بنت مغرب في ندغ اللبان وهز الفلك (ومهارشة)
البائع والدع مع الكسري . . ؟ العفو العفو: وهى أيضا سياسية واسعة
الاضطلاع فى الأمور السياسية الوطنية تتابع بشوق ولهف الحوادث
القومية مع كل . . بل تام وعقلية . . لا يملأها سوى المودة الجديدة
والفستان الجميل، مبالا أنها أيضا تقرأ الجرائد والمجلات والاعلانات
والروايات خصوصا الغرامية وزور السمات والتياترات والحديثات
وهل تطلب من مزيد أنها تجيد الضحك والغمز واللمز وانتقاء الجميل
من وانتقاد الثياب التي على الغير من نساء . . . ! ماذا تريد أيها
الرجل من الجنس اللطيف أكثر من ذلك ! ! ولماذا تفضل عليها بنت
الغرب أيها المقتون وقد بلغت فتاتنا هذه الدرجة من الجمال الترى جنتيه . . !?
لا لا . ان الرجل لا يتزوج ليفتح على نفسه بابا من أبواب جهنم
فيأتيه أحد الزبانية يسومه سوء العذاب . فأن امرأة كالتي وصفت ستحرم
بعلها الراحة على الدوام لأنها ستقضي نهارها في أودة التواليت وقراءة بعض
الروايات وزيارة بعض الصويحبات وليلمها فى احدي الملاحى أو (السمات)
الخيالات أو محلات (الدانس) الرقص الا فرنكي فهل يرضيك هذا يا أخت ؟
فمن الذي يرعى الدار وما فيها ؟ ومن يتعهد الاطفال ويربها ؟ يستطيع ذلك
الرجل وله أعمال وأشغال ؟ أو هل تكفى الخدم لأداء كل شيء على ما يرام
حتى تربية الأطفال ؟ وهل تسمحى أن ينشأ طفلك فلذة كبذك بين أحضان

الخادمة أو الخادم فتفسد روحه وتنفت فيه أخلاقها ! ألا تكونين اذاك قد جنيت على ولدك وقرّة عينك وسلبتيه أكبر نعمة ألا وهي الاخلاق وحميد الخصال اذ يشب بين الخدم وفي وسطهم الخطر الذي لا بد مؤثر عليه - والى ذلك يرجع فساد أخلاق أغلب أولاد النبلاء - ، هذا اذا كان زوجها من الاغنياء أما اذا كان من متوسطي الحال لا بد أنه يموت هو وأولاده خير من حياة منغصة . . . !

انما الفتاة يجب عليها قبل أن تحاول اتقان التوايت والبيانو والدانس أن تعلم جيداً ان هذه الامور لا حاجة اليها قبل أمرين مهمين جداً بل ثلاثة هي : - كيف تكون ربة بيت ؟ وكيف تكون أمّاً ثم كيف تكون زوجة هذه العلوم الثلاثة هي خير ما تتصف بها امرأة ، وان الفتاة التي تعلم كل هذه الثلاثة لهي الزوج التي تسعد زوجها حقاً ويسعد بها زوجها . . .

كيف تكون ربة بيت : يرجع ذلك الى علم ادارة المنزل أو علم التدبير وهو علم ضروري جداً لكل امرأة وقد حض مبدأ الكشافاة الرجل على تعلم شيء منه وذلك دليلاً على أهميته لكل انسان فكيف بالمرأة التي عليها مدار البيوت ! يتعلق بهذا العلم أمور كثيرة من أهمها الطبخ والحياسة والتنظيف والترتيب ومنه أيضاً المعجين والخبز الخ. غير أن فتياتنا المتعلمات يستنكفن عمل هذه الاشياء حتي زعن فيها امتهاناً مع ان هذا العلم ضروري للمتعلقة والعامية والغنية والفقيرة على السواء ، وليس هناك

تنافر بين التعليم والتدبير بل هو جزء منه ولا يمتنع الغني عن تعلمه ولو على سبيل المعرفة فتكون السيدة اذاك أقدر على معرفة مهارة الخدم وامانتهم وجودة ما يعملون من رداءته على عكس ما لو كانت لا تدرى في التدبير شيئاً لشابهت من يتناول منح الغير وان كان من مالها وسندسوق واقعة من هذا القبيل :

نزل باحدي مدن الوجه القبلي أحد كبار الموظفين وعلى حسب عادات النساء عزمت السيدات علي زيارة حرم ذلك الموظف، ولم يلبثن ان غدون وزوج هذا الموظف في وداد وتراور ، حتي اذا عادت احدهن من زيارة تلك الزوج ذات مرة سألتني ان كانت كل المتعاملات علي هذا الشكل أي شكل (الست هانم) ولا جيب عن هذا السؤال العويص سألتها عما عرفتة عن الست هانم فقالت : كانت ناظرة مدرسة وتزوجت هذا العام بقريبها الذي نقل حديثا الى هذه البلدة ، وهي لا تعرف من الاعمال المنزلية شيئاً، وقد تعذر الحصول علي خدم بهذه البلد فاصبحت حالتها بؤسا ونكداء ويظهر أن هذه السيدة سألتها عما تعرفه من التدبير ، فادعت أن هذه أعمال قذرة وشاقة لا قبل لها بها ولا تليق لها. وبعد خمسة عشر يوماً أصبحت تتمني معرفة كل شيء حتي طلبت الي هذه السيدة ان تعلمها ما استنكرته بالأمس افلو تعلمت هذه ادارة المنزل ما أكلت خبزاً برمله وحصاه فوق العشرة أيام .

كيف تكون أما : ان من حكمة الزواج إنماء النسل . ولن

يصلح النسل الا بالتربية ولا يكون ذلك الا بعناية الام ، وفن التربية يجب أن يدرس في كتب مطولة . وللتربية ثلاثة أطوار تختص بالمرأة : الطور الاول في الحمل لأنه يقال ان جميع التأثيرات التي تتأثر بها الحامل تترك أثرا من نفس الجنين فيحسن بالحامل أن تجتهد دائما أن تكون هادئة النفس مرتاحة البال قريرة العين محاطة بمناظر جميلة نبث في الفؤاد ارتياحا وانسراحا

ثم طور الرضاعة ويحسن فيه اتباع النصائح الطيبة من عدم اكل الرضاعة ، وانى أحض واستحسن كثيرا جدا أن ترضع الام ابنها فهو ابنها ولا يصح الكبر على الامومة ، اذ لا يمكن أن يوافق لبن لبنها مهما كان ويجب احاطة الطفل في هذا الدور بمناظر جميلة وأصوات حسنة والسن فصيحة ، ولا يصح مداعبته بلغته انما يحسن أن ينطق أمامه دائما باللسان القويم حتي يكون سريع النطق جيده ، ويجب ان يبعد عنه العادات القديمة من علم النساء لأنها تسبب له الامراض اما النظافة فلا داعي الي الحض عليها وهي من أوجب الواجبات المعلومة ، اما الطور الثالث فيبتديء من الفطام ويجب ان لا يعطى له أطعمة دسمة ابدا ولا يأكل اللحم الاحمر الا بعد الخمس سنوات ويرجع في ذلك الى اراء الاطباء . ويجب ان لا يسمع الطفل أو يري من أبويه الا كل حميد . ولما كان الطفل يلزم أمه اكثر من أبيه كانت أخلاقها وعاداتها واعمالها والمناظر أكثر

تأثير في نفسه فان لم تكن هي كان الخدم ومما لاشك فيه انه لا توجد اي سيدة مصرية ترضي ان يشب ابنها مشبعا بروح ونفسية الخدم السفلة المساكين والطفل منذ الثالثة في عمره تظهر غرائزه وأمياله او تبدأ تتكون فالام العاقلة تصقلها ولا بأول وتحولها الى أشرف الغايات مع ملاحظة ان مخ الطفل كلوحة المصور الشمسي تنقل كل ما مر أمامها فتكرار الفضائل والمحامد تفرز في نفسه حبها وتتأصل هي بفؤاده ولن تتمكن الام من ذلك الا ان كانت ملمة بعلم التربية

كيف تكون زوجة : لا توجد فتاة لا تعرف كيف تكون زوجة والحقيقة غير ذلك لان المرأة لا يمكنها أن تكون زوجة حقيقة الا ان عرفت من هو الرجل وما مكانه منها وما مكانها منه ، استرق السمع الى حديث السيدات على بعولتهن في أي طبقة ترى أنهن لا يعرفن : من الرجل؟ ولوعرفت المرأة من هو الرجل ما غرها منه رواؤه وخطبها منه بهاؤه إذ لم تتفاوت الرجال بحسن الوجوه وجمال السحن فلو كان الامر كذلك لكانت المرأة غالبية الرجل في ذلك المجال على الدوام ولكن الرجال بالاعمال فلا هي بالجمال أو بالمال فيكم ترى لا يعرف من الارض الاقريته وسوقها وكم جميل نafس المرأة في سوقها فتقدير الرجال بهيئتهم الظاهرة خطأ محض واساس كبير للشقاء العنصرين

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والادب

وقد نصحت اعرابية ابنتها عند زفافها فقالت .

أي بنيتي ، انك فارقت بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي فيه
درجت الى رجل لم تعرفه وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبدا
واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا

أما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة
أما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك
على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح
أما الخامسة والسادسة : فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه
وعياله وملاك الأمر في المال حسن التقدير وفي العيال حسن التدبير
أما السابعة والثامنة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه فان تواتر الجوع
ملهية وتنغيص النوم مغضبة

أما التاسعة والعاشرة ! فلا تمص له أمرا أو تفشين له سرا فانك
ان خالفت أمره أو غرت صدره وان أفشيت سره لن تأمني عذره ثم
أيك والفرح بين يديه ان كان مغتما والكآبة بين يديه ان كان فرحا (أه)
حكم بالغة ونصائح غالية من فهمتها ووعتها فعملت بها فقد عثرت
على عظة الدهر وطرقت باب السعادة وعرفت من أين تأتي . وأن
المرء لا يجد ما يزيده عليها ، ولو انا أحيينا أن نعرف نصائح الأمهات

لبناتهن اليوم (١) لزرفت عيوننا بدل الدمع دماً على ما تشربت به نفوس الجنسين من سوء الظن ببعضهما ، نبكي ويحرق لنا البكاء على المرأة التي كانت تقول: إن المنزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد . تلك المرأة التي كانت تري بيتها جنة وبعلمها روضة وولدها زهرة ليس لها في نفسها أكثر مما لهم ، وأين هذه المرأة الآن ، في ثياب عادي مادامت

(١) نصيحة أم لابنتها في هذه الايام باللغة العامية على قدر المستطاع وهي حقيقة لاجال للتصنيف فيها :

أنت دلوقت بابنتي داخلة على رجل لا يعرفك ولا تعرفيه فاوعى توريه انك تحبيه وتوريه رياتك قوام ، وكل ما يقول هيه تقولى طيب لآه ، خليكى غالية عليه ماترخصيش روحك ، ودايماً أطلبى منه طلبات عشان تعرفي ان كان يحبها لك يكون يبحبك وخلي لك قرش دائماً تحت إيدك من وراءه ، لأن الرجل يابنتى زى البحر والمتغطية بالراجل عريانة يقولوا في الامثال محبة المرة في الراجل زي البصاره في الطاجن ومحبة الراجل في المرة زى العدس في التنجرة فيا بنتى خليكى دائماً غالية بيغددتك وتؤلك لان الراجل لما يشوف عين الارادة من المره يشد فيها ويرخى . ولكن انت ما تستحمليش له كلمة أحسن بعدن يركبك ولا ياكيش في عينه بزار . هذه مختصراً على قدر وسعت ذاكرتي ثم اذا كانت أمها ستسكن مع آل زوجها يزيد على ذلك :

وأنت دلوقت داخلة في بيت كبيرة مش تعملى نفسك سمارة سخرة كل من آل شى يركب لآه ، انت مرات راجل معلشي كل حماك ما تقولك على حاجة منجى عن حاجة واعملي حاجة وهكذا .

فاللهم اغفر وارحم لأنك خير الراحمين .

في عقر دارها فان عازمت على الخروج قامت الي غرفة الزينة فخرجت منها عروسا للنظارة من السابلة والسوقة، تراها متكبرة في بيتها ولا تكاد ترد يد لامس في الطرقات من الارازل والانزال ، مع أن واجب الزوج الصالحة أن تلازم دارها حين عودة بعلاها في أحسن زينة لتقابله أحسن مقابلة فتزيل عنه وعشاء العمل وجهد الحياة فيعرف أنه حقاً بلغ داره جنته ومأواه حيث راحته وهناءه، فان مقابلة الزوج لرجلها حين عودته أقوى مريح لنفسه مزيل لمثاعبه تشرح صدره وتفرج كربه مهما كان مغتماً أو مهموماً ، وعلى عكس ذلك إذا أساءت لقائه كانت هي والاعمال عليه حرباً فلتتق الله ولا تصدمه صدمة صلباً وهي متكأه ساعة النصب وجليده وقت اللعب، ولتبقى حاجتها بعد حاجته تملك بذلك نفسه ومشاعره ، ولتحذر أموراً خمساً ما اتصفت زوجة بواحدة منها حتي بغضت الى زوجها ونفست حياتهما معاً

أولاً — كثرة الآثمين والتوجع بلا مرض

ثانياً — ذكر ما لا يفته من متاعب في البيت وأعماله ، لأنها بذلك

تدل بعملها كمنة عليه

ثالثاً — الحنين إلي سابق حياتها وسالف أيامها قبله .

رابعاً — كثرة التزين والتبرج حتي تفتن بمرآتها عنه

خامساً — اللجاجة في القول بلا مسوغ

ويقولون باستحسان ثلاث خصل في المرأة لا تحسن في الرجال وهي
الكبر لأنه في المرأة مزيد في حياثها داعيها الى عدم مخالطة غيره
البخل لأنه فيها ادعى الى التديير والاقتصاد وعدم التبرج والتبذير
الجبن فهو يكسبها الحذر والخوف من الاقدام على كل ما يخشي
منه وهي الرذائل

وقد قيل في الحديث الصحيح .

ما استفاد المرء بعد تقوي الله خيرا من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته
وأن نظر اليها سرته وأن أقسم عليها أبرته وأن غاب عنها نصحته في نفسه وماله
وقال أصدق القائلين في محكم التنزيل : —

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما انفقوا»
«من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله، واللاتي»
«تخافون نشوذهن فعضوهن واحجروهن في المضاجع واضربوهن فان»
«أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا»

الفصل الحادي عشر

٢٩

كيف نتزوج

ليس بخاف علي أحد كيف نتزوج. فكم حضر المرء بنفسه حفلات زفاف أو عقد، وكم قرأ الفاتحة أعلانا للخطوبة، ولا يوجد فتى أو شاب علي غير تمام علم بالمتبع في هذا الأمر، ان لم يكن بالمشاهدة فبالسمع، لهذا لا يكاد يجمل واحد منا طرق الزواج المتبعة الآن تلك الطرق المتبعة عن السلف بالتوارث والتي لا تخرج اجمالا عما يأتي :-

يعزم الشاب على الزواج فيكشف بذلك أهله واخوانه ليجري البحث عن عروس له بين طيات سجن البيوت، حتي اذا صادفوا من نالت منهم هوي راحوا اليه يتغزلون بحاسنها فيعشقها، والأذن تعشق قبل العين أحيانا، ويقوم لمقابلة أبيها ليساومه في شراء بنته ويتعسف هذا في قوله ويشتط في طلبه والشاب لا يضمن بشيء في نوال المأمول حتي يقضي الامر ويتفق الطرفان، ويكتب العقد ويدفع الصداق، وهو لم ير ظلها أو سمع صوتها ! مع أن الحديث قد ذكر في هذا الصدد ان : اذا خطب احدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم

وقال عمر بن الخطاب . اذا اراد احدكم ان يتزوج امرأة فليعلم النظر فانما هو مشتر . وذلك لأن الناس تختلف في امزجتهم ودرجات حسهم حتي قد يصادف الشيء الواحد استحسان واحد واستقباح آخر . وكثير ما كان اختلاف الامزجة والمشارب في العائلة الواحدة بل وبين الأخوة الأشقاء أمر الاجدل فيه . لهذا كان الأخرى ان يري الخاطب خطيئته وهذا أجدي له ان كان من الراشدين . ثم اذا اتقلنا الى امر المساومة رأينا وسمعنا بعودة النخاسة المردولة والدليل على انها نخاسة بل شر من النخاسة أيضا هو انه لو تقدم شاب ومن تخطي العقد السادس من العمر لطلب يد كريمة احد الناس مثلاً وعجز الشاب عن دفع الثمن المقروض لها ودفعه الشيخ ، دفعت اليه دون اي نظر من الوالد الرحيم للاعتبارات الأخرى كالسن وغيره وخصوصا اذا كان ممن يملك ثروات الأئمة وآلاف الجنيهاً او بمثل هذا يقضي علي كثير من الفتيان والفتيات ، ورغم خسة هذه الفعلة وسمه عاقبتها التي تكلم القلوب طرا اذا قد تلجىء الحال تلك (الامة) المسكينة الى جناية على نفسها ترييحها من ألم الحياة أو خيانة اتصالها سمير العار . جناية وليها عليها والله شديد العقاب . هذا من جهة الصداق وخشه واشعبية اولياء الامور وليس هناك مفكر الا ويرى فداحة المهر خطأ فظيما

ونحمد الله أن هذا الأمر أخذ يزول ويعدل عنه آباء الفتيات لا عن
تغير في الأفكار واعتدال في آرائهم إنما لكساد سوق الزواج وبوار
أكثر الفتيات . وهذا مادفع السادة أولياء الأمور على التخفيف من
غلوائهم غير أن هناك شرا أنكروا من سابقه وأكبر خطرا هو أن كل أب
لا يرجو لابنته إلا موظفا ! ! ! ! ! غريب . . . ومدهش جدا . . .
أليس هذا بغريب حقا ! ! ! ! ! فلو تقدم لطلب يد فتاة أثنان أحدهما
تاجر متوسط ربحه الشهري خمسين جنيتها وموظف لا يتقاضى أكثر
من عشرين جنيتها كان الثاني أسعد حظا وأكبر حظوة من أخيه التاجر !
ولا أرى فيما يقال لتبرير ذلك ألا خيال الترقى الوهمي للثاني وثبات
الأول على حال واحدة وهذا رأى فائل إذا التاجر يتقدم بخطي متواصلة
نحو الرقي والارتفاع أن لم يقفز في سيره طفرا . ولكن الحقيقة أن للرأي
القديم السخيف تأثيرا كبيرا في عقول القوم حتى المتعلمين منهم ولا يزال
تسعين المائة من أهالي مصر يعتقدون أن التوظف في الحكومة هو
غاية ترجى وأمل ينتظر ويعمل له الوالد وولده، ولو دروا الحقيقة لعلموا
أن وظائف الحكومة غل لمواهب المرء تقضى عليها فهي أبدا في خمول .
وألى هذا الرأي العتيق يرجع فقر البلاد من رجال احرار الافكار وثاني
الهمم فلا يكاد يكون أكبر آمال الشاب إلا مقعدا بمصلحة من مصالح
الحكومة يقضى به شطار يومه ثم يمضي الشطار الثاني في القهوة أو في

مراتب القصف واللبو لا يطمح سوي الى علاوة في المرتب وزيادة في
الدرجة امثل هؤلاء ما هم الا آلات جامدة ودواليب متحركة قل أن تعمل
عملاقيا او تخرج فكرة ناضجة جديدة. ولهذا الرأي يرجع أيضا بعض
أولياء امور الفتيات فيشترطون أن لا يصاهرن سري الموظفين انعم
هؤلاء هم الموظفون غالبا وقد سرت عدواهم الى غير الموظفين أيضا ممن
رأوا سراب السعادة والراحة في حياة الموظفين !! وهذا الشرط لا شك
أنه يكون أكبر عائق لتأليف عائلات من اكفاء التجار ومهرة الصناع
على ما يروم المرء منهم ويتمني الراشد فيهم والمستقيم. ومن اغرب ما
يشترطون اولياء امور الفتيات أيضا ان يكون المتقدم لطلب يد كريمة
ذات ثروة من أطيان او عقارات دون التفت الى الكفايات الشخصية
والمستقبل. فكأن من لم يرث عن أهله ضياءا حرم عليه الزواج حتي يحصل
له بكده ما يقنع القوم بثرائه. وقد لا يصادف المرء اثراء في أول حياته
العملية فيحرم بذلك التمتع بالحياة الزوجية في طور الشباب اللهم ان هذا حكم
صارم شديد الخطر علي حياتنا فرحماكم الله ايها الآباء رفقنا بنا وبفتياتكم،
الا يكون الأصح ان تتعلموا فينا الفضائل والكمال لا الالبهة والمال
اللهم ان الفقير ولا اقول متوسط الحال لا أسعد حالا بفضيلته واستقامته
ان كان كذلك من الغني المبتذل المغمور في حمأة الرذيلة واغلبهم كذلك.
فالرجل العاقل يطلب لا بذته بعلا كالذي وصفته فتاة لوالدها قالت:

اطلب لى الكفاء ، وليست الكفاءة باللقاب والمراكز ، وليست
 ممن تفرهم لمعة النياشين ، بل أطلب لى زوجا يفهم النفس وماهى ،
 والروح وما لها ، والاخلاق ومركزها والعاطفة وكنهها ، اذا تكلم
 فهمته ، واذا ألمت وعانى . رجل يقود زمامي لا يخضع لكلامى ، يرى
 اللب خلف القشور . ويبصر الآلىء فى أعماق البحور يعرف الرجل
 وواجبه والمرأة ومنزلتها ، يستخدم المادة لا يخدمها . غيور على عرضه
 متواضع لأهله جريء فى الحق . حلیم على زوجه رحيم بها يقنع منها أن
 يرى فيها انعكاس حركاته ويسمع منها صدى أقواله . آه
 وأن المال فقط لا يحصل سعادة أبدآبل السعادة فى راحة النفس وهدوء
 البال وقد تتوفر هذه لقليل المال بسديد عمله ولا يحصل عليها كثير المال
 بحجم أمواله

واذا خلصنا من أمر الصداق دخلنا فى دور من التقاليد والعادات
 التى ليس لها أى أساس صحيح يمكننا الاستناد عليه فى ضرورة هذه
 الأمور التقليدية الخالية من كل ثمرة وجدوى اللهم الا استنفاد جزء كبير
 من المال فى غير ما جدوى . سلسلة من الهدايا المتتالية ثم حفلات العرس
 التى ليست عليكم بخافية والتى لا يخرج منها المرء الا خالي الوفاض أصفر
 اليدى ان لم يك محملا بأحمال الذم والقدح وأثقال الديون والهموم . كما هو
 الغالب حتى قال الشاعر

ثلاثة أشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

فليس من العقل أن يزج المرء بنفسه في مخمصة نكراء لمجرد أمر تقليدى ثبت للعقل الصحيح والتجارب العديدة خلوه من أدنى الثمار أما ما كان من أمر الهدايا ووجوبها كما يدعون فسخافة لا يقبلها العقل إذ لو جمعت أثمان تلك الهدايا مبلغا واحدا لكفى أن يكون أساسا لثروة العائلة . وليقتصر على (الشبكة) أما إن صعب عليه أن يزور زوجته ولا يقدم لها شيئا فما أجل الزهر من هدية وألفه لو كانوا يعقلون . وما أحسن أن يقدم لها في كل زيارة وردة جميلة أو زهرة بديعة . وكم يكون المنظر والمغزى جليلا . أما تلك الحفلات الضخمة التي يتسابقون إليها القوم زعماء منهم أنها علامة السرور والفرح وآية التشهير فعمل ذلك الأمر كان حقيقة أصلا . ولكن انعكست الغاية فهم الآن لا ينشدون من وراء احتفالاتهم سوى الافتخار أمام القوم وإظهار السعة وإجاء العريض وقد قتلهم حب الظهور حتي ولجوا له باب الخراب (الدين) فأين السرور فيما يعملون وكأن المرء منهم اذاك قد وقف على سطح جارية بلجة تتقاذفها هوج الرياح فمن ادارة الأعمال لاجابة الطالبات وتنفيذ الرغبات وملاحظة راحة المدعوين والمسدعات فالقوم في طرب وهو له في اضطراب بل وجميع افراد أسرته تراهم اذاك ذاهلين حتي ضربت بهم الامثال في ضياع الرشد وغياب الحجا . ولوانه حفظ كل ماصرف ليكون

جزء من ثروة العائلة فأودعه مصرفاً يعمل له لآتاه مبلغاً جسيماً يكون به السرور حقلاً أن السرور أو الفرح ليس في كثرة الأثوار حتى تجعل الليل كنهاراً وفي تزيين الشارع وفرش الأرض بالبسط ثم اجتماع آلاف الناس يأكلون ويتربون على حسابك لا صدقة أو إحساناً ابتغاء البر لوجه الله حتى تثاب له وتجزى به إنما ابتغاء الفرح أو أين هو؟ لست أراه! أفي قرع الكاس بالكاس وتزاحم الناس وهذا أمر والعياذ بالله متوفر في جميع المواقف أم في سماع المغني وآلات الطرب وهو أمر ميسور في كل مرقص وملهى، إذا لم تحصل بأموالك الطائلة الهالككة أيها المسكين ماشق الحصول عليه وإنك قد اشتريت بأموال لا يشتري بمال وطلبت بذلك ذم القادحين إذ عرضت نفسك على مشرحة السنتهم التي تتلمس من الناس الهانات وجل من لا يسهو فلو أنك طلبت السرور حقاً لكان هو لقاءك بزوجك الجديدة وحليتك الجميلة وقسميتك في الحياة... الله... ما أحلا هذا اللقاء..! ولاول مرة أنت وهى على أفراد تقسمهما قسم المحبة والولاء وتتماهدا على الاخلاص والوفاء جميل وجميل جداً ذلك علي ان لا ترعجك واياها جمعة أو غوغاء وهل يتوفر ذلك الا ان كانت الحفلة عائلية قد قصرت على اسرتي العروسين ولا يخفى ما في ذلك من تبادل السرور القلبي الصحيح ثم عدم الاستهداف لحداد الألسن وشماتة الحاسدين وحفظ مبلغ جسيم لو خصص لتربية ما يرزقها الله من أولاد لكان ذا ربح عظيم

نم أن كثيرا من الشباب يأبى إلا أن يقيم لزوجته في أول ساعة من حياتهم ما دليلا قاطعا علي نقص عقله وادراكه وسوء تصرفه وأخلاقه ويمثل لها في ثوب سكير قد ضل الاتم (١) عقله وطمس الضلال حباه فما أشد تلك الغباوة وأمر هذه الحال ، اللهم ان هذه الساعة هي فاتحة حياة جديدة لها في النفوس اثر خالد تتطلب بديهة حاضرة وخاطرا سريعا فيأبى هذا التمس المسكين الا أن يقضي على ما يملك من القوى المفكرة وما ألقها ! قد يعتذرون على ذلك برهبة انساعة وجلالها وهذا أغرب اعتذار هو عذر اقبح من الذنب هل اذا أقدم الانسان على عمل رهيب عظيم يتخلى عن عقله ثم يغامر فيه ! لقد يقولون هؤلاء في ما بعد أن الارض فوق والسماء تحت فاللهم اهد القوم الظالمين

— ٣٠ —

الوسط

تخرج الفتات من بيت أبيها الذي عاشت فيه ردحا مديدا بين أناس ألفت عشرتهم وودتهم ، ولا شك أنها تقلبت في أدوار عديدة وراة من أهلها ما راة من حنان ومحبة واعزاز ثم هي الآن تؤم بيت رجل لم تعاشره كأهلها ولم تخالطه كأبويها ولكنها تضحي بذلك لكي تكمل نقصه وتتم تكوينه ولا شك أنها تتمنى أن تترك الحسن الى أحسن لأن

كل فتاة تبغى أن يكون دارها خيراً من دار أبيها فيها كل ما اعتادت رؤيته
إن لم يكن أحسن فلا أقل أو أسوأ على أن يعوضها ذلك البعل
بمحنانه عن حنان أبيها الذي أبعدت عنه ويزيد حتى تشعر أنها أسعد حالاً
مما كانت فتكون عاملة على اسعاد وراحة من كان سبب سعادتها لهذا
وجب على الرجل قبل الاقدام على الزواج أن يزن قدرته ويتخير الوسط
الذي يرجو أن يعيش فيه غير متكاف أو متعمل ويحسن به أن لا يتعد
بأسرته الجديدة عن وسطه الذي نشأ هو فيه وعلى نمطه لأنه به أن خبر وأعلم
كما يجب عليه أن لا يتخير إلا فتاة من نفس بيئته لأنها تكون أقرب إلى
الشعور بمشاعره وتقديرها عن علم وخبره! ومن الخطأ الفظيع التهاون في
اختلاف الأوساط لأنني أستطيع الجزم بأن الحياة المنزلية في وسط تباين
حياة الوسط الذي فوقه والذي أدناه تمام المباينة لضرب لذلك مثلاً لا يكاد
يغيب عن أنظارنا أني القينا الطرف ، ذلك مثل فلاح لم يكتب له شيء
من العلم وإن كان ذا حظ وافر من الأرض والمال تأتي هذا فيتزوج فتاة
نشأت في بيت العلم والحضر لم تر الريف إلا نادراً على سبيل الرياضة
فهل تتصور أيها القاريء الكريم حياتهما . . . ! أنا لا أستطيع أن اسميهما
زوجين وليس بينهما من علاقات الزوجية إلا أحطها ثم هي كثيراماتاً باها
عليه حتى تفر منه إلى بيت أبيها فتقضي الشهور هناك كأنها ليست ذات

بعل مع ملاحظة أنه لن يوافقها لا في ذوقه أو حديثه أو الفاظه
أو مداركه أو معارفه

لا يستطيع الحر صبراً على هذه الحياة ولكنه يصبر عليها مليئاً جيم
ما ترجو حتى يخرب ويفني ماله أو يوشك على الفناء

ثم أن مثل هذه الحياة لا يمكن أن يوقن المرء فيها براحة البال على
عرضه وشرفه . وخير للمرء أن يتزن بقرن له وند تسعده وتريمه اذا
أحسن التصرف في تدبير أموره وسياستها بل إن المرأة التي دون
الانسان لا تقرب الى الصلاح ممن فوقه خصوصاً اذا شعرت بذلك .
(وهذه المقارنة لا تدخل للمعلم فيها بل قاصرة على الأخلاق والعادات
والحالة المنزلية)

— ٣١ —

دروس الزوج

لا يكاد يفتح المرء حياته المنزلية إلا بشهوته البهيمية التي يستغرق
فيها كل قواه غير حاسب لمستقبل أيامه حساب . ولست أمنع المرء
عن التمتع بما أراد علي أن يجعل جزءاً آمن وقته في وضع أساس حياته الزوجية
فان هذه الفتاة التي أصبحت بين يديه وتحت سلطانه لا تكاد تعلم عنه شيئاً

الا أنه رجل كأحد الرجال . وقد تستمر كذلك علي جهل تام به مدة طويلة او هذا نقص كبير . لأن الزوجة دون شئ أقرب الناس اليه بل هي الجزء المتم له فيجب أن تعلم به حق العلم من جميع الوجوه حتي يصير أمامها كاللوح المسطور . ومبادلة يدرسها تماما . ولا يخفى أن الفتاة قد سمعت كثيرا عن الأزواج ولربما أيضا أسديت اليها كثيرا من النصائح قبل زفافها وتكون هذه النصائح خطأ كما أنها قد تكون صوابا . ولكن المرأة تكون اذاك على حذر من أن تغلب للرجل فتعيش مداهرها معه مهضومة الحق . فتميل الى اكتساب فوق ما ترجو حتي تكون علي ثقة من راحتها في المستقبل . وكثير من الرجال يطاوعون النساء في أوائل أيامهن ثم ينكسون وهذه ليست طريقة حكيمة . انما العاقل من يفتنم الفرص ليلقى على زوجه دروسا قيمة يشرح لها فيها أنه أقرب الناس اليها كما انها أقرب الناس اليه لانها يؤلفان جسما واحدا يجب أن يتعاونوا في جميع الحركات والسكنات ثم يوقفها علي حاله وما يؤمله وخطته في الحياة وما يميل اليه . ثم يبين لها ما يراه ملاما لسير عائلتهما الجديدة ويبادلها الرأي في طرق المحافظة على سعادة العائلة والسعى في وضع أساس ثروة لها . ثم يجب أن يقسم بينها وبينه الاعمال العائلية على أن يحفظ لنفسه السيادة العليا المشتركة معها ، ولا بأس أيضا من وضع نظام للحياة المنزلية يتضمن كل شيء حتي النزهة والرياضة وعليه أن يشعرها

بأن ماله مالها وليس هناك نفسان إنما هما نفس واحدة في جسمين اثنين
اختص كل منهما بعمل يجتمع عند الفائدة

مثل هذه الدروس القيمة في الايام الاولى من أيام الزواج هي دون
شك نجعلها على تمام العلم بما جهلته من شؤون الحياة الزوجية ويجب أن
يكون الرجل أول قائما بوفاء وأداء والمحافظة على عهدهما ووثيقتهما التي
سطرت على صفحة القواد بمداد الوداد وختمت بالثغور وسجلت بالضم
وثيقة هي وثيقة السعادة الزوجية والراحة المنزلية

٣١

العناد

كررنا كثيرا ان المرأة تكون غالبا مرآة لأعمال زوجها وقد يضطر
الرجل الى عمل لا يتفق مع مزاجها أو يلقى رضاها فتكظم غيظها، ومتى توالى
منه هذا الامر وتكرر مالت الى الثأر لنفسها منه بعمل مالا يرضاه فان
اراد حسابها انفجر مكظوم غيظها حتي قد يؤدي الامر الى سوء فهم يوصل
الحال الى الشقاق ولو كان هذا الزوج حكيما لبادر اليها بالاعتذار وتطيب
خاطرهما عند أول اقدامه على هذه الأثر وقبل تكراره مبينا لها الدوافع اليه
وما يرجوه من فائدة من وراء هذا العمل مثل أن يجلس الرجل الى

مكتبه كل يوم ساعة يتلو مالا يلذ لها ، هذا العمل يؤلمها كثيرا ، لكنه لو اعتذر اليها قبل الاقدام عليه مبينا لها ما يعود عليه من نفع فلربما كانت تحثه فيما بعد علي مواصلة القراءة ، ومثل هذه الامور البسيطة جدا قد ييدر الشقاق بين الزوجين وينشأ العناد . ومثل هذا ايضا أن يصادف الرجل ما يؤلمه خارج داره فاذا بلغها صب جام غضبه وسخطه علي من فيها دون اثم جنوه او ذنب ارتكبه او أي ظلم او عدوانا فتتألم الزوج من ذلك الم البريء من العذاب الشديد حتي تتخيل أنه حاقد عليها حاطب لها يضر خلاف ما يظهر في كشف الغضب عن خبء صدره ومكنون قلبه فتجئح الي مقابله بالمثل ويتطايير اذالك شرر الشقاق العائلي مع ان واجب الرجل ان يكون حليما جدا مع المرأة حتي لو كانت هي المخطئة فليتشد ليري ان كانت في عملها عامدة او مضطرة لأن العاقل من لا يحكم على اعمال الانسان دون مراعاة ظروفه المحيطة به

ولا داع للكبر على الحق فالحق أحق أن يتبع فان اخطأ احد الطرفين يجب أن يسرع بالاعتذار عما فرط عنه ليكون ذلك اسرع بازالة ما علق بالقلب قبل أن يتأصل فيه فيسوء الحال ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا

— ٣٢ —

اللذة اليتيمة

سل السكير عما يرجوه من الانم (١) ؛ والمقامر ماذا ينتغي من
الميسر ؟ والفاسق ما الذي يتطلبه من الفحش ؟ بل سل كل مجرم مرتكب
عن الغاية التي يذشدها والغرض الذي يسعى اليه بفعاله هذه التي كثيراً
ما يعرف تمام المعرفة أنها لا تؤدى بصاحبها إلا إلى الهلكة والعذاب ؛
يجيبونك جميعاً أو ينطق لسان حالهم : اللذة . اللذة .

مرحى مرحى ! أيتها اللذة ، آسرة رقاب الملوك . ومن عنت
لسلطتها الجبارة والأُسود وارتنجفت لصواتها العروش والبنود
مرحى أيتها اللذة . طلبك الناس طراً : تقيهم وشقيهم . زكيهم ودعيهم .
قويهم ووزريهم

مرحى أيتها اللذة . لا نهاية لك فتقصد ولا غاية وراءك تطلب
أنت أنت أيتها اللذة . التي سكنت كل فؤاد . وحكمت بكل واد .
وأسفت كل زاد وحليت كل عماد وتلاد . فلك أنت جميع البلاد

(١) الانم : الحر

أنت التي يرجوك كل الأفراد على تفرقهم . ويسعى اليك جميع
العباد على تشبعهم

أنت التي يمدك الملوك في العزة والابهة . كما يحسك الصعلوك
في عيشته الضيقة

فيا أيتها اللذة . كم أنت كبيرة حقيرة . ورفيعة وضعيفة

كم أنت صادقة كاذبة . واثقة خائبة

كم أنت شيطان الشر . وملاك الخير

كم أنت حليفة نصب العلم . وحنثالة كأس السم

كم أنت تلف الرجال والمال . وتاج عز الأبطال

كم أنت رائد الكد والعمل . ومناخ التواكل والكسل

فسبحان الذي صيرك أملا لكل مخلوق وغاية لكل نفس دبت على

هذه الأرض : فللعالم لذة علمه . وللجاهل خلو عقله ونفسه . وللعامل لذة

عمله وشغله كما أن للكسول خموله وكسله . حتي أن المجرمين يشعروا

بلذة في جرائمهم هي ولا شك دافعهم عليها ولولاها ما كان أغناهم عنها

فلكل فرد لذة خاصة يحصلها بعمله الذي يعمل ولا يمكنه أن يقدر غيرها

من اللذات . فهي في نظره وما دام لم يشعر بلذة غيرها أولم يجرب أخرى .

اللذة اليتيمة . فهو منقاد لها ساع اليها بحكم الفطرة والغريزة . ولا يحوله

عنها الا دخول لذة أخرى عليها تفضلها وتفوقها فتشغله بدلها .
وأصل اللذة حس نفسي قل أن يكون للمقل أدنى دخل فيه
فأغاب اللذات نفسية . والنفس أماراة بالسوء . وعزير (١) أن يوجد
من قد غاب عقله نفسه . ! وهذا هو الذي تكون لذته فيما يرشد اليه
عقله وحواسه . الا أنها ككل الأمور النفسية تتخذ مجراها منذ الصغر
على حسب المؤثرات والأحوال . ولا ريب في أن ما يلذ للوسط الذي
ينشأ فيه الطفل نشأته الأولى يلذ للطفل بحكم التقليد . كما أن مظاهر
الفرح والاعجاب التي تبدو من والديه أو ذويه بعمل من الأعمال أو شيء
من الأشياء تترك في نفسه الصغيرة اذذاك أثراً هو الميل لتقليده ليحصل
على لذة اعجاب والديه وأمثالهما . حتي أننا نسمع كثيراً من الصغار
يتحدثون باعجاب عن أبطال القصص الخرافية والخيالية (كالشاطر
محمد) و (الشاطر حسن) و (الشاطر على الدين وغيرهم) يودون لو
يتشبهون بهم وهم في سن لا يمكنهم من أن يسلطوا على القصة أشعة
عقولهم انما هم دائماً يصفون ولكل ما يلقي عليهم يصدقون مؤمنين به
واعين له . ! فليتيق الله المربون والرايون والمؤلفون وليعلموا أن هذه
القصص هي دون شك أهم دروس ومحاضرات يتلقاها الناشء في
أحضان الحنان الوالدي ومهد الرحمة الأبوية . فهي أثبت أثراً وأكبر فعلاً

بل إن شئت قلت أنها أساس الأمور النفسية وغيرها من حيث أنها تعطي حواس الناشيء التي تكون إذذاك في بدء تفتحها صوراً بل تماثيلاً وقواعد أساسية ومعلومات عامة عن هذا العالم . فكلما كان المربي حريصاً في اختيار أو وضع هذه القصص استطاع بها أن يوجه غريزة اللذة عند الناشيء الى الخير والفضل وحب البطولة الأخلاقية والتفاني في الاعمال الانسانية وأن يحبه في أبطال العالم وأدبائه وعلمائه حتي يشب مواعاً بهم مغرماً بتاريخهم مقدراً لأعمالهم ولا شك أن من أحب إنساناً اتخذه مثلاً أعلى واقتدى بأعماله واقتفى آثاره ، خصوصاً وأن طور الطفولة له دون ريب أكبر أثر في نفس الانسان في جميع أطوار حياته إلا إذا عاكسته طواريء ، فمن شب على شيء شاب عليه ، فمثل تظن السارق لم يتمتع بلذته في السرقة (إن كان لهالذة) منذ الصغر بل كثيراً جداً ولم يردعه رادع ، وذلك أن كل طفل من نفسه سارق لأنه لا يعرف قانوناً يمنعه عن أن يتناول ما يريد ، فتراه لا يحجم من أن يمد يده إلى كل ما ينتفيه دون طلب أو سماح من أحد ، فإن تركته حتي يكبر قليلاً لم يقل الأمور والنهي ثم زجرته عن ذلك تحاين غفلتك لنوال ما يريد . وهنا الشر المبين . والعلاج أن يبعد عن نظره كل شيء خصوصاً الأطعمة حتي يكبر ويفهم . أما ان فرطت في الدور الأول وبلغت الدور الثاني فلا علاج الا القسوة المتناهية . وما الغرض من الكلام في هذا الموضوع الا بيان أن جميع اللذات الخيرية

كانت أو شرية فانها تتدرج مع الطفل منذ الصغر ، كما أن هناك لذات أخرى تميل بالمرء عن حاله الأولى الى حال ثانية ولكن ببطء وصعوبة إذا كانت اللذة الأولى متأصلة في النفس واللذة الثانية معتدلة التأثير، وكلما قوى تأثيرها كانت أسرع في استئصال الأولى ، فكم من لص غلب عليه الصلاح فبات تقياً أميناً ، وكم من جاحد كافر قد صار مؤمناً مستقيماً أي أن النفس يمكن إرشادها وتحويلها من الفاسد الى الطيب ومن الطالح الى الصالح ومن القبيح الى الحسن سواء كان ذلك بصعوبة كبيرة أو قليلة على قدر استعداد النفس الذي يكون فيها منذ الصغر ، ومقدار تأصل حب تلك اللذة فيها ، ولهذا كان الوعظ والارشاد والامر والنهي أعمال في غاية الصعوبة لكنها تجدي وتفيد ، انما كان عجي شديداً من أولئك القوم الذين زعموا أنهم يبحثون في الاخلاق . اذ ذهبوا الى أن اللذة الغالبة طبعاً لا يمكن تبديله مع أن التذرع في كثير من الأحيان يحل محل الطبع فيشغل مكانه . وكم من وحش أوف واستأنس حتي كأنه ولد هكذا أنيساً ! فكيف يصح زعيمهم أن الله لا يمكن تغييرها وقد بينا أن اللذة يكفيها أن يحل محلها لذة أخرى حتي تمحى وتبدل بغيرها . مثل ذلك ما يزعمونه في حق المرأة من ميلها الى اللذة الشهوية (١) كل الميل حتي

(١) نستعمل هنا كلمة الشهوة تنويعاً للجماع وان كان هذا غير صحيح إلا أننا رأينا ذلك أخف علي السماع ، لأن الشهوة هي كل ميل أو رغبة أو قابلية

قالوا أن المرأة ترى سعادتها وراحتها وغبطتها وكل سرورها فيها وقالوا
أيضا أنها تهون عليها السمعير لو وجدت فيها !!!

والذي يستحوز على استغرابي أن هذا الرأي الفائل قد لا بس جل
أفكارنا سواء في ذلك الجاهلين ومن وسعوا بالمتعلمين والمتقدمين في السن
والتأخرين وأن نظرة واحدة الى هذا الرأي تدل بكل وضوح وجلاء
على أن الذين قالوا به أخذوه من بعض مشاهداتهم لأنهم لا يقيرون على
مزاعمهم من حجة إلا ضرب الاء مثال بحوادث قضوا طول بحثهم في جمعها
وصوغها . وانا لا نود الطعن في قصصهم ورواياتهم . لأنه حتي لو فرضنا
صحة كل هذه الوقائع فانا لا نخرج إلا بنتيجة واحدة هي أن ربات تلك
القصص بعض اللائي فسدت أخلاقهن فغلبت شهوتهن عقولهن وكن
كما يصفون . وليس لنا أن نحمل الجنس كله ووزر الخاطئات منه . ومع أن
هذه الزمرة التي قلنا أنها قد استهوتها الشهوة يمكن ردها عنها لا من
طريق الزجر والارشاد انما بالسمي في احلال لذة أخرى تفوق تلك
اللذة محلها

هنا سيقف كثير من الناس ذاهلون يعجبون من قولي هذا أم
من أنفسهم هم يعجبون! سيقولون ولا شك أنهم قائلون وأي لذة تلك التي
تفوق الشهوة ؟ وهذا السؤال الذي لا بد أنهم سائلوه . هو مضحك
مؤلم لي . : مضحك لأنهم كثيرا ما يتمتعون بلذات لا شك أنها تفضل

الشهوة حتى تلهيهم عنها لكنهم يعودون فيقولون أي لذة تلك التي
تفوق الشهوة، ومؤلم لأنه دليل قاطع على تشبع أفكارهم وعقولهم ونفوسهم
بالفكرة الشهوية !

ألم تجلس الى صديق لك تسامره وتبثه ويثثك آلام الحياة . ولم
طالت تلك الجلسة وكيف أسرعت الساعات في حركتها وهل سبقتها
أم اضطرت الى قطعها بتأخر الوقت وان لم تشعر بذلك . هذا واقع
لا مین فيه . فما الذي يربطك الى صديقك ويجمعك به وأي لذة تلك
التي تشعر بها في جلوسك وحديثك معه . وهل لا ترى أنك تضحي
لذة الشهوة عن طيب خاطر لتتمتع بلذة مسامرة صديقك . انك تفعل
ذلك دون شك . ثم كثيراً ما يكون اعتذارك الى زوجك لاهالك حقاً من
حقوقها أنك كنت مع بعض إخوانك أو أصدقائك فكفى بهذه دليلاً .
فلماذا لا تسعى أن تجعل بينك وبين شطر نفسك وروحك . مثل ما بينك
وبين صديقك ؛ فتكون بينكما مودة ورحمة وترفرف عليك الصداقة
والألفة . فتري زوجك أنها ملتصقة بك لا عن سبيل الشهوة بل عن
كل خافقة بجنائنها ونايضة ببدنها لما تشعر أنك الأنيس حين تفرد والغطاء
حين تبرد والعلاج حين تمرض . وأنت السميع ولا سمير إلاك والنجي
ولا نجى سواك . فأنت أمها وأبوها وأختها وأخوها . الحريص على
راحتها الساعي لغبطتها . اذذاك ترى أنها تتمتع بحديثك الذي لا تملكه

وسمرك الذي تجله وتشعر في ذلك بلذة تفوق دون شك لذة الشهوة وتصبح
الشهوة عندها في المكان الثاني لا تطلبها للذتها بل لغايتها التي هي النسل والولد

— ٣٣ —

الخطبة

يود أن نجمع بهذه الكلمة شيئاً من أحسن أوصاف النساء ليفف عليه
شبابنا كي لا يخدعهم تبرجهن الزائف وزينتهن البهرج وحليتهن المستعارة
الكاذبة وليعلموا الحسن وكيف يكون والجمال وأين يوجد . فان كثيراً
جداً من الشبان أصبحوا لجريهم وراء شهواتهم وفسقهم لا يميزون بين
المليح والقبيح والحسن والذميم خصوصاً ومعرفة جمال النساء ليس بالأمر
المهين الذي يدركه كل غر طائش لمجرد نظرة في طريق أو حلقة في سيارة
أو محل عمومي أو نافذة

فعلى طالب الجمال الحق أن لا يجري وراء الشعراء فالشعراء لا يتبعهم
إلا الغاؤون . وما هم إلا قوم فنيون ذهبوا وراء الخيال إلى أبعد مداه
كأن مبدأهم أبلغ القول أكذبه فانظر مثلاً الى قول من قال : —

إنسية لو رأتها الشمس ما طلعت
وقول غيره
من بعد رؤيتها يوما على أحد

لست أدري : قر في كلة (١)
وقول آخر
ما أرى أودمية في هيكل

هزوا القدود وجردوا الأثفانا
وألق السلاح إذا اتنوا واذارنوا
واحذر ضراما بالعيون وسل به
فلقد رأيت الأسد وهي كواسر
لا تعبث بذابل وبياتر
وأنا الذي حضر الوقائع في الهوى
ولكم رأيت به الشدائد مرة
وثبت بين معاطف ولو احظ
مستسلما للعشق لا مستصرخا
أرجو الشهادة إن قتلت به وما
يا ويح قلب ما خلا من شغله
لو قتشوا لما لقوا لسوي الهوى
كم ان هذا القول بليغا وكم سما خياله وعذب مقاله حتي لا شك أن

يأخذ بجامع القلوب طرا . وكم بينه وبين الحقائق من مراحل . فما فيه
إلا فن جميل وذوق شاعر جليل من تلك الأذواق التي تفردت بها الشعراء
فأبدعوا أيما أبداع حتي ملسكو بها الأفتدة والأسماع ، إلا أنه يكفيننا أن
أن نعرف أنهم ما وصفوا إلا خيالا وهل يعني الخيال طالب الحقيقة فتبلا ؟
كلا ، ثم كلا سوف تعلمون علم اليقين . أن الجمال الحق هو جمال الروح
وخفة الذات مع الكمال وعلو الاخلاق ثم أن زانه شيء من الحسن كان
الجمال الرائع الذي يأخذ بالآلباب ولقد الهاكم كثرة الحلى والزينة عن
أن تقفوا على الحقيقة ، فاليكم ما قاله خالد بن صفوان لدلال !

« أخطبلى امرأة بكراً أو ثيباً كبكر ، حصانا (١) عند جارها »
« ما جنة عند زوجها ، قد أدبها الغني وذللها الفقر ، لا خدعة صغيرة »
« ولا عجوزاً كبيرة ، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة ، لها عقل »
« وافر وخلق طاهر وجمال ظاهر ، صالحة الجبين سهلة العرين (٢) ، »
« سوداء المقلتين خد لجة الساقين اغاء الفخذين ، نبيلة المقعد كريمة المحتد ، »
« رخيمة المنطق ، لم يداخلها صلف (٣) ولم يشن وجهها كلف ، (٤) ، »
« ريمها أرج ووجهها بهج ، لينه الأُطراف ثقيلة الأُرداف ، لونها كالرق »

(١) حصانا : عفيفة

(٢) العرين الأنف

(٣) صلف هو كراهه الزوج

(٤) كلف : حب أسمر ينتشر بالوجه

« وثديها كاللحى ، أعلاها عسيب (١) وأسفلها كثيب (٢) ، لها «
 « بطن مخطف وخصر مرهف (٣) ، وجيد أتلع (٤) ولبب (٥) ، شبع ، «
 « تتثنى تثني الخيزران وتميل ميل السكران ، حسنة المآق في حسن «
 « البراق لا الطول أرزى بها ولا القصر عابها »

فهذه أوصاف كلها في حيز المعقول والمقبول يمكن الحصول عليها
 وجائز وجودها إلا أن الدلال أجابه اذذاك : استفتح أبواب الجنان فانك
 تراها . وذلك لأن اجتماع كل هذه الصفات في واحدة صعب جداً إن لم
 يكن مستحيلاً غير أن ، لا يدرك كله لا يترك جله

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم وخضراء الدمن (٦)
 وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم بالأبكار فانهن أطيب أفواهاً
 وأنقى أرحاماً وقال : إنما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن
 واستشار رجل حكيم فقال : إني أريد أن أضرم إلى أهلا فأشر على
 قال الحكيم : افعل تحصن دينك ، وتغن مؤنتك ، وأياك والجمال

(١) عسيب أى كالتصاف الألى من اليسوب دقيق

(٢) كثيب كثير اللحم

(٣) مرهف رهيف أو نحيل

(٤) أتلع مرتفع أى طويل

(٥) أسفل الجيد وأعلا الصدر مكان العقد

(٦) هى المرأة الحسناء فى المنبت السوء

البارع . قال الرجل ولما نهيتني عن غاية ما يطلب الناس ؛ أجاب الحكيم :

لأنه ما فاق الجمال الا ولحقة قول الأفاكين أما سمعت قول الشاعر : —

ولن تصادف مرعى موقعا أبدا الا وجدت به آثار ما كرل

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تزوجها سمراء (١) ذلفاء عينا (٢)

فان فركتها فعلى صداقها . هذا وقد تكلم كل الحكماء والأدباء في هذا

الموضوع فدعوا جميعا الى طلب جمال النفس والأخلاق فقط لأن النفس

من دأبها ميالة الى حسن الوجوه حتي أصبحت النساء وقد عرفن فينا هذا

الميل عارين عن كل الفضائل لأم لمن الا أن يحسن في نظر الرجال فكان

الرجل هو الذي طلب ألين ذلك والنساء متطارفات في كل شيء فعلى العاقل

الرشيء أن يحذر كل متبرجة متجملة ، ذلك لأنها ما كانت في حاجة الى

هذه الزينة الخارجية إلا وقد شعرت في نفسها نقصا تستره عنك

بتبرجها وزينتها

فانظر مثلا الى التي تكثر من التعطر فانها غالباً كريهة الرائحة

فتتخذ من الروائح غشاء يخذلك فيها وتلك التي تصبغ وجهها بالدهانات

والمساحيق لتستعيب بلونها عن لونها الشاحب من

(١) سمراء كلون الحنطة

(٢) عينا واسعة العينين جميلتهما

الخلوروز (١) أو الأغير من القذارة : وان التي تضع على لبها عقدا ذهبيا كبيراً فلتستر وراءه هيكلا عظيماً بالياً أضمناه فساد النظام المنزلي والارتباك الفكري، الي غير ذلك من كل حلية أو زينة، فأنما هن أعرف بعيوبهن منا ويستطيع الدقيق أن يعرف تلك العيوب بتتبع مواضع الخلل والزينة فالأكثر تبرجاً وتزيناً أكثر دون شك عيوباً وأكثر رياءً وما دمن يرين الحسن حسن الخرق والثياب فلا شك أنهن لا يطلبين من الرجال الا ذلك ومن طلبت الرجل لشكاه ورواقه وحسنه وثيابه كان على الرجل المفكر ان يتعد عنها قدر ما استطاع لأنها قل أن تدوم علي ود اذا ما اكثر نقلاب الأشكال

وأن هذا الرأي ^{النرى} التي دان به أغلب فتياتنا كان قضاء مبرماً عليهن وعلى الفتيان أيضاً لأن الرجل جبل أن يحافظ على إعجاب المرأة به وصارت المرأة لا تمجب الا بمنظرة ولوساء مخبره . يدلك علي ذلك مسرح الشوارع والحوادث حتي أن احقر شباب لو ارتدى ثياباً لفاز بإعجاب الكثيرات فكانت النتيجة المشؤمة التي أورثنا أياها هذا الرأي ان انكفأ شباننا علي المظاهر والمظاهر الخاوية فقط

(١) الخلوروز : مرض يصيب الفتيات والاولاد منهن لكثرة التفكير في الشهوة ويصعبه دائماً صفرة الوجه وارتخاء الاجفان وفقر الاعصاب وله أسباب أخرى لا موجب لذكرها

حتى لو أنك استطعت أن تصفح قلوب أغلبنا وجدتها خلوا من كل علم
أو فضل أو خير أو عمل صالح فإن الشباب منهم قد أصبح يقضي ثلاثة أرباع وقته
في التزين والتجمل مثله كمثل الأوانس في ذلك افعل الفتاة العاقلة أن لا
يخدعها بهرج الشباب ولتكن على يقين من أن الرجال بالأفكار والعقول
لا بالثبات والاشكال فالذي يسمح لأن يقضي ساعتين أو ثلاثة في اتقان
هندامه وثيابه لاشك انه لا قيمة للوقت في نظره ومن كان لا يعرف ان
الوقت من ذهب وانه من عمره ويتهاون فيه كان متهاونا في عمره
ومن تهاون في عمره سهل عليه ان يتهاون في اعمار الناس فكيف براحتهم ، اذا
تلك الذي يستهوينا منظر الشبان دون ترو انما باعت نفسها رخيصة جدا
لمن لا يحرص عليها لأن من لا يحرص على نفسه لا يستطيع أن يحرص على
غيره وان مجلد الحوادث ليثبت صحة ما ذهبنا اليه فان كل فتاة مالت
الى من هو اقرب اليها مالبثت ان وجدت انها ذهبت ضحية الاغترار ،
فهو أولا خلوا من الفضائل عار عن كل علم وكمال ، وهو وأمثاله الذين
جروا على الأمة وفتياتها الويلات

فعلى العاقلات الرشيدات ان يطلبن في الرجال كمال العقل ورجاحة
الفكر وثاقب الرأي أى يطلبن رجالا بمعنى الرجولة الحقة . رجال أعمال
لا رجال جمال او مال

فليس الجمال باثواب تزيننا ان الجمال جمال العلم والادب

كما أني أنصح لمن أن لا يتخذ زينة إلا الكحل والماء الصافي النقي
الذي هو لا شك أكبر مجلب للجمال الرائع ، ولا يتخذ من الثياب إلا أكملها
وأبسطها. لأن هذه الأمور تكسبكم ميل الرجال وحب الأزواج لما تدل
عليه من الحرص على الصحة والنضارة الطبيعية والمال ، وإن حياة صحية
منظمة لا تفعل من مائة مسحوق ودهان في حفظ الجمال والنضارة .

٣٤

الطلاق

لا يكاد يفعل الرجل الا ويقسم بالطلاق ، ولا يعز البائع قوله إلا
بيمين الطلاق ، ولا يؤكده المرء حجته الا حلف الطلاق ! ! ! تمشدقت
اللسن بهذا اليمين الرهيب لا وهي سبب أو بلا أدنى سبب . حتي
كان في أدوار المزاح واللعب . ثم تلاعبت بنطقه الصبية في ألعابهم ولا كته
ألسنتهم نقلا عن آبائهم وأهلهم ! أمر مؤلم لكنه واقع تحت حسنا
حتى ليكاد يسمع في كل مكان . في دكان التاجر ومركبة الكهرباء والمحال
العامة والطرقات

وتلك كلمة لا أكاد أسمها حتي يقشعر مني البدن وترجف الأوصال
ويتألم مني الوجدان . فهي كلمة - رهيبة ولفظة مخيفة يشير كل حرف
من حروفها الي رعب جاثم وبلاء حاثم . أولها طامة . وثانيها لعنة وثالثها
اتهم ورابعها قتل . أهوال مجتمعة ومصائب مؤتلفة أعيذك الله ونفسي شر
ما جمعت . فأى لسان ذلك الذي يقذف بتلك الويلات في لفظة واحدة
وأى نفس شريرة تلك التي تجرؤ أن تصب هذه الآلام على رأس أنسية
لا أمر بسيط أو مجرد التحكم والرغبة

ان الطلاق وقد جاء به الشرع الحكيم ليبيح للزوجين الانفصال اذ
وجدا في بقائها معا فساد الدنيا والدين ، وبعد أن يطرق البعل جميع
الابواب الممكنة لاصلاح حالهما فان لم يجد فلا مناص من الطلاق مع
أنه أبغض الحلال الى الله .

والطلاق باب شرعي دقيق حتي على المتفقيين وثقة العلماء فكيف
بالعامة الذين حرموا العلم قليله وكثيره وعلى الأخص العلم الديني مع هذا
تري انهم يكثرزون النطق بهذا اليمين الرهيب حتي في العاهم وهزلهم
فهم في ذلك كاللاعب بالنار ما أصاب سوى لذع كفيه ، كذا المرددين
ليمين الطلاق وأيمان المسلمين (وهم أغلبية فينا من جميع الطبقات والهيئات)
لا يمكن أن يسلموا من الوقوع في محرم

فعلى كل من يروجو حياة طيبة طاهرة أن يمسك لسانه عن هذا
اليمين الرهيب ويبتعد عنه ابتعاد الحذر اللبيب من الخطر المصيب ، وليعلم
أننا معشر الرجال ما استحللنا فر وجهن إلا بكلمة الله وما حرمت علينا إلا هذه
الكلمة (الطلاق) ، فصن لسانك عن كلمة الفراق ورمز الفصل ومقدمة البعاد
الذي يعقبه غالبا ندم وأسف شديد

وأن الرجل لم تعط له هذه القوة دون المرأة إلا لفرض أنه أقدر
من المرأة على مغالبة الأهواء وعدم الاسترسال مع الأفكار المضطربة
الوقتية فله الصبر وطول الأناة والحلم والمقدرة وسعة الحياة ، كل هذه القوي

يجب عليه أن يحاول بها كشف مساوئ الحياة الزوجية دون أن يلجأ
إلى الطلاق

أرى كثيرا من الناس يرددون هذا اليمين أمام زوجاتهم وما فيه
من نعمة إلا الوقوع في شرك الشيطان وإلهاب قلوبهن بالضعفنة والحقْد
أذ يتصورن تريد هذا اليمين دليلا على أن بعولتهن ^{كهن} ~~ي~~ يمكن تكلفا
وليست لهن في قلوبهم أدنى علاقة أو ارتباط ، وحقا أن تريد هذا
اليمين لا يشير إلا إلى ذلك مو قد أثبتت لمن الظروف هذا الزعم وباتت
المرأة دائما في انتظار طلاقها مادام بعلمها خلافا ، وزوج هذا أمرها وهى
يرجى منها إصلاحا وهى لا تكاد تطعن أنها ستقضى ليلها بداره أم بدار
أهلها ، اللهم أنا نطالب الطير أن يرمى إلينا صيده ونحن نهيجه ونهشه

إن الطلاق أمر تفزع له المرأة كما تفزع له الملائكة ، غير أن المرأة
إن باتت مهددة به في كل لحظة فلا بد أن تستعد له وتدخر بقدر ما في
وسمها لما بعده ، ثم هي بعد ذلك تنافره وتناصبه العداء وتؤذيه ولا تبادل
أحسانا إنما تقاسمه عذابا وآلاما وما ذلك إلا بعد أن أعلنها أنه لا يمكنها
إلا رغم أنفه وأنه يهددها بطردها لأنه يمسك سيف علاقتهما في حد
لسانه ، وعلى نفسها جنت براقش .

« وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أوسرحوهن »

« بمعروف ولا تمسكوهن ضراوا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم »
« نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزاوا أذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل »
« عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله وأعلموا أن »
« الله بكل شيء عليم »

مجلس

في قصص المتزوجين وقصة الزواج

لما كانت حيازة الذكر للأنثى أمراً وُجد مفطوراً عليه الطبع، إنساق الإنسان فيه بضروب شتى على حسب رقيه وانحطاطه، ففري أن الرجل المتوحش قديماً كان يقاتل غيره في سبيل الحصول على زوجة شأنه في ذلك شأن القردة وغيرها من الحيوانات التي تعيش مجتمعة كالقيلة أيضاً، وقد شوهدت هذه العادة معمولاً بها في قبائل الإوشيمان بأمريكا الشمالية

والحياة الزوجية تختلف كل الاختلاف في بلد عنها في أخرى وفي قبيلة عنها في غيرها فعالم الزواج مملوء بالغرائب المضحكة فلقد كانت الفتيات تجتمع في مكان مظلم فيمسك كل فتى من ساقها إليه نصيبه، أو تصبح المرأة زوجاً للرجل إذا خطفها، أو بمجرد أن تجلس إلى جواره بجانب نار يوقدناها، أو إذا قدمت له قليلاً من التبغ، أو إذا جلست معه فيما يشبه قصعة كبيرة إلى غير ذلك من الغرائب

ومما يحكي عن الحياة الزوجية في بعض قبائل أستراليا المنقرضة أن هناك الرجل يتزوج إلى خمسة زوجات فتجتمعن ويتضاربن بعصي غليظة حتي تدمى جراحهن وللفائزة منهن الخطوة عند زوجها وقد تحدث كثير من السائحين وجواني الآفاق بأن قبائل أواسط

أفريقيا لا يشعرون بأي عاطفة نحو المرأة فهي والبقرة سيان، تري الرجل
يكثّر من الزوجات ليشتغلن في الأعمال الشاقة وغيرها - فان كثرة الشيء
تخطئ منه وقيمته كما أن ندورة الشيء ترفع نمته وتزيد في قيمته

١ - كان لملك من الملوك فتاة تكره الزواج ، فاجتمع عندها نسوة
فتذا كرن الزواج وقلن لها ما يمنعك منه ؟ قالت ! وما فيه من خير ؟
قلن : وهل لذة العيش إلا في الزواج ! قالت : فلتصف كل واحدة منكن
ما عندها فيه من الخير حتي أسمع .

فقالت إحداهن ! زوجي عوني في الشدائد ، وهو عائدي دون
كل عائد إن غضبت عطف وإن مرضت لطف .

قالت : نعم الشيء هذا

قالت الأخرى : زوجي لما عانني كاف ، ولما أسقمني شاف ، عرقه
المسك المداف ، وعناقه كالخلد لا يعمل طول العهد
قالت : هذا خير منه

قالت الأخرى : زوجي الشعار حين أبرد ، الأنيس حين أفرد
فتزوجت فقلن لها . كيف رأيت ؟ قالت . أنعم نعم وسرور لا يوصف

ولذة ليس منها خلف .

٢- كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يعس ذات ليلة فسمع امرأة

تقول : -

الأطال هذا الليل وأزور جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه
فوالله لولا الله لأرب غيره لززع من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي والحياء يكفني واكرم زوجي أن تنال مراكمه
فلما أصبح سأل عنها قالوا فلانة بنت فلان زوجها غائب فذهب
إلى ابنته حفصة وقال يا بنية أنت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأوثق نساء
العالمين في نفسي واني جئتكم لأسألك عن مسألة من أمور المسلمين فلا
تستحي مني وأصدقيني، كم تصبر المرأة عن زوجها قالت أربعة أشهر، قال
وخمسة؟ قالت وخمسة، قال وستة؟ قالت إلا بعشقة، فأرسل إلى تلك
المرأة القائلة امرأة لتكون معها ثقة، ثم كتب إلى أمراء الجنود أن لا يغيبوا
رجلا فوق أربعة أشهر.

٣- حكى عن رجل من بني إسرائيل أنه حلف أن لا يتزوج حتي
يستشير مائة رجل فسأل تسعة وتسعين ثم قال غدا أسأل أول من ألقاه
حتي إذا أصبح لقي رجلا راكبا على قسبة من الخطب فاعتم أذ ظن أنه
مجنون، ولكنه سأله فقال له :

البكر لك والثيب عليك وذات الولد فلا تقربها. ثم قال : وما أنا

بأحق أنما تحامقت لأسلم من شر الناس.

٤ — يحكي أن قتول بنت عبد كانت تحت رجل من قومها يدعي
الاشق فطلقها غير أنها رغبته في أن يراجعها فأبى عليها حتى يئست، فخطبها
رجل يقال له عامر بن بثوذب فزوجها فلما بني بها، بدالاشق فمراجعةها
فأرسل يستشيرها في ذلك فقالت ! .

أتركتني حتي إذا عطلت أبيض كالشطن
انشأت تطلب وصلنا في الصيف ضيعة اللبن
فما كان من الاشق الا أن ذهب مجلس في مكان قريب حيث يسمع
كلامه عامر وانشأ يقول : —

لما الله بنت العبد أن وصلها وصلال ملول لا تدوم على بعمل
تحدثني أن سوف تقتل عامرا لأن لم يكن في ماله عامر مثلي
فهيئات تزويج التي تقتل الفتى إذا ما أبت يوما وان كان من أجلي
فتقتلي يوما اذا هويت فتى سواي واني اليوم من وصلها بحلي
فوقع في قلب عامر ذلك القول وكان قد عرف عن حب قتول
للالشق فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق .

٥ — خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف زوج يقال

لها هند من أجل نساء زمانها ، فلبث هناك سنين فاشتري جارية أسمها
الجمانة ، وكان له فرس يسميه الورد ،

وقد وقعت الجارية منه موقعا حسنا فأنشأ يقول : -

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند إذا بقيت عندي الجمانة والورد
شديد مناظر القصرين إذا جرى ويضاء مثل الرُّم زينها العقد
فهذا لأيام الهياج وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجند
فبلغ ذلك هند فكتبت إليه : -

ألا أقره مني السلام وقل له عنيما بفتيان غطارفة مرد
فهذا أمير المؤمنين أميرهم سبانا وأغناكم أراذلة الجند
إذا شاء منهم ناشيء مدكفه إلى كبد ملساء أو كفل نهد
فما قرأ كتابها حتي استأذن في العودة

٦ - تزوج إعرابي امرأة عجوزاً ذات مال طمعاً في مالها ، فكان
يصبر على بلائها لمالها ، إلا أنه قاسي الأمرين فلما وتركها فكتبت إليه
تسترده كتاباً رقيقاً ، ولكن كيف يستطيع الدخول الى جهنم وقد أفلت
منها فأجاب كتابها بقوله

ليس بيني وبين قيس عتاب خير طعن الكلا وضرب الرقاب

٧ — تذا كربعض الأعراب الأولاد والانتفاع بهم فقال أحدهم :
زوجوني امرأة أولدها ولداً ، أعلمه القروسية حتى يجري الرهان ، والنزع
عن القوس حتي يصيب الحدق ، ورواية الشعر حتي يفحم الفحول .
فزوجوه امرأة فولدت له ابنة فقال فيها :

قد كنت أرجو أن تكون ذكراً فشقتها الرحمن شقا منكراً
شقا أبي الله له أن يجبراً مثل الذي لأُمها أو أكبراً
ثم حملت حملاً آخر ، فدخل عليها وفيها المخاض ، وكانت تسمى
رباباً فقال :-

أيا ربابي طرقي بخير وطرقي بخصية وأ...

ولا ترينا طرف البطير

وولدت له أخرى فحجر فراشها وكان يأوي بيت جار لهم فقالت
زوجه فيه وكان يكنى أبا حمزة

مالاً أبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبنا أن لاند البدينا وإنما نأخذ ما أعطينا

فآله قوله وعرف خطأه فرجع إليها راض بحظه .

٨ — قال اعرابي في امرأة تزوجها وكان قد قدم فيها شابة طرية

فدسوا اليه عجوزاً

عجوزاً ترجوا أن تكون فتية وقد نحل الجنبان واحد ودب الظاهر
تدس الى العطار ميرة أهلها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر
تزوجتها قبل الهلال بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر
وما غرنى إلا خضاب بكفها وكحل بعينها وأثوابها الصفر
وقال فيها

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها فان عاجلته صار فوق المحاجر
رقي حاجبها جزة لفرارة فان حلتا كانا ثلاث غرائر
وثديان أما واحد فهو مزود وآخر فيه قرينة للمسافر
وفيها يقول

لها جسم برغوث وساقا بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تبرق عينيها اذا ما رأيتها وتعبث في وجه الضجيع وتكالح
لها منضحك كالخس تحسب أنها اذا ضحكت في أوجه القوم تسلح
وتفتح ، لا كانت فما لو رأيتها توهمته بابا من النار يفتح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها تعود فيها حين يمسي ويصبح

٩ - تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة علي امرأة قديمة ،
فكانت الجديدة تمر على باب القديمة فتقول
وما يستوى الرجلان رجل صحيحة ورجل رمي فيها الزمان فشلت
ثم مرت بعد أيام فقالت

وما يستوي الثوبان ثوب به البلي وثوب بأيدي البائعين جديد
فخرجت اليها الزوج القديمة وقالت
نقل فؤادك حيث شئت من المهوي ما القلب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينه أبدا لأول منزل

١٠ — تزوج أعرابي امرأة فأذته فافتدي منها بحمار وجبة وطلقها
ثم قدم عليه ابن عم له من البادية فسأله عنها فقال : —
خطبت الى الشيطان للحين بنته فأدخلها من شقوتي في حبالها
فأقذني منها حماري وجبتي جزا الله خيرا جبتى وحماريا

١١ — محمد بك موظف كبير ، أصله من الطبقة المتوسطة . أرتقى
بفضل جده وذكائه ، خطب كريمة حسن باشا : رجل من كبار الأغنياء
فلم يرض عليه - معاداته ، لما يعلم فيه من الكفاية والجدارة ، فزفت إليه
وهو يرجو حياة زوجية طيبة لما سمع عنها أنها متعلمة أرقى تعليم ، غير أنه
لم يلبث أن شعر بوجود اختلاف بينه وبينها في العادات والأخلاق ، وهي
تجذبه اليها أي تغلب منه التطبع بعاداتها والرضا بها ، دون أن تحاول هي
الاقلاع عن شيء مما ألفته في دار أبيها ، وما ألفت إلا التدلل واللعب ،
وهذان لا يصلحان طبعاً لإدارة البيت .

فأجتهد وكان من الراشدين أن يعلمها أنها انتقلت من دار إلى أخرى

وتركت حياة الحياة ثانية وكادت تتأثروا إن كان بصعوبة، إلا أن أمها - جزاء الله خيراً - نهتها عن النزول عن شيء من عاداتها وأوحى إليها بالمغالة في أحوالها أمور جعلت حياتها وزوجها حياة مشادة وقلق لراحة فيها ألبتة، فما كان منه إلا أن لجأ إلى تلك الأم وكأنه لا يدري أنها علة شقائه. فشكا إليها فكان كمن يستجير من الرمضاء بالنار إذ أنهم لم تعقل شيئاً مما قال: وجعلت تقول أن فتاتها تربت تربية عالية فهي لا تستطيع أن تعيش إلا حرة من كل قيد أو شرط وإلا فإنها تمرض، ثم لجأ بعد ذلك إلى أبيها ولم يمض إذ ذاك إلا شهر، فحاول الرجل نصحتها وإيقافها على حقيقة حالها مع زوجها فحسنت حالها ثلاثة أيام ثم رجعت سيرتها الأولى فبكلم أباه في ذلك، فأتاها ينصحتها ويغلظ عليها القول ثانياً، وصار يتردد عليها ليراقبها، فتخيلت أنها مجبرة على أمر لا قبل لها معه وتأملت له وأما حتى خرجت عن حدود اللياقة مع البعل المسكين الذي كان يرجو راحة فجاءه شقاء فلما وصل ألد إلى ذلك هدهدا بالفراق فارتاعت لهذه الفكرة إلا أن الأم كبرت عليها تلك الكلمة وظنت أنها إن طلبتها هي تعز عليه، فجاءت إلى محمد بك محتدة تطلب منه طلاق ابنتها، فقال (للهم) إن كانت البنت توافق على ما تريد فلتصحبها إلى دار أبيها ثم تركهما وخرج لكي يتفقا على ما يصلح. وقد أثرت الأم على ابنتها حتى أخذتها معها وهنأ علم أن لا مناص من التضحية العالية في سبيل الراحة وطلقها، غير أنه لم يمض إلا ثلاثة أيام حتى أرسلت

إليه خطاب عتاب إذ بدا لها أنها تحبه ثم أشفعته بشأن تشرحه له كيف أثرت عليها أمها وتكشف له في الختام عن حبها له وتعلقها به ، ثم جاءه خطاب ثالث تطلب إليه أن يراجعها إذ أنها مشتملة منه علي حمل ، فكان لهذا التسلسل في الخطاب مغذى أوجس منه خيفة فصرخ علي عدم مراجعتها فلما يئست منه ولهمت به وجنت وهي الآن من سكان بیمارستان (والحكاية واقعة لم نغير فيها سوي الأسماء)

١٢ — يحكي أن رجلا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه عسر حاله حتي كان لا يملك مسكة ليلة ، فأمره عليه الصلاة والسلام أن يتزوج ، قال إني لأملك قوت يومى يا رسول الله : قال : تزوج . فتزوج الرجل وظلت الحال كما هي عليه فعاد إلى النبي يكرر شكواه فقال له عليه الصلاة والسلام : تزوج . قال الرجل : قد فعلت . قال عليه الصلاة والسلام : تزوج . فتزوج الرجل ثانية إلا أن الحالة بقيت كما هي فرجع إلى الرسول الكريم بنفس الشكوي فقال له عليه أفضل الصلاة والسلام - تزوج . قال الرجل : قد فعلت يا رسول الله . فقال عليه السلام ثانية : تزوج . قال الرجل لقد فعلت ، فقال النبي لثالث مرة : تزوج . فذهب الرجل فتزوج الثالثة ، فما أصبحت تلك الثالثة بدار بعلمها ورأت ما هي عليه من ضنك شديد حتي طلبت من أختها التحايل للحصول على

شيء من الصوف ليفزله وقد حصلن على القليل منه ففزلته وذهب
الرجل به إلى السوق فباعه واشترى بثمنه صرفاً من بفزله جميعاً وذهب
فباعه واشترى بنصف ثمنه صرفاً وبالنصف الثاني قوتاً وهكذا جعل يزداد
مقدار الصوف شيئاً فشيئاً حتى تيسرت له الحال وكان من الراضين
فتأملوا يا أولى الألباب

١٣ — أحمد بك رجل هرم من كبار الاغنياء له من السن فوق
الثمانين ، خطب حضرته كريمة أحد الناس التي لم تتخط السابعة عشر
ربيعاً ففر أباهما الطمع والأشعية ورضي أن يقبر فتاته في أحضان ذلك
المجوز الفاني ، وكم تمت الفتاة وألحت في الرجاء وأستعطفت قلوب
ذويها أن لا يتم ذلك القران الصعب الاحتمال ، إلا أنهم كانوا يمنونها
بالآمانى العذبة من قرب وفاته وإثرائها بعد ذلك ، وسواء وضيت أولم
ترض فقد سيقت إليه وحملت إلى قصره - والقبر أرحب لها منه - هو
شبح الموت يدب نحوها ، وهي كالقضاء كامن في تجمعات وجهه العتيق
فكانت روحها الفتية الزاهرة ترتجف فزعاً لكل حركة من حركاته
فتشعر ببرودة الموت وجفاف الحمام يسريان إلى بدن ^{حيها} حين بعد حين ،
حال جعلتها دائماً الاطراق كثيرة الدهول . تنذر عند أى حركة فجائية
قربها ، متى إذا كانت ذات يوم قد جلست على اطار (بلكون) الحديقة

إذ زوجها يدب إليها على غرة منها ودون أن تشعر به فما كادت تحس به
حتى ذعرت فسقطت في الحديقة ثموي
وجدت أسفل الشباك ميتة ولم يثبت أن السقطة هي سبب موتها.
الارحمة أيها الأباء رفقا بفتياتكم

١١٢ - زفت فتاة حضرية إلى عمدة ريفي ، فما كادت تستقر الفتاة
(بدوار) بعلمها حتى رأت أنها وحيدة وان أحيطت بنفر عديد، وليس هناك
من أحد يشار كها أفكارها ويبادل آراءها ، رأت أنها وحيدة وحولها
العشرات من أهل بعلمها والخدم والأتباع ، إلا أن النفس ميالة إلى شريك
يقاسمها خطراتها ولم يكن لزوجها أن يملأ ذلك الفراغ فمالت
نفسها إلى سبيل آخر من التسلية واللهو ففالت في طلباتها ولم يعص
لها زوجها طلباً لأنها عنده الكل في الكل فقادته بذلك إلى الخراب ثم عادت إلى
بيت أبيها بولديها — وحاول الرجل ردها وأبت عليه ذلك لفقره. وأن كانت
السبب . وهكذا بات وهي في شقاء وشقاق

حد الزنا

في غابر الأزمان

كان حد الزاني عند بني إسرائيل القتل
وكذا كان في أوائل عهد الدولة الرومانية إلى ما بعد قسطنطين حيث
جعل حد الزانية الحبس سنين وإعدام الزاني
أما قدماء الإنجليز فكانوا يعرون الزانية إلى وسطها ويطاف بها ثم
تضرب حتي تموت ، أما الزاني فيعلق من أعضاء تناسله إلى عمود ويترك
هكذا حتي يموت ، أو يعطي مدية ، حتي إذا أراد تخفيف عذابه عالجها بالقطع
وكان بعض القدماء يحرقون الزانية ويشنقون الزاني

المبحث الرابع

في

الآداب العامة

الأدب

من الاسماء التي كثرتناؤها في حالات عديدة الا أننا لن نعني بدرسه هنا الا من وجهة واحدة تلك وجهة التربية والتعليم والاخلاق وهو عبارة عن حالات وهيئات خاصة تلابس حركات وأفعال الانسان في جميع أعماله وأقواله ، لهذا كان من السهل الحكم علي قيمة أدب الفرد لمجرد درس بعض حركاته وسكناته أو لسماع شيء من أقواله وكلماته حكماً صحيحاً ينطبق على العرف أو الحقيقة ، وهذا عمل يقوم به كل انسان تقريباً فلا يكاد يرى المرء عملاً قد خالف المتبع - في نظره - أو فعلاً قد نافي مصالح المجتمع - في ذوقه - حتي يندفع قائلًا هذه - (قلة أدب) أو (قليل الادب) أو (لا أدب عنده) أو (قليل التربية . متربش) فالأدب إذاً مجامع كل حركات الانسان وأعماله الخارجية حتي يبدو علي كل بادرة يأتيها أو كلمة تصدر عنه أو عبارة يتفوه بها .

وليس الادب من الفرائز النفسية - فطرية كانت أو غير فطرية -
وان اتصل بها دائماً ، بل هو اكتسابي انشائي محض ويمكن تكوينه
وتصويره بالتربية والتعليم ، فيأزره الانسان متكلفا كمادة خارجية ليس
لها أثر في النفس الداخلية ، ولقد عني المعلمون دهرامديدا بالزام
التلذذ نظاما وتقاليدها خاصة يجبرونه - الى اتباعها دون محاولة غرسها في النفس
فكان الطالب يأخذها منضمة ما حيث تظل صبغة لا أعماله الظاهرة مالم ينافيها
طبعه وتنترق وإياها خلقه ، أما العادة طبع ثان اذا وافقت من النفس
مشر بها أو كان بها استمدد لقبولها والافهى عرضة للانهيار أمام أقل
ثورة نفسية ، ولن يمكنها الحيلولة بين النفس وأميلها أو أغراضها ان
خالتهالأنها تربية شكلية تكاد تكون صناعية ليس لها أدنى أثر في النفس
الانسانية الداخلية حتي ان كثير ا ما يكون المرء جم الادب سافل النفس
منحط الاخلاق ا - ولا غرابة في ذلك - فقد يكون الادب عبارة عن
حركات اصطناعية وهيئات خارجية ليس لها أدنى ارتباط أو مساس
بالمواطن والوجدانيات التي هي اهتزازات وانفعالات النفس الداخلية
فكم من رجل نرى لطيف العشرة غزير الرقة كثير الرحمة لين القول
حلو الدعابة سمير الوحدة أنيس الغربة عذب الحديث على غاية من البشر
والظارف ، لا تراه أو يراه غيرك حتي يعجب به كل الاعجاب ويصبح
من أعماق نفسه : (وؤدبا) الا اننا لا نلبث ان نعلم بالاختبار ان وراء هذا

للنظر البديع والمظهر الخلاب وخلف هذه الستار البراق قد كملت نفس وحشية
لا تطاق وليس بينها وبين الأدب الظاهر أقل انطباق

من ذلك علم الربون والمعلون فساد طريقةهم الأولى ، ورأوا أن
الأجدي لهم والأمثل هو الاعتناء بتنمية الفرائض الصالحة في النفس
الداخلية وتقوية الخلق الطيب فيها ، وذلك لأن الأخلاق ليست
اكتسابية محضة كالأدب إنما هي كالعقل والحس والذكاء غرائز تحتاج
التنمية والاعتناء وهم لا يريدون من تنمية الأخلاق الحسنة بالنفس إلا
إعداد أسس صالحة لأدب عالية إذ مما لا ريب فيه أن الأعمال والأقوال
لو صدرت بوحى من أخلاق سامية كانت آداباً عالية طاهرة -- والأدب
العالية وإن كانت تصدر في الغالب عن أخلاق سامية فقد تأتي أحياناً
تكافاً بحكم التربية والتعليم النقلي أو التقليد — إلا أن المتفرس الخبير
يستطيع التفرقة بينهما وإن كان هذا من أصعب الأمور . وهذا عند
ما تكون الآداب حسنة مرضية ، أما إذا كانت سيئة دنية فلا شك
أنها لا تدل إلا على شيء واحد هو فساد التربية والأخلاق معاً ، لأن
الأخلاق الطيبة لا تصدر عنها فعال سيئة لهذا لم يجدسى الأدب زاجراً
من علم أوناه من أخلاق ،

ولما كانت الآداب تلبس جميع الحركات الظاهرة للإنسان فهي
تصنع جميع أعماله من أخذ وعطاء وبيع وشراء ومشى وجلس وقيام

وذهاب ومجىء وكلام ، أما الأخلاق فهي صفات أو غرائز نفسية كامنة فيها ودوائر معنوية محيطة بها تتحرك النفس في حيزها وبين حدودها ، استطعنا أن نقول أن الآداب هي الحركات الظاهرة للأخلاق الكامنة فلما كانت الأخلاق سامية كانت الآداب عالية والعكس بالعكس ذلك بعد أن نضرب صفحا عن بعض من الآداب التقليدية التي تفرسها الشدة فتلازم أعمال الإنسان دون دافع أخلاقي إلا أن هذه قصيرة العمر كما أسلفنا

وبما أن الآداب هي المظهر الحسي للمشاهد للنفس الإنسانية - فهي حركات الأخلاق والأخلاق ثياب النفس - كان بها الحكم غالباً على تلك النفس حتى قيل آداب المرء دليل عليه ، وتجلى هذه الآداب في الحركات والكلمات أتم جلاء حتى كانت نظرة واحدة يتبع بها الإنسان شخصاً يلم فيها ببعض حركاته وسكناته كافية لأن تمكنه من الوقوف على مقدار آدابه ومنزلة أخلاقه وكنه نفسه ولنضرب لذلك مثل رجل قد ركب السيارة الكهربائية وهو آتق حسن المهندام فقفز إليها قفزاً ثم قعد على طرف المقعد الأيمن والمقعد عن يساره خالي ، فوضع ساقاً على ساق وأسند ظهره إلى مسند المقعد في كبر وخيلاء كل هذا وبفمه لغافة من التبغ ، شتملة ولم تمسحها يده ، وهذا الوصف يمكن الالمام به في أقول من دقيقتين إلا أن فيه الكفاية من المعلومات عن هذا الإنسان

والإليك بيانها وما توحي إليه

أولاً - التأنيق : التأنيق في الرجال مذهبهم يحط من قدرهم فهو دليل على فراغ النفس من جليل الأعمال ، وانحطاط الإدراك حتى تشغله المظاهر والأشكال ، وعدم تقدير قيمة الوقت والميل إلى التشبه بالنساء : والنفس الفارغة لا تكون لرجل عمل أو تفكير بل قل أن يصلح لعمل ما ، أما من يهرول وراء المظاهر ويقدر الهيئات والأشكال فغير ربح قصير البصر عديم الإدراك لا يدرك نجاحاً ما في حياته ، ثم الذي لا يدرك قيمة الوقت العالية لأنها على أقل تقدير جزء من عمره والمضييع للوقت إنما هو مستهيناً بعمره ومن لا قيمة لحياته عنده لا يعرف قيمة شيء ما ولا يكاد يحرص على شيء ، أما الذي يميل إلى التشبه بالغواني فمخلوق خانع النفس ذليل غير طموح هو دون تفكير لا يكاد يعرف من نفسه ذاتها فرضي الخناعة بدل الشجاعة فعدده لمسا له ولا حرج

ثانياً - إن وضع الركبة على الركبة عادة مردولة يعملها كثيرون تواجها وتعاضلا واست أدري لتلك العادة السمجة من باعث سوى التقليد المتوارث حتى لا يكاد يوجد من لا يعملها ظاناً في ذلك راحة لبدنه ولكنه وهم وفي ضلال كبير فلو كان كما يدعى هو ومن شابهه وعمل عمله هذا لكانت تلك الجلسة هي التي اختارها الإنسان لنفسه من قديم إلا أن الله خلق البدن مستقيماً يجري فيه الدم بقدر ونظام معلوم وفي تشني الأعضاء

بدون نظام . ما كسبه ليجرى الدم حتي أن من يضع ركبته على أخري يري نفسه مضطرا بعد قليل لرفع السفلى وانزال العليا . رغما علي ذلك بأنهم يشعر به في مفاصله ولو أنه كشف عن ركبته حينذاك لراها صفراء فاتحة كما أن هذه الحركة تدل على نزق وخفة سمحت لصاحبها أن يلوى أعضائه بهذا الشكل الغريب المضحك حتي أن الرجل الثابت الرشيد يستنكف عملها لأنها تخالف أيضا الآداب فلا يمكنك أن تجلس بهذا الشكل مثلا أما رئيسك أو وليك وإن فعلت كنت في نظرهم قليل الأدب مع ملاحظة أن هذه الجلسة في السيارة الكهربية ستجعل السائقين كعاجز يعوق الصاعدين والنازلين

ثالثا — لأن يجلس المرء على طرف المقعد الأيمن مع خلوه عن يساره (مع العلم أن جهة اليمين هي المستعملة للصعود والهبوط) دليل على صغر العقل ، وقصر النظر ، والبعد كل البعد عن حسن التصرف ، والنظام فصغر العقل هو الذي حدى به الي العقود بهذا المكان إذ لا رغبة له منه إلا مراقبة الشارع والراكبات والنازلات وقصر نظره هو الذي حجب عنه أن جلوسه في مكانه هذا سيجمعه عرضة للاضطدام بالارجل والأقدام ولا يخفى ما في ذلك من مشقة . يتيقها لو أحسن التصرف فجلس إلي الداخل فيستريح من دوس النعال على ركبتيه وتستريح الناس من التخبط فوقها فتنتظم بذلك حركة الركوب إذ يجعل الانسان دائما المقعد الخالي عن يمينه كي يسهل

على الراكب أو النازل الاسراع

رأينا — أما مظاهر الكبر والخيلاء فهي دون شك ستار كاذب اتخذها

رياء ولم تكن من طبعه (وما أحقر وأحط المرائي) لأن العظيم لا يتكلف

المظمة إنما تدل هي (المظمة) على نفسها بنفسها

تلك هي أوصاف جمعناها من بعض حركاته مكتفين بها وإن قلت بالنسبة

لكثير منها فيه ، إلا أن بها قد استطعنا أن نتوصل بسهولة إلى وصف

نفسه الداخلية تقريبا إذا وحت إلينا حركاته بآدابه وصورت لنا هذه

أخلاقه التي أظهرت لنا نفسه سافرة النقاب ، فهذا المخلوق التمس منور

يريد أن يغر الناس مخدوع ويخدع الناس جاهل يتعاضم على الناس فيكم من

أمر يعمل به الإنسان لغاية فيأتيه بنقيضها وكم من يحاول رفع نفسه فيخطئها

ويكشف سترها وتبدو لعين البصير واضحة حتى كأنه يقول في كل حركة

يأتيها وكلمة يقولها هاؤم اقرأوا كتابي ، وهنا تأتي بمثل رجل آخر حسن

الهندام بدون تأني ثابت الحركات أتي السيارة الكهربية فاذا بها زدحمة

تفحصها جيدا بنظره قبل أن يتقدم خطوة فأبصر مكانا يمكنه أن يجلس فيه

فذهب إليه فاذا ركب وأرجل (البكوات) في السبيل فطلب إليهم بكل لين أن

يسمحوا له بالمرور فتحرك أكتافهم دون أن تتحرك أقدامهم فيجتهد أن ينفذ

من بين سيقانهم دون أن يرفع قدمه خشية منه أن يسبب لملابسهم

إتساخا بعمل حذائه حتى إذا بلغ مقعده قعد دون أن يتيه أو يتعاضم وقد

أستعد لمناولة ملاحظ السيارة الأجرة فلا يكاد يراه حتي يقدمها له
فإن أن يطلبها وهذا في جلسته معتدل لا يضع مرفقه أو ساعده في جنب
جاره أو فوق رأسه وإذا فرض أنه مريض بالتبغ تراه يشعل لفافته دون
درج أو مرج ثم بنفث دخانه بعيداً جداً عن وجوه مجاوريه وبطريقة
لا يسمح له بالتجمع فوق رؤوسهم حفاظاً وحرصاً ومراعاة لشعورهم. الاشك
أن هذا الانسان كريم النفس سامي الاخلاق وها صفحته ناصعة وضيئة
فبدرس طائفة من حركات الانسان يمكن الوقوف على منزلته الأدبية وروحه
الاخلاقية التي هي رداء النفس المحكم وبهذا يعرف المربي الرشيد أميال
وأخلاق وكنه نفسه من تحليل بعض حركاته وبذلك أيضاً يشعر الاجتماعيون
بتطور النفس الانسانية في حالات عديدة أو ميلها الي هذا التطور وهل
سيكون سريعاً أو بطيئاً وهل الي الرقي والتقدم أو الديمور والتأخر حتي
أن جمع الثورات التي حدثت في العالم كان قد سبق أن أنذر بها الاجتماعيون
ونبأوا بمحدوثها ،

فما على الانسان إن أراد أو رغب في الوقوف على كنه فرد ما وماهية
نفسه وأخلاقه ألا أن يتتبع حركاته التي يقوم بتمثيلها على المسرح العالم
لأنها دون شك جزء من دوره الذي أخذ على نفسه تمثيله برواية الدهر العظيمي

المسرح العام

انني أحد الذين يعجبون بالمسرح العام كل الاعجاب حتي أنني

أفضله دون شك على أرقى مسرح لا في مصر فقط بل في نواحي العالم
أجمع . - ولا تظني خرجت عن الموضوع فما المسرح العام إلا الشارع ،
ومن فيه من سابلة فكاههم ممثلون ومشخصون يمثلون على مرآى كل من
ألقى الطرف وهو شبيد ، وإنهم ليمثلون ويمثلون دائماً وبلا انقطاع
تمثيلاً بالغاً حد الاتقان دون تكلف في ذلك وقد فهم كل فرد منهم دوره
ووافق روحه فقام بأدائه خير قيام ، ثم ليس هناك ستار لترفع أو تنزل
لأن (الدرام) العالمية لا ختام لها إلا بختام عمار هذا الكون كما أن
فصولها متواصلة تنتهي غالباً باختفاء أشباح الممثلون أنفسهم فنذ بديء
في تمثيلها والممثلون يتعاقبون ويتلاحقون الى حيث لا يرجعون إلا أن
منهم من يبقى لدوره ذكر في النفوس وأثر في مجرى حوادث الرواية
ومنهم من يظهر ثم يختفي دون أن يحيا له ذكر أو يبقى له أثر كأن لم يكن !
على هذا المسرح العظيم يمكنك أن تشهد أبداع وأروع رواية قل
هي أم جميع الروايات على الإطلاق ، وإن نظرة واحدة ترسلها الى جميع
القصص والمقطوعات والروايات التمثيلية تدلك على أن جميعها تقتبس
من حوادث رواية الدهر الكبرى ، وإن رجعنا أيضاً الى اسم ذلك الفن
الذي يقوم به القائلون بدور الممثلين والروائيين والفنيين رأينا أنه يشعر
بمحاولة التشبيه لشبيه سابق من حوادث مضت ، لهذا أخذوا اسم التمثيل
وهو لغة بمعنى - أتى له بمثل - لجميع التمثيل المسرحي ما هو إلا إعادة

وتكرار حادثة أو فصل من حوادث وفصول رواية الدهر الكبرى
ليتعض الخلف بغير الساف وكل يوم عبرة لما بعده ولو شاء الانسان
لا هتدى بأمره الى يومه ويومه الى غده وما يستطيع ذلك إلا من وعى
للحوادث واحدة بواحدة بالتطلع الدائم الى ذلك المسرح الغريب، حيث
يشاهد الغرائب والعجائب - مع ملاحظة أن ليس هناك تقاسيم فنية
كالتى اصطالحنا عليها من هزلى وأدبى ومحزن وعادى وقصصى بل قد
ترى جميع الانواع فى لحظة واحدة مجتمعة فى حادث واحد أو شخص
واحد وقد ترى البكاء دليل الفرح والضحك علامة الجزع المميت، ثم
ترى ما يضحك الشكلى وما يشيب الولدان متداخلين فى فصل معاً وقد
ترى الممثل يولى وجهه شمالاً فيضحك وجنوباً فيبكي وهو ثابت مكانه
يأخذ من الشرق ليدفع فى الغرب . ثم هناك قوم قائمون بدور المشاهدين
تراهم يكون حين يجب الضحك ويضحكون حين يجب البكاء ويصفقون
حين يجب السكون ويسكتون حين يحسن التصفيق فهم ينظرون وكأنيهم
لا ينظرون اغريب وليس أغرب من هذا يكون وهل بمثله كنتم تسمعون
أو لا تحبون مشاهدة هذا المسرح العظيم وأنتم به واقفون ولا يكلفكم
غشيانه إلا أن تنظرون حينما كنتم فتشاهدون وتتمتعون وان كنتم
لا تسمعون فان التمثيل صامت وان كان القوم لناطقين لانه قل أن يعبروا
بالقول عما يفعلون وإن نطقوا فباللحن والناشيد والاغاني والتراثيل -

الاعغانى والالخان

إسمح لى هنا أن أستتر هك دمة انحدوت من عيني وغض الطرف
عن تلك الآهة الطويلة التي حشرت بصدرى فأن الأغانى هي دون
ريب رجيع خطرات قوس مردديها وصدي حركات عراطف منشدتها
وترجمان مشاعر قائليها وهي صفحات من أفئدة واضيها وهي روح
الرواية التي تغني فيها ، فالأغانى تدلك على البلد وما يحويها وتحديثك عن
المصور وما فيها : فلقد كان الطير أول صادق علي أفنان الحياة إذ غنتنا
البلايل وغردت الشجارير وسجعت القمارى وسقسقت البصافير على نغمات
خريير الماء وحفيف النسيم وتصفيق أوراق الزهر النضير . تلك ألخان
الطبيعة فما أرقها وأبدعها . وكم صغى الانسان لها وهو إذ ذاك عارى البدن
فقير فسمد وطرب وكان في يده قرير . وكم أذكت بفؤاده من الحماس
وأمدته بالمزينة وشدة البأس لمجادة حياته الخشنة . حتى إذا ازدحمت الناس
وقلت الطيور وشمر الانسان بحاجته إلى التغني بذكر أبطاله السالفين
ليحيى مجدهم الأثيل ويأخذ عنهم في أمره اليقين فجعل يقلد ما يسمعه ولكثرة
التوارث انقصت ألخان الأنسان عن ألخان الطير إلا أن الغناء أستمز
مبمات الحماس ووقد الغيرة ومزكى الشجاعة للدفاع عن الأعراض
والأوطان . وما عصر العرب عما يبعيد . حتى دخل الترف على الغناء

عندنا فأصبح الغناء للحنه الرقيق لا لمغزاه الدقيق. انقلبت الآية وانعكست الحكاية وأصبح الغناء عندنا أول داع إلى الفسق والتجور . وكأن الغنى لا يجوز إلا بالهوى والهوان والعشق والهجران إلى ذير ذلك من المفسد القاضية علي حميد الخصال . وما هي إلا نظارة تتصفح بها مجموعة الحاننا وأغانينا بل لا داعي للتصفح وما زال الألسان يسمعها في كل مكان وعلى لسان كل إنسان . ولنا في لك بطائفة مما يتردد على الألسن بكثرة وبشكل زائع الانتشار : —

أرغى السقات اللي في رحنا أحسن جرائك تلحننا - (إحم)

ما اتخافشي علي أنا واحده سجوريا (طيب)

حود من هنا تعالي عندنا

يلا أنا وانت نحب بعضنا (هيص)

بعد العشاء بعد العشا يحلى الهزار والفرفشا (شيء يفضح)

أظن في هذا الكفاية وأظن في هذا ما يقنع السادة الفنانين بأن هناك

أنحطاط في لانهضة فنية — أستغفر الله عذرا ياسادى لست أدري في

الفن شيئا لسكني أريد غناء لقيذا وهو مع لذته يدعو الى الرشدا. أريد الحانا

تقضى علي الروح الخبيثة فينا لا ترمي الى قلب أسافلنا أعالينا وهكذا

يجب أن يكون .

والحمد لله أنا جيه امغرمون بالغناء والترنم فالصبي في مدرسته والبذت في

معهدا والعامل في عمله والسيدة في خدرها الجميع يميلون الى التزم ولهم
في ذلك ذوق رقيق، وان أغلب هذه (الادوار) السافرة ذات نغمة شجية
فبذا لو عني الملحنين ببعض أدوار قيمة ليخرجوها من بطون الكتب
الى افواه الناس . ولقد رأينا أن اللغة مازالت في ديارها غريبة والقوم
لا يترنمون الا بما يفهمون (وللضرورة أحكام) ولا يصادف من الناس
إقبالا إلا ما سهل علي كل اسنان قوله دون تعرف مخارج الأصوات
ومداخلها فيميل كل أريء الي . الا يحوجه الي تكلف في يصعب علي
الكثيرين . واني أري أن النشودة واحدة صالحة خيرا من مائة ألف كتاب
ومحاضرة علمية لأن تأثيرها بالنفس شديد الأثر

فأناشد كل أب وأم ومربية أن لا تجعل ترنمها أمام أولادها الا بما تعثر
عليه من الاغانى القيمة الادبية الحماسية الوطنية فاغاني الأم أفعل في نفس
الطفل وأرسخ أثرا فينشأ معه مغزاها منذ الصغر حتي يشب ويكبر وقد
ثبت له منها غرائز قوية فان خيرا أفادت وان شرا أبادت . فانظروا الي
أي سبيل بأولادكم تدفعون

أنى كثيرا ما شاهدت صغارا مازال بلسانهم لغة الطفولة ينشدون
بصوتهم الملائكي البريء صوتا من تلك الأصوات النجسة عن الوصل والهديام
والهجر والغرام . جناية آبائهم والوسط عليهم اذ يشبون وهم إن كانوا
لا يعلمون لما يقول اليوم معني فسيكون له غدا أكبر معني تلك المعنى الثابتة

في النفس ثبات فذكرى الطغولة وأثرها

النقد

نقل طرفك أينما سرت والقي بسوءك حيثما حللت . تري أن جميع
الناس ممتعضون مما يشاهدون وينظرون . يتحسرون ويتألمون لما يسمعون
ويبصرون وأنت لتري جباههم التي علتها آيات الأسف مسطرة بتجمعات
السخط والحق . كذا عيونهم التي تقدح شرر الغضب تكاد تميز من
الغيظ كلما مر أمامهم مشهد لا يرضون عنه وتصفر جباههم وشفاههم التي
تتلاصق من شدة الألم فيسمع لها أنين (مص الليمون) يشعر بالتوجع
والحسرات . إلى أن يزداد مرجل غيظهم المكظوم فتضطرب منه حواسهم
التي تنزل لها رؤوسهم فتبهز يميننا وشمالا حتي يكاد يخيل للرائي أن
الرؤوس على زئبق قد ركبت ! فمادهى القوم . وما خطاب الناس ؟ !

حدث كل فرد علي حدة عن مبعث ألمه وشكاته ومشار غيظه وامتناعه
تري ان الجميع قد أغضبهم من أنفسهم ما يعملون ! فكل انسان يشتكى
من الناس وهو منهم ويتذمر من أعمال مجتمع هو أحد أفراده ويتأفف
من أفكار هيئة هو واحد من أعضائها . كل امرئ ينتقد غيره وغيره
له ناقد . وكل شخص يعيب عمل سواه وسواه يعيب عليه عمله . ثم أنه
غير راض على أحد كما أنه غير مرضى عليه من أحد . فتري الناقد هنا قد

المستهدف لم النقد هناك حيث تلبس بما ينهى عنه سواء . وهل أغرب
من ان يحاول من لا يستطيع وقاية نفسه وإبعادها عما يراه منكرا صد
غيره وإقالة سواء . ألا يكون الأجدر بهذا المسكين أن يشتغل بعيوب
نفسه عن اقتفاء عيوب الناس ثم يأخذ على نفسه انقاصها شيئا فشيئا
مزدجرا بقوله تعالى «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم» ومتعظا
بقول الشاعر الحكيم

أبداً أبها المـعلم خيرك هلا لنفسك كان ذا التعلـيم
أبدأ بنفسك فانهماعن غيرها فاذا انتهت عنه فأنت حـكيم
لأن يشتغل المرء بعيوب نفسه خيرا له وأجدي إذ سرعان ما ينقصها
تدريجيا حتي يتخلى عنها كلها تقريبا ويكون يوما ما من الصالحين . وهنا
يمكن من القيام بالأصلاح الذي يرجوه ويتمناه من أقرب الطرق وأضمن
السبل إذ النفوس الصالحة كمصابيح الهداية والعرفان يستهدي بها وبنورها
القوم الضالين ويقتدون بها متمثلين بأعمالها الخالصة النقية
أما النقد الكلامي الحار فلا يكاد يفيد مالم يصدر محاطا بسياج من
التحفظات التي تحفظ له جلاله وهيبته وكأله وروعته فتدده بقوة من
التأثير الثابت في النفس ويفيد بذلك الفائدة المرجوة

وليس النقد بالامر الهين الذي يستطيعه كل من تعرض له . إنما

هو عمل جسيم يتطلب رجلا دربا مجربا صادق النظر حكيما . قد أقدم على عمله جبا في الإصلاح لاحسدا أو غيره . ولا يرجو من وراء عمله الا اظهار الحقيقة ناصعة غير مشوبة أو ملوثة بأوهام المضللين واقتراءات الكاذبين رغبة صادقة في الحقيقة لا فخرا أو وسيلة لمخر . ومن أحب الحقيقة ورغب فيها اتبعها وكان لها حارسا أميناً .

فأول شروط (الناقد) ان لا يتصف بما يحط من قدره فتتقص قيمة أقواله ويحقر تأثير مقالته .

* * *

والنقد عبارة عن فحص بعقبه حكم أو درس دقيق يليه استخلاص فأول عمل يعمل الناقد هو ان يدرس الموضوع ويحلله جيدا بالنسبة لجميع احتمالاته وأوجهه درسا دقيقا دون أن يغفل ملاحظة ظروفه التي ولد فيها وأحداث به . ثم ليضع نفسه ووضع من يهم بنقده وينظر :

هل يرضي أن يوجه اليه مثل ذلك النقد وفي تلك الصيغة . وليقدر الناقد دائما بكل تريث وتدبير قوة المؤثرات الظاهرة والباطنة كما يكون نقده صحيحا سليما من الغلط . كما أن الواجب نقد الفعل نفسه دون نفس الشخص المنفذه كما يعتمد قدر المستطاع عن التحيز الشخصي أو التشبث بدون دافع من نزق الحسد أو مهييج من حمق الغيرة . ذلك هو ما يجب أن يكون عليه النقد الصحيح المفيد

أما الآن فأصبح المرء يصبو سهام نقده المر باسلوب نهكمى مريم
ويغلب أن يكون لا يعرف ماذا ينقد إنما هو ينتقد لا نه رأي أن فلانا عمل هذا
العمل وهو يعتقد في نفسه أنه خير من فلان هذا فينبري ناقدان عمله بطريقة
تكشف للملأ جهله وحمقه. وكم ترى من أناس يسرعون إلى لوم الرجل —
واللوم نوع من النقد — دون تمن في الأمر أو روية فيه ليتعرفوا على
أي وجه من وجوه الصواب قد أصدر عمله ولماذا أبرزه وأقدم عليه،
وعندئذ يجوز لهم نقده إن لم يتبينوا أنه برىء، وسأسوق مثلاً كنت له من
الشاهدين يدل على روح النقد التي تثبت بجلاء قصر النظر والتسرع المشين
ذلك مثل رجل حاول ركوب السيارة الكهربية أبان سيرها فكد أن
يهوى تحت عجلاتها فيكون من الهالكين إلا أن الله لطف به فنجاه
وكان من السالمين ولكن لا تسلم عما صبه الناس على أم رأسه من سب ولوم
وتقريع وقد أجمع الكل على أنه في فعلته من الخاطئين ولم يبق بالسيارة
فرد يدافع عن الرجل أو ينتحل له عذراً وهو في نظرهم مذنب بل مجرم
أثيم ولو أنه نجح ما شعر به أحداً والتفت إليه فرد من الراكبين، فهل خطأه
عندهم أنه هم بالفكرة أو أنه لم يكن لا أول وهلة من الفائزين، لقد كانت
عباراتهم تنحصر في: أنه حاول ما لم يستطع عجلة منه وإسراعاً في عمل
الدنيا فكان كمن يسعى إلى حتفه بنفسه. وهذا خطأ منهم إذ من يذري

أنه ليس متدربا على مثل هذا العمل وإنما هي كبوة ، ثم من يدري أنه مضطار للأسراع كما أنهم هم أنفسهم مضطرون ولكل امرئ شأن يلهمه السعى فيه، وهل كان يرجو الزل؟ أو ذلك رغم أنه ولو كان ذاعضل متين ، إذاً علام كل هذا اللوم والنقد المر وأنتم لا تعلمون من أمره شيئا ، ولو أصبتم بما أصيب به مارضيتم في حقكم همسا ولا لوما

وثق أيها القارئ أن هذه الحادثة مثلا لما يقع في كل ساعة وبكل مكان ، فلورأوا كارثة أو مصيبة حلت بقوم أبوا إلا أن ينالوهم فوق ما هم فيه بالسنتهم وسفسطتهم ، ثم تجدان أشد الناقدين حدة هو من لم يعرف من الأمر أولا ولا آخر

فمن الغلط الفاضح التعرض لنقد من لم تعرف عنه شيئا أو تدرك من أمره خبرا لأن الحوادث والحركات وليدة ظروف وبيئات لو وضع فيها الناقد ما بلغ في اصالة الرأي وإحكام العمل مبلغ من يشهد في نقده الآن قريحته وهو خالص من المؤثرات التي قيدت صاحبه. ومثل ذلك ان يتعرض كثير من المؤرخين لنقد الخطط الحربية التي نهجها بعض القواد السابقين ولو أن الحظ أني هؤلاء لعدت تلك الخطط المنقودة من معجزات الأفكار ، ولو أتيح للمؤرخ أولا كبر قواد زمانه مثلا أن يكون في موقف ذلك الراحل لربما كانوا أسرع في الارتباك

والاضطراب ، اذا لماذا ينقدونهم بأسلوب تهكمي مخجل لا يرضاه إقلمهم على نفسه ولو سمعه صاحبه لقاصهم عليه قصاصا صارما ، ألا ان المرء منهم يكتب مايكتب وهو آمن في مكتبته منفرد بمحبرته وقرطاسه وقد يفزع موهر أو طنين ذبابة ، وما كانت مهمة المؤرخ أن ينقد لنا الحوادث إنما يسردها علينا بأمانة وتحقيق فقط وللقاريء أن يستنبط لنفسه ماشاء كل على قدر ماتوحي اليه مواهبه وملاكماته

وحبذا لو صرف المرء همه في نقد نفسه وذاته بكل شجاعة ونزاهة بعزم أكيد يصلح ما يراه من عبوبها ويقوم عوجها وينثى عن مواطن الزلل المشين، فيحذر أن يصيب الناس منه مالا يرضى أن يصيبه منهم فكلامهم كمثلهم انسان ، ولا يكون كرجل جلس الى جاني في سيارة كهربائية وغرز مرفقه في جنبى بشدة آلمتني كثيرا غير اني لم أطلبه بالاستقامة خشية أن يكون مضطرا لعمل ذلك كأن يكون ساعده مكسورا أو مجبورا أو ملتويا أو غير ذلك ، إلا أنني ما لبثت أن سمعته يرجو جاره الثاني أن يقيه شر ما أصابني منه هو افاالتفت اليه متعجبا وقلت له : اني أعجب كيف يتمسك الفرد بطلب حقوقه الشخصية ثم هو مع ذلك يستهين بحقوق الغير ، ألا يدري أنه بهضم حقوق غيره يعمل على ضياع حقوق نفسه — ودقة بدقة — أم هل يظن أن له فوق ما لغيره فهو

السيد والكل له خدم وأتباع ، أم ظن أن راحته فوق راحة الجميع
يستمع بها ولو قضى في ذلك على غيره بتعاب وآلام
والضحك والضحك هنا منتهي دركات البكاء أن يتوسل الناقد
ينقده إلى الحصول على ما ينقده من الناس كأن ينتقد الشاب زمرة لما كسبهم
الفتيات في الطرقات وهو إنما يلقي محاضرة فقه على أسماع آفات
وغايات يرتو اليهم من طرف خفي رغبة في ما يهي عنه اخوانه وهذا
كثير الحصول من أدبائنا وكتابنا الذين لا هم لهم الا قراءة المجلات وهي
عندنا لا تحتاج لأن تم تسويد الورقيات الاسبوعية التي يجب أن تخرب
منها مثل المسحات والمخدرات المختلفة القابلة .

يتكلم أحدهم بلهجة شديدة وأسلوب حار والفاظ قوية حماسا منه
للفضيلة المنبوذة وغيره منه على الانسانية المكلومة ودفاعا عن الشرف
المسلوب فيخيل اليك لساعته براءته من كل رجس أودنس فتعتقد
بعده عن كل منكر أو على الأقل سلامته مما يأخذه على غيره من
الهفوات ويعده عليهم من الفلطات ويخصيه فيهم من السيئات التي يطها
بفلسفته مطا ليخلق منها خيانات وجنابات ومنكرات ويصب بناء عليها
جام لغاته على رأس المجتمع فردا فردا كأنه بمنزل عن ذلك المجتمع وليس

له به أدنى مساس أو أوهي ارتباط . ثم ما هي إلا أن يوليكَ ظهره حتي ترى أنه من أسفل الآتمين وأحط المذنبين وأخس المجرمين ! إذ لا يلبث أن ينسي . ما قام بتمثيله من أدوار الوعظ والارشاد وينسرى في ثوب الاجرام والفسوق ! وتري الواعظ مغرقا في حمأة مانهى عنه وحرمه من قبل على سواه حتي يستحق أن يعاب عليه ما كان يعيب به غيره ذلك الذي زعمه في الناس نقصا ، واعجبوا ! كيف استباح لنفسه ما حرمه بلسانه على سواه ! اللهم لا أغرب من قوم يرون هانات غيرهم وهم عن عيوبهم عمى لا يبصرون ، وأنه لا يعقل أن يجتمع ملاك الهدى وشيطان الضلال في هيكل واحد ، فلا بد أن المرء منهم لا يملك من قوله سوى قوة النطق به فلا يكاد يشعر به إلا مخارج الالفاظ ، إذ سرعان ما يبدو عجزه عن أن يزجر نفسه عما أراد أن ينهي عنه سواه ، فاذا عجز الانسان عن اقناع نفسه برأي يراه فأحري به أن لا يقنع سواه

الا أننا فتننا بحب النقد ! ولا ندري منه إلا سب بعضنا بعضا والتهمك والاستمراء من غيرنا وكم من وقت نضيعه في تجريح أقدية الناس ولومهم وما نحن أنفسنا إلا صور منهم نعمل مثل ما يعملون ، فكيف نحاول أن نستربا قوالنا عيوبنا وهي عندهم بيئة كما أننا لعيوبهم مبصرون ، وكم نحاول نقد الناس ولومهم في مواقف لا نرضي لنا فيها منهم قولا ، وتلك أمور فاشية بيننا نكاد نحسبها لمساو لن نحصيها عدا ، الا إن العاقل

من ألمته عيوبه وشغلته عن عيوب الناس فعاملهم بمثل ما يود أن يعاملوه به فيمنحهم من حسن ظنه وثقته ما يرجوه منهم لشخصه فان تبادل حسن الظن بين أفراد المجتمع أدعى الى تعاونه ورخائه وسؤدده ونمائته

الآن هناك نوعان النقد يعد من ضروريات تلك الحياة إذ هو أساس في التربية والتعليم فلا يخفى على أحد أن أكبر مهام المربي أو المعلم مثلاً هي نقد أعمال تلميذه بعين بصيرته التي يجب أن لا تخطئ ثم ينقدها له نقداً صحيحاً يجعله على بينة من ثمينها وغمثها أو طيبها وخبيثها ، كما أن الوعظ والأرشاد ما هما الا نوعين من النقد أيضاً بل لا يكاد يكون النقد الا وعظاً أو ارشاداً ، وكلاهما ضروري لحياة الجماعات التي لا تخلو من اختلاف الدرجات الفكرية والنفسية فيحسن بمن أراد نصيح فرد ما وارشاده أن يتخير لذلك الظروف الملائمة برويته ونظاره لأن كثيراً ما شاهدت ناصحاً لا يجني من وراء نصحه الا الاهانة والاستهزاء ومرشداً لا يلقي سوا المخاضمة والازدراء فيلومون على ذلك العامة وحقاً أن يلوموا أنفسهم لأنه من العبث المحض والخطأ الفاحش أن يعترض المرء تيار الرذيلة المندفع في أبان مجراه إذ ماثله في ذلك الا كصخرة اعترضت السيل الجارف فجرفها تياره لأن نفس المرتكب المتلبس بالجريمة أبعد النفوس عن بشرتها وانسايتها وهي أقرب دون شك الى نفوس الضواري والوحوش فلا تكاد تفرق بين غي أو هدى ، وما أضل ذلك الواعظ الذي يقف

وسط الحان لينصح السكاري الذين أعماهم الشيطان فاضلهم قبل أن
يحتسوا الأثم فيعمهون فهل مثل هؤلاء للنصح يعقلون انما هناك مجالس
الوعظ يأتيها اللسان طاهر القلب حاضر الوجدان يتلقى النصح
بجنان وايمان وحينئذ يثمر الوعظ ويستفيق الغفلان

المعاملات

مذ أقلم الانسان عن الحياة الفردية الى حياة الجماعات شعر بضرورة
التقسيم العملي فاختص كل فريق بعمل من أعمال الحياة فوجدت حاجة
ماسة لتبادل الاعمال حتي يقوم الفرد بعمل يؤده للافراد في سبيل أن
يتناول من كل منهم جزءاً من عمله ، وتلك هي سنة التعامل التي سادت
أخيراً بين الناس في أنحاء العالم ، وقد كانت دائرة المعاملة ضيقة النطاق
لأنحصارها في العشيرة أو القبيلة ثم أخذت تزداد وتفرج دائرتها كلما
ازدادت الجماعات انساعاً وارتباطاً ثم بازدياد الحاجيات المعيشية وتفرقها
ذلك الأمر الذي أدى إلى ازدياد أقسام الأعمال أي أصبح المرء مضطراً
لمعاملة أفراد عديدين للحصول على ما يحتاجه ، وكلما كثرت حاجات المرء
اتسعت معاملته وكثر عملاؤه وعلى ذلك فالحضري يتعامل دون شك
مع أفراد أكثر من القروي وذلك مشاهد وملموس

من هذا يتضح أن المعاملة واجب مشترك لفائدة متبادلة بين

المتعاملين أى ليس لأحدهم فضل على أخيه إنما كلهم يتعاونون على تنمية جماعاتهم كل على قدر نصيبه الذى اختص به وإن كانوا سواسي في الحقوق والواجبات بغض الطرف عن المظاهر الشكلية والقوارق السطحية ذلك شأن المعاملات وسر وجودها لهذا يجب أن تصبغها أرقى الآداب كما تعين على أداء العمل بكل دقة وإمعان ولهذا سنتصفح بعضاً من معاملاتنا العامة لنعلم إلى أي دركة نحن هابطون ، وأما منا التاجر والصانع والزارع والموظف وغيرهم وكلهم عملاء نستطيع أن ندرس أحوالهم دون خشية ذال أو غلط لأنهم تحت حسنا وبصرنا في كل مكان وسنوجز القول عن كل جمعاً للفائدة : —

فالتاجر ويدخل فيه كل من باعك شيئاً ماسواء في ذلك بائع الاقشة والبقل حتى بائع التبغ أو الفجل : تراهم فيما بينهم متحاسدين متناكرين يود كل لكل الفشل والخراب حتى يسعى ويجد في ذلك، أما معاملتهم لعمالئهم فهم غفل لا يعرفون أن حسن المعاملة نصف رأس المال، وهم لا يحافظون على مصلحة عملائهم بل لا يقدرّون لهم مصلحة ما . فلا يجذب أحدهم من البضائع إلا أخسها ثم يدسها عليهم باسم أحسنها غشا وخديعة ، وهو جشع في الربح يود لو يمتص دماء الناس لو استطاع الى ذلك سبيلا ولا يرضي منهم ربحاً قليلاً وإلا فهو ساخط عليهم إذا لم يفرغوا عليه جيوبهم ، لا يعرفون من التجارة إلا الاسم حتى كان الفرد منهم لعبة في

يد السوق مثله في ذلك مثل المشتري منه لا يدري من أسرار التجارة شيئاً فان شاء السوق رفعه وإن شاء قلبه فكان من المفاسين وهم مع ذلك يتعاضدون ويتكبرون فيشيرون ولا يتكلمون كأنهم بكلم لا ينطقون فاذا أقبل رجل تلقوه بغطاسة أو رخا أو إن امرأة ساقطة أشرق الوجه وسال لعاب اللسان هزلاً وغزلاً ومجان وعماً قليل تنقلب الحانوت إلى حان أو مجتم نسوان وملتقى أخدان. هذا ما كان من أمر التاجر وآدابه في المعاملة أما الطرف الثاني (أى عملائه) فيعتقدون أن التاجر قل أن يصدق. خرب الضمير. لا تحقق له مقال. فمنعوه لذلك ثقتهم ومنحوها خطأً للاجنبى الذي يفوق المصرى بمراحل في هذا المجال وإنما قد سترها على البسطاء بكثرة الأقوال وتنميق الفعال

أما الصانع ويدخل فيه كل من قام لك بعمل آلى أو يدوي فمن البناء والنجار الى الخياط والطباخ الى غير هؤلاء من كل هذه الطوائف والمهن. قوم يجهلون ان المحافظة على الميعاد هى أقوى مسهل للأعمال منجز لها، لذا قل ان ترى صانعاً يستطيع المحافظة على مواعده ولعل السبب في ذلك يرجع الى عدم تفرغ العامل الى صناعته بهمة ونشاط كمسخر لا يجزي على ما يعمل! وذلك لأن الصانع المصرى على وجه عام موبوء بحب المكيفات التى تتلف عقله وبدنه وماله، ثم هم يميلون الى الغش والتهاون فالأول للطمع والثاني للكسل والحقيقة انه يخسر بغشه أكثر

مما يكسب فان العمل على وجهه الصحيح أخف وأسهل من الفش الذي يحتاج ستارا ظاهرا قد يأخذ من الوقت أكثر مما يتطلب اتقانه ، أما الكسل المؤدى الى التهاون فيسبب عيوباً لا يرضاها العامل في صنعته فالعامل الزيه هو من يؤدي للصنعة حقها . واكبر نقصهم الخمول والاستكانة وعدم الاعتماد على قواهم الفكرية لتحسين صناعتهم مع أن ذلك الأمر قد أدى بالغير الى الاختراع والابتكار . وقد ينمي ذلك لجهل هذه الطبقة مع انها أهم طبقات الأمة . وإلى رقيها في الأمم يرجع رقي هاتيك الأمم وهم لا يلقون من الناس إلا كل احتقار حتى يطعم كثيرون في استباحة حقوقهم وهضم أجورهم ثم هم مع ذلك مازالوا مفكرين لم يحاولوا رفع منزلاتهم لأنهم في فسوقهم غارقون

أما الموظفون وفيهم عمال السكة الحديد (التلغراف والتلغونات) والبريد (الترام) ورجال الإدارة من المدير الى الخفير وغيرهم . فقوم زعموا لا أنفسهم الحق في السيطرة على رقاب العباد فكل الناس لهم خدم وعبيد وهم أسياد البلاد لهم وحدهم خلقت ولهم وحدهم التمتع بما فيها من الخيرات . فللموظف مهما كان صغيرا ان يستهين بجميع الناس ويحتقر كل الناس ويشمخ بانفه على الناس ، للموظف مهما كان حقيرا أن يزعم نفسه أرقى الناس بل من طبقة فوق الناس فهو سيذا في الناس ، للموظف

دونك ان لم تكن موظفا ان يتعاضم ويتعجب ويتعالى ويتكبر فالتاجر
عنده رجل حقير والصانع مخلوق فقير ، الموظف هو خادم الحكومة
سيدة البلد فهو بالنيابة عنها له الارض أو عمدة الخط (تلك آراء الموظف)
فهم أدري بما لا تعلمون وأعلم بما لا تعرفون ولو كان أحق من مأفون
وأرعن أو مجنون فهو الشريف أيها البسطاء فحق عليكم ان تدركوا امرى اشارته
أو مغزي عبارته وان كانت كهذه ذنب البعير أو مرمية الخنزير وعليكم أن تقنعوا
منه باليسير وتقفوا أمامه بكل تجلّة وتوقير. فان قال أمنوا وان أشار انصرفوا وإلا
فهو ان يعاب بكم إذ واجبكُم أن تعرفوا ما يعرف وإلا لماذا تقفوا امامه وأنتم
تجهلون، هل تودون أن تتعبوا (سيادته) ليفهمكم ماذا تعملون ! حقا أنكم
جهلتم قدر الموظف وكنتم له محجفون . أما أن كنت سيدة فستزول
حالا عبوسه وتستقيم إذ ذاك قامته وتشرق حينذاك أسرته ثم يدل
عليها بجاهه وعظمته وأمره الواسع العريض . هل فهمتم من هو الموظف !
أنه ولا شك الشحاذ التركي الذي يقول : حسنة سيدك محمد اغا !!!
خادم ويدعى السيادة . فقير ويدعى الامارة . مأجور يتعاضم على رب
نعمته ثم هو في عمله كسول خامل متهاون متواكل مرتشى متخاذل .
مصلحته في مرتبه أدى عملا أم لم يؤد . وذاك هو الغالب - يدعى خدمة
الحكومة وهو دليها عالة يتخيل أنه مظلوم دائما وهو بهذه الفكرة لنفسه
ظالم . فرجال القساون أول متهجم عليه وحماة الامن أول مستهين به

وحفظة الأموال أول سرقة منها وعمال النظام أول مخل له ثم هم بعد ذلك يتيهون على الأمة والحكومة !!؟

ولعل الموظفين هم الطبقة الوحيدة التي وإن أساءت إلى البلد في عملها الرسمي وعملها الفردي الشخصي لا تجزى بمثل ما تعمل وذلك لجهل العامة حقوقهم مع رهبنتهم من الحكومة لا رهبة احترام وتقديس انما خشية رعب غير مختلطة بشيء من التبجيل لهذا لا يكاد يأنس الفرد منهم غفلة الحكومة حتي يخرج بتاتا عن نواحيها الوضعية. ولكم سمعت أفرادا من العامة يفخرون بأعمالهم العدائية للنظام والحكومة - مع ملاحظة أن عامة بلادنا هي الغالبية الساحقة - وذلك لأن الموظف الذي اسلفنا وصفه لا يمكنه أن يحوز رضى الناس بمزاعمه الشيطانية بل أن حاله هذم تنفر منه المتعلمين وتجهلهم عليه حربا وبذلك لا يجد الموظف مناصرة أدبية لاداء وظيفته . وهذا ماأدى الى ضياع كثير من وقت الموظفين فيما لا يمكن تحقيقه الا بمساعدة الاهالى الادبية وهذا ما لا يمكن للموظف المصرى الحصول عليه الآن

وهو مرموق بعين الطمع إذ يعد من الموسرين دائما فالعامل والتاجر يحسدانه على راحته وماله والله يعلم أنه أتمس من الجميع حظا. ولكنه مظهر كذاب ورواء خلاب يخفي وراءه شقاء وعذاب لا يدركه إلا من به قلب سليم

أما الزارع أو الفلاح فخالته لا تخفي على انسان وما أظنها في حاجة الى تبيان فالجهل والفقر فيه فاشيان فهو أشقي الكل يعامل معاملة الحيوان وكفى ما يروى عنه من النوادر والفكاهات ليظهر لنا قيمة الفلاح في نظرنا فتعيره بجهله وتجاوزه عليه بشرنا ولو أننا عرفنا الواجب علينا بصفتنا أعضاء جماعة عضوية واحدة هو أيضا عضو عامل بها القمنا له بما ينفعه ويرضيه وفي هذا تقمنا لأنه العنصر الفعال الذي يشيطننا... فهذه لمحات قصيرة عن روح التعامل بين الطبقات وبعضها فهي وإن اختلفت إلا أنها ترجع الى أساس واحد وهو جهل الشخص التام بمر كزه من هيئته ومركز هيئته منه إذ لو عرف ذلك لرأى الواجب المحتوم وشعر أيضا بأفضال جماعته عليه حين يشعر أن الجماعة جسم عضوي كجسم الحيوان المركب من عظام عديدة وشرايين كثيرة ودم ولحم وجلد وغير ذلك من قلب وامعاء وكبد. أما الجماعة فتتألف من أعضاء بعدد أفرادها الذين ينقسمون من وجهة العمل كما ينقسم العمل بين الدم والعظم رغم أنها متعاونة . كذا الافراد جميعا متعاونون متكاتفون في سبيل تنمية الجماعة متضامنون على العمل لمصلحة جماعتهم وحياتها وسعادتها التي تنحصر فيها وتبني عليها سعادتهم

زعم البعض ان المصلحة الفردية تفضل مصلحة الجماعة ولذلك

يرون الحصول عليها ولو أضر ذلك بالمصلحة العامة إلا أن العقل السليم يخالف ذلك ، فإذا فرضنا مثلاً جسماً حيوانياً قد خرج أحد أعضائه على أجماعها طلباً للذات الفردية ولنفرض أنه المعدة . وطلبت المعدة لذاتها الفردية بكثرة الطعام والافراط به ألا نرى أن جميع أعضاء الجسم على الإطلاق تتأثر بذلك وتكون المعدة أيضاً أول معذب بجريمتها . كذا الحكم على الافراد في الجماعات فما خرج فرد على الجماعة طلباً لمصلحته التي تضر بالجماعة ولا تتفق مع نوااميسها حتى يلتقى جزاء عمله قبل الجميع وإنما الذي يجعل الفرد منهم لا يكاد يشعر بضرر عمله سريعا هو سعة الجماعة وتوزيع الألم على جميع افرادها فكيف يرضي الانسان بعد ان يعلم أنه مدين لجميع أفراد جماعته بكل شيء يتمتع به يجازيهم على ذلك بعمل ما يؤذيهم ويؤلمهم ! ألا يكون في ذلك شاهد على انه عديم الشعور باحد كفور وفي الحيوان ما هو أوفى منه شكور . فالكتاب لا يضيع عنده عملا مبرورا فاتق الله أيها الانسان ولا تكن بنعمة قومك كفورا

* * *

قال الله تعالى «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»

«واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»

«ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم»

قال عليه الصلاة والسلام : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)
(عامل الناس بمثل ما تحب ان يعاملوك به) (الجاهل يظلم من خالطه
ويعتدي على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تمييز
وان رأي كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أزدته وتهور فيها)
وقال الامام علي كرم الله وجهه : من لانت كلمته وجبت محبته

الحرية الشخصية

وهل هي حرية مطلقة؟

(أنا حر). (أنا حر). (الدنيا حرية). عبارات تتردد في مواقف كثيرة وظروف عديدة فلا يسمع المحدث بمدىها الا الصمت والصمت أولى من حديث رقيق (١) تخيل أنك أبصرت شابا يضيق فتاة في الطريق على جاري عادة الشبان (المودة) وكانت هذه الفتاة من (الناذر الحشمة) فأردت نصحه ليقبها شره فلا يجيبك الا بقوله (أنا حر وانت...) تخيل أن شابا ركب السيارة الكهربائية ووضع رجله على المقعد الذي أمامه فحاول أحد الناس رده عن هذا العمل المخالف للآداب فلا يجيبه الا بقوله (وانت مالك، أنا حر). تخيل أنك أبصرت فتي صغيرا يبتدىء في عادة التدخين وأردت نصحه في ذلك فخوفته بمقام أبيه. فلا يكاد يجيبك الا بقوله (وحي عمل ايه. أنا حر). ثم تصور أنك في معرض النصح والارشاد لفتاة تقول لها: كيف تخرجي في هذا الزي المعيب ألا تخافى أباك؟ فلا تجيبك الا بقولها (الدنيا حرية علي كيني) جميل اتم ان الامثلة لا يمكن حصرها وكلها تفيد أن الحرية التي فهمها القوم ماهي الا الخروج عن كل نظام وتقليد فهي متابعة الهوى ومسايرة الاميال دون مراعاة حد أو قانون، وماتلك الا الهمجية الأولى وقد عاش الانسان حيناً

من الدهر راتعا في جو من الهمجية حرامن كل واجب خالصا من أقول قيد
أو شرط تحركه أغراضه وغايته دون أن يراعى في نوالها حقوق غيره أو
واجبات سواه مثله في ذلك مثل الحيوان الشارد أو الطير الطليق فليس له
ناه من سنن أو زاجر من أدب أو رادع من قانون ، حاكمه لذته وهواه
وغايته الحصول على غرضه ومناه. فكان الانسان حينذاك يتمتع ولا شك
فأوفر قسط من الحرية الشخصية التي رأى بعد ذلك ان ينزل طائعا مختارا
عن جزء منها لتأليف الجماعات

والجماعة وان انقصت من حرية أفرادها الشخصية إلا أنها عوضتهم
بما يحفظ لهم نفس حقوقهم التي كانوا يتمتعون بها ولكننا تحت أسماء آخر
يكون مجموعها نظم الجماعة التي تعاهد جميع أفرادها بالمحافظة عليها وحمايتها
بوثيقة المنافع العامة والمصلحة المشتركة. فاذا لم يراع فرد تلك النظم كان
خارجا عليها ولا شك أن خروج الافراد عن نظام الجماعة هدم لها وعود
الى الهمجية الاولى

حياة الجماعة إذا في نظاماتها التي تنفرع الى فروع عديدة منها القوانين
المختلفة ثم الحقوق والواجبات الأدبية والاجتماعية والعادات والسنن
العرفية ثم الشرائع الدينية ، كل هذه عبارة عن دوائر وضعت أساسا وسياسا
للجماعة ودرعا لوقايتها وباعثا على نموها ورخائها

من ذلك يتعين أن للفرد أن يتمتع بحريته في داخل تلك الدوائر التي

وضعت حدا لسريان الاهواء والاغراض فلا يتمكن الفرد من هضم حقوق غيره وأصبحت الناس سواسي في الحقوق والواجبات أمام القانون فالفرد الآن لا ينزل عن ذلك الجزء من حرите بناء عن هوى غيره أو استبداد سواه لكنه نزل عنه راضيا خضوعا للقانون الذي يحفظه كما يحفظ سواه ، فليجعل المرء نفسه مثلا مما يريد ان تكون عليه جماعته وليعلم أنه مطالب بكل ما يطالب به أي فرد فيها علي السواء وأن ما يديحه لنفسه يصح أن يباح للناس ، فما أسوأ العاقبة إن أتبع في ذلك غيه ولوي عن رشده وحججه فالعجب العجيب من اولئك النفر الذين يرجون دوس كل قيد في سبيل حريتهم الفردية أو في سبيل اغراضهم الذاتية . فليتقوا الله وليعلموا أن الحرية الملائمة لم توجد على هذه الارض ، بل كان الانسان يتقلب في أدوار من الحرية تختلف في السعة والضيق لمقتضي الحال : ففي عصر الهيمنة كما أسلفنا كان في أوسع دائرة للحرية ثم تحول الي دائرة أضيق ولكنها أضيق للرفاهية والرخاء ثم مالبث أن أنقلب الى أضيق دائرة عرفها الانسان ذلك حين استبدت النقوية المركزية للجماعة وغلبتها على أمرها حرية فردية لشخص واحد توسع في حرите حتي هضم حقوق جميع الناس ا ذلك عصر الاستبداد الذي نادى فيه الجماعات تحت تصرف أفراد نالواهم وخدمهم على حساب ذيرهم أوسع وأكبر دائرة من الحرية . ولما كن ذلك مخالف لغرض الجماعات التي ألفت لمصلحة الجميع لا لمصلحة

أفراد ، طوحت هؤلاء المستبدين في عصر انباج فيه العلم فهدي الناس الى سبيل حقوقهم فاستردوه ومنذ ذلك الحين علم ان الحرية دائماً مقيدة ولم تلك الحرية مقيدة في عصر دون عصر وفي شيء دون شيء بل الحقيقة ان الحرية مقيدة في جميع مظاهرها وحركاتها وهيئاتها حتي في أبسط الامور التي قد تظهر للانسان أنها تحت تصرفه الخاص والخاص جداً مثل ذلك ان يتصور الفرد أنه يملك تمام الحرية في كثير من أموره الخاصة كالأكل والشرب واللباس والنوم والمشي والقيام والقفود وأشباهها وقبل ان نبين قيود الحرية حتي في هذه الامور نقول ان الحرية هي . حال يكون الانسان فيها قادراً علي فعل شيء أو تركه بحسب اختياره وارادته فهي الخلوص من الموانع القهرية التي تحول بين الانسان وما يريد . فهل اذا طبقنا هذا الوصف أو التعريف (الدقيق على ما أظن) يمكننا ان نرى الانسان متمتعاً بكامل حريته في أمر من تلك الامور المتقدمة ؟ ان نظرة واحدة الى حاجة الفرد وليأخذ كل قاري ذاته مثلاً - هلا يدري أنه كثير ا ما يطلب الاكل ولا يستطيعه سواء لعدم قابلية مع الجوع أو لمرض أو لعدم ملاءمة الأكل له فهذا يدل بجلالة أن الانسان مقيد في طعامه بمعذته وصحته وجو بلده وقابليته ثم لنوع الطعام أما الثياب فمقيد بالاجواء والعادة والزي المألوف الملائم وإني أعرف كثير امن يرتاحون في الجلباب أكثر من الملابس الإفريقية لكنهم مضطرون للباسها قهر اخضوعاً للمألوف

أما في الحركات والسكنات فهناك القوة البدنية اقوى مسيطر على هذه الأمور . من كل ما تقدم يتضح بجلاء أن الحرية في جميع مظاهرها مقيدة بقيود تكاد تكون اضطرارية غالبا فالذى يرى بعد ذلك أنه حر يصح أن يتوسع في حريته حتي يتعدى دوائرها أحرى به أن ينزع عن تلك الجماعة الانسانية اذهى لآلائه ولا توافق نوااميسها فوضته الهمجية وتهوره الوحشى

فالانسان حر ما دام لا يتدعى دوائر جماعاته ونواميسها وضعية كانت أو نقلية ، فان أقل انحراف عن تلك الحدود والسنن لا ترضاه الهيئة الاجتماعية التي رأت أن الخروج عن تقاليدها امتها نال لكرامتها فنصبت نفسها حارسا على نظمها . ولما كان من المحال على الهيئة الاجتماعية أن تصدر حكمها بكامل هيئتها في جميع الأمور كان من الضروري أن ينوب بذلك فئة من أعضائها الراشدين الذين يعرفون بمحافظتهم على حدود الجماعة والحرص مع الغيرة عليها ، ولما كان من المفروض أن جميع أفراد الجماعة الراقية متصفون بذلك الوصف كان كل منهم رقيباً على نفسه أولا ثم من حوله . فللفرد أن يعترض غيره إذا رأى خروجه عن حدود الأدب والقانون ولا يعد أنه معترض أو متعد على حرية ذلك الانسان ، فالذى يتصور أن الناصح له متعد على حريته ، متهوس في حكمه لا يعرف ما يجب

عليه وله ، وكم أتمني ذلك اليوم الذي أري فيه بني قومي خاصة وجميع الناس عامة يمتنون الى بعضهم بعضا بشعور أخوي متبادل . يحرص كل منهم على مصالح غيره كما يحرص على مصالح نفسه ويراعي حقوق الناس كما يجب ان تراعي حقوقه . وتصبح حدود النظم والقوانين مقدسة لها منزلتها العالية السامية في نفسه وتأثيرها الطاهر الحق بفؤاده ومشاعره ذلك مادعي اليه الاسلام وحضت دليه جميع الاديان السماوية وهو خلاصة ما اهتدى اليه عقل الانسان الخالص . في ذلك راحة الانسان وسعادته اذ مادام يجد الانسان زاجرا من نفسه يحفظه عن التمدى على حقوق الانسان كان الناس منه في امن ودعة وهو كذلك منهم في دعة وسلام

أما العامل والمرؤوس أو الخادم فقد يظهر لهم في بعض الاحوال انهم منقوصى الحرية مهضومي الحقوق لتخليهم تلاشى حريتهم امام امرة رؤسائهم وهذا خطأ مبين لأن الخادم لا يخضع لسيدته أو رئيسه ولا يتنازل عن حريته له الا في دائرة عمله التي لا تنقص من حريته الا بقدر ما يستفيدة من خضوعه لذلك السيد ، فان خضوع الفرد لرئيسه تنازلا من الاول للثاني عن قدر معلوم ومحدود من الحرية فيكلف الرئيس بما يعوض عليه ما نقص له ذلك اذا كان الرئيس أو السيد ممن يحرصون على الواجبات والحقوق ويقدر مالمغير (عادل) . أما الخضوع للحكومة فهو

خضوع للقانون التي سنته الجماعة لنفسها ونصبت تلك الهيئة المسماة بالحكومة لمراقبة تنفيذها وحمايتها وتنفيذ بعضها . ثم نصبت بعد ذلك الهيئات النيابية لمراقبة الحكومة ودرس تلك النظم والقوانين وجعلها دائما موافقة للجماعة في تطورها الدائم الاطراد وفوق الهيئات النيابية قد وقف الرأى العام ذا الصوت الأعلى والقوة العليا والذي لو نظرنا وجدناه هو رأي الافراد والجماعة مجتمع فنعلم من ذلك أن الفرد وإن انقص حريته راضيا فقد وقف يرقب التصرف بحقه هذا لمصلحته ومنفعته وجماعته

متاعب الحياة

لا تكاد تظفر في هذه الحياة وذلك العالم بمن رضي بحاله وقنع بماله
فالإنسان دائم الشكوي والتذمر دائب على التأفف والتحسر سواء في
ذلك الغني والمعدم والقوى والضعيف حتي كأن هذا العالم الرائع والسر
الغامض الجامع لا يروق في عيني إنسان ؛ نشكوا من زمن نحن فيه ،
ونألم من دهر نحن مصوره ، ونعيب عصرنا نحن ممثلوه ، ونحقر من عالم
نحن ساكنوه فحققنا قول من قال

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

فمعجب لك أيها الإنسان . تري النار المحرقة يتوهج جمرها ويتلظى
لهيبها فتدس فيها يدك مغترا بلونها الأرجواني ووجهها الذهبي عما في
أحشائها من أوار وسعير ثم تأتينا صاخبا صارخا مرغيا مزيدا تصب جام
لعناتك وسوط شتائمك على النار !!! وما جنت عليك بل جنايتك علي
نفسك . فما أغرب هذا التصرف الضال أيها الإنسان وما أسوأه . به
تحصل لك المتاعب والآلام . فاذا رأيت شقيا مسكينا أو مجرما سجيننا
أو تعسا مهينا أو حائرا ظمينا واذا رأيت ثم رأيت بؤسا مقبلا وبلاء حميا
وعذابا أليما وخطبا جسيا واستقصيت بروية وتؤدة عن علته الأولى

وبذرة وجوده رأيت أنها لا تكاد ترجع إلا إلى ارتباك فكري واضطراب عقلي كان منه ما يسمى (سوء تصرف) أو (اختلال الإدارة) أو (تدبير فاسد) أمور اختلفت في اللفظ واتحدت في المعنى والمرمى، وهذه هي أصل كل شقاء وبلاء في هذا العالم. فالسارق الذي زج في أعماق السجون يقاسى آلام الحبس لم يحسن التصرف بمواهبه وأخطأ استعمالها فخاب لنفسه الضيق والعذاب. والقاتل الذي يصلي سعيير العذاب جزاء فعلته المنكرة التي أوقعه فيها عقل مضطرب وتفكير سيء. بالمثل تري كل من به هم أو كمد انما جر عليه ما فيه أو أوقعه الى ما هو فيه سوء تصرف وتنقص من التفكير سبب له غلطة واحدة كانت بذرة الشقاء المقيم - فمثل الانسان في هذه الحياة كمثل لاعب الشطرنج قد تكون غلطة واحدة سببا في ضياع الدور - فالفقير المعدم الذي يتجرع مرارة الاملاق والعوز انما سعى الى فقره أو طول امدته بسوء تصرفه وخلل نظامه قديماً وأخيراً فما خلق الفقير فقيراً ولا الغني غنياً انما الناس سواسية فرقتهم الجهود والاعمال والتدابير والافعال فاغتني هذا فبحسن تدبيره واصاب هذا العوز لفساد تفكيره. وكم معدم فقير لا يملك شرو فقير قد غدا بحسن تصرفه ودقة نظامه من اصحاب الاموال والقناطير. وكم من غني عظيم تعداً مواله بالآلاف والآلاف تدهور بسوء تصرفه وبات لا يملك النقيز ولا القمطير وفي ذلك ما لا يدع عند المفكر من شك في ان رفاهية المرء وسعادته

ترجع دائماً الى حسن تصرفه ودقة تفكيره وبعد نظره ورويته
أن لكل انسان ثروة خاصة به من المواهب التي وزعتها العناية
والحقوق والواجبات التي ترعاها سنن الجماعات إلا أن الكثيرين منا
يفوتهم استغلال هذه الثروة العظيمة الريع وما الذين أرواوارتقوا إلا من
الذين كانوا بمواهبهم يعملون ولحقوقهم راعون ولو اجبتهم حافظون أولئك
الذين حصروا ثروتهم الشخصية (الغير مادية) وصمموا على استغلالها
صغيرها قبل كبيرها فالوقت الذي هو أكبر رأس مال للانسان ، نظامه
وقسموه وحاسبوا أنفسهم عليه حساباً عسيراً ، فقسموه بكل دقة بين
العقل والروح والعواطف والنفس وكان لهم من أنفسهم على أنفسهم رقيباً
عتيباً يطالبهم بما جنوه وحصلوه في يومهم من الثمار والجدوي ومنهم الذين
علموا أن المرء في حياته كالسباح على الماء إما أن يكدف يسبح أو يسكت
فيهوي ويكون من المغرقين وما كل من خاض الماء سباح فهل يستوي الذين
يعملون والذين لا يعملون ،

واليك صورتين لرجلين علي قيد الحياة تراهما صديقين حميمين أبتلي أحدهما
بسوء التصرف وفساد التدبير فتراد دائماً في الشقاء النكير وأنعم على الثاني بحسن
التصرف وقد كان دون صاحبه فساواه وسبقه وعلاهما أما الأول فموظف لتسم
سنين تراده دائماً الشكوى والأنين . ثقل بالهم والديون لم ، لأنه لم يحسن التصرف
ما كاد أن يصبح موظفاً حتي خال أن الموظفين وخدمهم الهيئة الاجتماعية أي

أن الهيئة الاجتماعية هم الموظفون فقط فلا يصح أن يكون العامل أو الفلاح أو الطالب من الهيئة الاجتماعية اثم تصور لسوء تصرفه طبعاً أموراً عدها من لوازم أعضاء الهيئة الاجتماعية كشرب التبغ والكحوليات ثم الجلوس بالحال العامة وعمل كل ما يعمله الناس. استمر في ذلك وتقدم فأصبح يدخن في الشهر بنصف مرتبه ويصرف النصف الثاني في باقى المظاهر (الاجتماعية) في رأيه ومن هنا ولج باب الدين ولسوء تصرفه ظن في نفسه التفوق فأراد أن يقامر ليستعويض بالربح ما يهلك في مصروفاته الباهظة فأصابته خسائر الميسر رغم ارتباك ماليته فزادت الطينة بلة تلك حاله التي كانت تحرمه النوم والراحة فكان يلجأ لسوء تصرفه الى المغيبات لعلها تذهب بحجاء فلا يتألم فتورط فيها بافراط حتي كادت تقضى عليه . ولما لم يكن له مورد غير وظيفته لجأ الى النصب يستعمل فيه مظهره الذي ألقه ولسوء تصرفه كان نصبه في أمور طفيفة إلا أنها تكشف عن نفسه ستارها وتجعله في خشية يترقب ومع كل تلك المتاعب والآلام تراه لسوء تصرفه يدعى أنه من أرقى البشر نفسية وأظهرهم طينة وأعلام عقلية

أما الثاني فما كاد يتوظف ويمر عليه عامان حتي وضع أول أساس في حياة الرجولة تتزوج وكان رب بيت ثم وضع لنفسه أملاً يرجو تحقيقه فرسم لذلك السبيل وشمر له عن ساعد الجد وسواء بلغ ما أراد أو لم يبلغه

تراه عاملا له مجدا في طلبه (حقق الله أمله) وهو أن كان في تعب لعمله الذي يعمله إلا أن هذا التعب لا يعد شيئا بجوار ليلة واحدة يقضيها الأول علي فراشه الشوكي يتقلب علي قتاد الهموم ،

وهكذا تاري دائما أن سوء التصرف هو أصلا علة كل تعب وشقاء في هذه الدنيا وينشأ عن جهل وقصر نظر وعدم رؤية الأشياء على حقيقتها الذي يرجع الي غرور وانخداع أصله عيوب نفسية في كنهه الشخص وذاته لم تزلها التربية أو ينفعها التعليم ، إلا أن المرء مهما بلغ من درجات الكمال في التربية والتعليم وسمو الاخلاق لا يسلم في هفوة ولو في بعض صفات الأمور قد تؤثر في حياته وتظل ردحا ما سببا لآلامه ومتاعبه إلا أنها لا بد أن تزول ، ثم أننا لو تصفحنا مجلدات الدهر وجدنا جميع كوارثه ترجع دائما الي سوء تصرف الانسان فالجرب ، التي هي أكبرويلات العالم دون شك لا يزكى أوارها إلا سوء تصرف الملوك أو رؤساء الحكومات غالبا وأما منا التاريخ الذي يحدثنا عن الحروب التي ابادت آلاف الآلاف من بني قومنا لاشارة ملك أو رغبة وزير

أما لو امن الانسان رويته ونظره في كل امر من الامور يستقرىء عواقبه قبل أن يقدم عليه دون تهاون في شيء من الامور التي قد تبدو صغيرة ولربما كانت جسيمة العاقبة توقع فاعله في ثلاثة

الاثافي (١) والعاقل من لازم التفكير قبل العمل وعمل بروية وتؤدة فان من تأني نال ماآمني . ولنا من الماضي ذكرة ومن الحاضر عبرة والتدبير هو صلاح المعيشة ومنار الحياة به يسعد المرء أو يشقى .

(١) تقول العرب : أوقعه في ثلاثة الأثافي أي في مصيبة لا قبل لها، والأثافي الثلاثة هي الأحجار الثلاثة المكونة لموقد العرب أما ثلاثة الأثافي المقصودة التي تكون في صدر الموقد وذلك لأنها تجمع نيران الموقد

أيام وليالي

(الحظ) (١)

أذكر انه في مدة تلميذتي كانت تقوم المدرسة برياضة عامة لمن يشترك فيها وكنا نسميها رحلات أو سياحات وكانت تعد بمعرفة المدرسين أو إدارة المدرسة في أيام العطلة العامة التي تتخلل المدة الدراسية من أعياد وذكريات وغيرها، فمنها ما يكون الى الاهرام أو صقارة أو القناطر الخيرية أو جبل المقطم أو غيرها، والحقيقة ان هذه الرحلات كانت تترك في نفس التلميذ أثرا شجيا حتي أنني أشعر بغبطة وسرور لمجرد ذكرى هذه الرحلات وما حظيت به أثناءها من فرح ومرح وسرور وهناء

وكنت ألاحظ أثناء هذه الرحلات نزول المعلمين والنظار عن جميع حقوقهم حتي يندسوا أشخاصهم ويساووا أنفسهم بتلاميذهم مساواة الزمالة والاخوة وترفع كل الاعتبارات وتترك كل التقاليد ظهريا فيمزحون ويلعبون ويمجرون ويتسابقون مع أولادهم وأبنائهم جنباً لجنب، وم

(١) نستعمل لفظة الحظ هنا كما تستعملها العامة بمعنى الطرب وذلك استعمال لا يمكنني اليوم التكهّن بنشأته أما الحظ في اللغة فعنائه هو الطالع أو الجد أو (القدر والنصيب)

رأيت معلما يتصاغر لآبائيه وتلاميذه فيكون هو مضحكهم وسيرهم ولربما كان بالمدرسة من أشد المعلمين هيبة وسرعان ما يبدل شدته اذذاك لينا ويديح لآولاده كل حرية ولو أدي تمتعهم بهالي اهاتيه أو دوس كرامته (مثل أن يحمليه فيضموه في صندوق أو تابوت وهم يتضحكون عليه أو يتخاطفون طعامه وبطعامهم عليه يظنون ، أو يعفرون طعامه بالرمل والتراب) وغير ذلك) أمور كانت تقطع على سروري ومرحى إذ كان يعز على التفريط في واجبات معلمى وكم حاوات لذلك ردإخوانى عن مسارت أهوائهم إلا أن عملى هذا كان لا يروق في عين أساتذتي ولا يرضيهم فيفسدون على جهادى بما كسبتهم للطلبة وتحريضهم على التمتع بجميع صنوف الهزل والمزاح وهنا كنت أقف حائرا لا أدري أنمخلى أنا أم أساتذتي أم لهم من وراء عملهم هذا غرضاً يرمون اليه لم أدركه بعد ، لأنى كطالب أحترم معلمى ومنزلته عندي فوق كل اعتبار لا يمكن أن تستباح فكيف أرضى لاخوانى ذلك ، حار فكري وتبلبل خاطرى من هذه الجهة كثيرا ثم لجأت أخيرا إلى معلم كنت أجهله ويحبني ، عقب احدي هذه الرحلات وشكوت له ما أجد من فساد الألعاب واختلال الآداب التي تهون على الطالب أن يدوس مقام معلمه وواجبات أساتذته ثم استتبعحت ذلك المزاح واللعب الذي يبيح للصغير التهاون فى منزلة معلمه الكبير وكنت أحدثه بصوت قد خالجه شيء من التأثر والافتعال وهو مصغى لي بكل انتباه وعل وجهه بسمة لم أفقه لها حينها معني وما هى إلا بسمة معلم لتلميذه. ثم

قال بعد أن وضع يده على كتفي : أنك تشكر يا يوسف (١) لغيرتك على منزلة معلميك إلا أن هناك سرّاً لا تعرفه هو الذي حمل الاساتذة على التهاون الذي تقول عنه . لانا معشر المعلمين نتوصل بهذا المزاح الى معرفة أمور قد خفت علينا في نفوس أبنائنا وسسترتها عنا نظم المدرسة وتقاليدها الادارية . فالطالب داخل المدرسة كالصندوق المغلق لا يمكن لمعلمه أن يري ما فيه خصوصاً وليس له من الوقت الكافي لشرح الدرس ودرس نفوس تلاميذه مع أن هذا كبر واجبات المعلم . ومادام المعلم بعيداً عن معرفة نفوس تلاميذه كان بعيداً أيضاً عن افهامهم وعقولهم . أما ما يحصل عليه المعلم من المعلومات عن نفسية تلاميذه وأخلاقهم بين جدران الفصل فتافهة قد لا تعدى غالباً مقدار ذكائهم وبلاذتهم ودقتهم أو اهماهم وغير ذلك من الامور العملية التي قد تصدر عن خوف أو رهبة مع أن المعلم أحوج الى معرفة خالق تلاميذه ودرس مشاعره النفسية ولا يتوصل الى ذلك إلا باللعب والمزاح معاً جنباً الى جنب فالمزاح يهتك ستر كل رياء ويظهر النفس في ثوبها الحقيقي . أما المعلم . الذي ما نزل حلبة اللعب إلا طلباً لهذه الحقيقة وإن أوهمه أن غايته الطرب والمزاح

فيسرع بتصويرها عن قرب . ويقف بذلك على حقيقة نفوس أبنائه وأخلاقهم تماماً بعد أن تلاشت التمويهات الظاهرية بسكرة المزاح والمزاح

(١) يوسف هو الاسم الذي اشتهرت به في المدرسة بين أخواني ومعلمي وأن كان لقي فقط أما اسمي فهو في مدة المدرسة محمد يوسف وأضيف أخيراً (المدرّك)

فتلك هي غايه المعلم يايوسف ولا خشية على مقامه في نفوس أبنائه من مزاحه اذ لو كان الواحد منهم كريم النفس زاده مزاح معلمه اجلاله وان كان سافلا عرفه استاذه وسلك معه السبيل القويم . آه

تلك هي خلاصة ما ذكر من كلام استاذي الجليل وقد اثبتت لي المشاهدات والحوادث صحة رأيه وحقيقة ماذهب اليه فاني لم أر حالة تبدو النفس فيها كما فطرت إلا حالة الهزال والمزاح فينزل الانسان طوعا عن ثباته ورزاقته ويؤثر عليهما الرعونة والخفة ويسوق الاقوال بدون تدقيق حتى تري أن الانسان في مزاحه وهزله قد يردد الفاظا كان يستنكرها في جده . فالانسان في مزاحه لوح مسطور بما فيه . من هذا نعلم أن مزاح المرء أصدق محدث عنه لهذا سأسوق لقراء كتابي في هذا البحث وصفا اجمالي لبعض أيام وليالي طرب اخواننا الشبان واخواتنا الفتيات كذا الرجال والنساء لتتجلى لنا الآداب العامة بأوضح مظاهرها واني اشهد الله اني لن اذكر الا حقا

الصبية والاولاد — ان أكبر (حظ) أو طرب الصبي ينحصر في الالعب ومنها كرة القدم ثم التفرج على الخيالة (السما) وقراءة الروايات ويتولد له من كثرة ما يقرأ ويشاهد من الروايات الغرامية ميلا وتتما لا يكاد يبلغ فتوته حتي ينقلب الى شعور شهواني شرير وينقسم هذا الشعور الفاسد الى نوعين فمنهم من يطربه معا كسة الفتيات وتأثرهن

ومخالطتهم وصحبتهن ارضاء لشهوته ومنهم من احرف الى الرد وصحبتهم
مادام له من وسطه خير مرعى

وقد انتشر الأمر الثاني بشكل مريع في جميع المدارس تقريبا ولم
يخفف وطأته هذه الايام في المدارس الابتدائية فقط الا قانون تحديد
السن . الا انني أرى ان ادارة المدرسة هي دون ريب المقصرة كل التقصير
في درء هذا البلاء المغيب الذي تنشأ بذرتة دائما بين جدرانها

اما الذين انكفئوا في الامر الاول وانغمسوا فيه اتباعا لشهواتهم
كالبهائم لا يرقبون حقاً ويعرفون واجبا ، وقد تفننوا في المنكر وابتدوا
في الموبقات الا انهم اسموه (حظا) أي طربا ؟ واليك شيئا مما يعملون
١ - ماكدت الج باب المدرسة صباح يوم من أيام الربيع ويدي
وردة حمراء حتي تلقاني زميل من زملائي بهذه العبارة وهو يصفق يديه
(أيوه ياسي يوسف : ما انت هايص ولا حدش داري) فاجبت مندهشا
(ليه . على آيه) . وعلى ذلك اشتبكنا في جدل محوره انه يتهمني بانني آخذ
كل صباح وردة من عشيقه لى ومع ذلك اكتم عنه هذا السر وهو لا يكاد
يخفي عني امرا وقد خرجنا من الجدل وانا ولا ادري ان كان قد اقتنع بقولى او
لم يقتنع اذ ربما اثر أن يحدثني بما عنده فقد القى الى انه سيقابل الليلة صاحبة له عتب
الخروج من المدرسة ليترضا معا وهو يطلب الى أن اصحبه ويتعهد لى ويقسم

بأنهم استكون ليلًا (حظ) طرب عديدة المثال وخصوصا وقد وصله امس فقط من البلد زوجين من الحمام المحمر ستكون عشاءنا بعد العودته (الفرحة). حاولت التخلص فآثر من الالحاح والرجاء حتي ادعي أن صاحبه (متأسفة جدا) لذلك هو يتمسك بضرورة وجودي معه وأخيرا وافقت وخرجنا سويا فقادني حتي كنا نلي مقربة من مدرسة بنات وبعد قليل خرج زمرة من الفتيات المتحجبات السافرات هن دوزيب الملمات فأشار لي نلي واحدة بينهن هي صاحبه ورأيت أن لا بأس بجمالها إلا أن هناك بين زميلاتنا من تفوقها جمالا. سرنا في أثرهن حتي اذا وقفن علي مفترق العارق. ليتفرقن مررنا بقربهن فرأيت أن أميرة (١) صاحبي تنفر سني بتمعن زائ. كأنها ودت أن تعرف أي سمج هذا الذي جاء يعكر عليها صفوها مع حبيبها (والله يعلم أني مظلوم) وبعد قليل من السير قلت لصاحبي ألا تنتظر حتي لا تضلنا! قال بل هي - تلحق بنا بعد قليل لأنها عارفة وجهتنا وحقا أنها مدبرة كانت علي أعقابنا! ولكن ... لم تكن هي وحدها بل معها رفيقة لها. فقلت لصاحبي باسمي لقد فسد موعدكما اليوم لوجودي فانها لما رأتني معك لم تتخلص من أخواتها للقاءك، وقال وقد داخله الشك علي ما أظن، ما أظن ذلك. إلا أنها ما كادت تحاذينا حتي التفتت إلي صاحبي وقالت

(١) أميرة صاحبي بمعنى آسرة صاحبي مائة قلبه وهواه ولا أدري أن كان هذا قد استعمل من قبل أم لا

(سميده يا على بك) ثم مدت يدها فصاغتته ثم ثذت بي وحيثني وصاغتني وكذا فعلت زميلتها ١١١.

وهنا هيا بنا أيها القاريء الكريم نستمطر العبرات على ما وصلت اليه أخلاقنا من الانحطاط ، إذ لم يكف تلك التعمسة الساقطة أن تهاونت في نفسها وتنازلات عن شرفها وصاحبت شابا صحبة فساد لارفقة وغاء وأبت عليها سفة اهتها إلا أن تجر معها أختا لها وزميلة معها الى ذلك الحضيض الذي هويت فيه!

دارت الاعمالات بنفسي الشائرة ولم أشعر إلا وصاحبني يدفعني الي عربة ركوب ، وهنا رأيت القتاتين وقد استوتا علي مقعد العربة شاخصتين في فأسرعت بالصعود حيث قعدت جوارهما وجلس (على) امامنا . درجت بنا العربة وأنا تائه في آلامى النفسية لم أع مما تبادلوه من القول شيئا حتي شعرت أن طربوشي قد رفيع عن رأسي ووجدته بين يدي (زكية) أميرة صاحبني ، فابتسمت لها ومددت يدي لأخذه منها فسألتني عما يشغل فكرى عن حديثهم ، فاعتذرت عما فرط مني ، وعدت الي حاتي الهادئة ففهمت أن (زكية) أصبحت (عطية) الا ليتم التعارف بيني وبين الاخيرة ويظاير أذ (عطية) لم تر بأسا من أن تتخذني صاحببا ولوفي هذا اليوم فالحمد لله . ما كاد الليل يرخي ستائره حتي عدنا تدرج بنا العربة الي منزل (على) الذي هو مسكن خاص به يعيش فيه ضمن عمارة كبيرة وفي الطريق استوقف (علي) العربة واشترى زجاجة من الخمر ولوازمه

واستأنفنا السير فبلغنا المنزل حوالى الثامنة مساء ودخناه خلصة كاللصوص نحذر عين الرقيب . وكان (علي) يعيش بدون مساعدة خادم أو تابع فباشر اعداد الطعام بنفسه وقامت (زكية) لتعاونه وانفردت بصاحبتى الجديدة ... وهنا هاجت بنفسى العوامل المختلفة : هل أحدثها وأسأمرها لتحلو لها الجلسة أم أنبوعها بجاني فترمينى بالجمود والجفوة فلا تطمع فى انائى بعدها ونخشي أن يكون غيرى مثلى . وقد قطعت على تفكيرى ببض أسئلة عني وعن صاحبي أعقبها أسئلة منى عن صاحبتي خاصة فاعتنتى بمعلومات قيمة عنها وعن نفسها . وقد شعرت أن هناك من يتجسس علينا وعلمت لبعض القرائن أنها (زكية) .

وبعد قليل كنا جميعا حول المائدة نأكل بشية لما كان بي بل بنا جميعا من الجوع . وقد حاول صاحبي أن يقدم لى شيئا من الخمر مستعملا فى ذلك كل ما استطاع من قوة حتى وصفني بالتأخر لعدم شرب الراح إلا أننى آثرت التأخر عن السكر ولذا امتنعت (عليه) أيضا عن تناول شيئا منه رغم الملاحظة من ميلها لذلك أولا ولم أرض أن أقدم لها شيئا من الطعام بيدي سوى اللحم وغيره من المأكولات أما (على وزكية) فقد شربا الزجاجة حتى الخثالة وحدهما فشملا وكاد أن يصدر منهما فعال ثم عنا فينفضح أمرنا للناس أجمعين . اذ كنا ولا شك نسترق الحركات ونهمس الكلمات خشية راصد غير أمين .

بلغت الساعة العاشرة وكأُتْنَا في بيوتنا آمنين فأُحييت أن أحرك
فيهم مراعاة الوقت لعل هناك فيهم. أخوذ في ذنبه، فأخرجت ساعتي ونظرت
فيها باستغراب فسألتني (عائيه) عن الوقت قلت لها ما كنت أظن أن الوقت
يجري هكذا سريعاً فانا الآن في ساعة متأخرة من الليل جداً هي
العاشرة ودقائق فوتمت تهم بالخروج فسألتها (زكية) إلى أين يا عطية ،
أجابت إلى البيت إن شاء الله ، وهنا وقفت أنا أيضاً نائلاً تخرجها بي ،
فالتفتت إلي وقالت أراك وقفت هل تنوي الخروج ؟ قلت ذلك ما أبغى
فقد أزف الوقت والساعة فوق العاشرة . فقال (على) محترداً (يا سلام يا
يوسف احنا كل يوم في حظا زي ده يا أخى دي ساعة الحظ ما تتعوضش
أيه لما تقعد لا تناشر . ولا أياه ياست زكية . حتي لما نبات هنا .

عطية : ياد هوتي ما بأش اللانبات ، كده كده ياست زكية . لكن
الحق على اللي طاوعتك — ثم التفتت إلى — أنا ما أقدرش أبات بره
أبدأ ياسي يوسف ، يا سلام)

فقلت لها أنا مثلك لا أستطيع أن أبيت إلا في منزل والدي وسأخرج
حالا ، بل سنخرج جميعاً فيها إلي البسي ، فقالت زكية لعطية بلين (هو أحنا
كل يوم بنذاخر بره ، يعني إيه يوم ونقول كنا في فرح وخلينا بس للساعة
أتناشر ، والا اكنك قاعده سا كته ما تضحكى حد حاشك) وكلمتين
تقريظ وتخليج في بصفة إغراء لعطية وإخراج لها طبعاً ، فقلت : إسمحي

لى يازكية هانم أن أنتذر لك فأنا لا أستطيع البقاء فوق ذلك لأن لى
أب يحاسبني على وقتي ... وقد طال بيذا الجدل عشرين دقيقة تماماً انتهى
بأن قطعت عليهما (الحظ) فتألم علي (وزكية)، وقد خرجنا من المصصين كما دخلنا أهـ.
وهذه الليلة تكاد تكون أقرب مثل يصور لنا (حظ) الطالب وطربه
مع ملاحظة أنني لم أتوسع أو أصرح بشيء خشية أن يستفيد الفاسقون
أكثر مما نريد للمتغربين والراشدين وإلا لذكرنا من الحوادث ما يذوب
لها قلب الغيور ويفتت من هولها النؤاد حسرة وأسفاً ، إنما نذكر
ما نذكر لينتبه أو ليأبى الامور والآباء والأمهات إلى حركات أولادهم
والبنات

٢ — شم النسيم ، غداً عطلة شم النسيم وستعطل المدرسة فأجتمع:
على ، وفهمى ، وشكرى وحمدى يتشاورون في الاتفاق على رياضة معاً
باكر وقد رأوا قبل كل شيء دعوتى للاشتراك معهم جلوسنا بعد الغذاء
تدبر الأمر فعرض (على) أن نذهب إلى عزبة أبيه فنركب خيلاً ونصيد
حماماً وغير ذلك فلم يوافق أحد ، ثم عرض شكرى أن نقضي يومنا ذاك
في (ذهبيتهم) فقالوا جميعاً لا بأس من ذلك وحبذا لو أسعدتنا الصدق
بعض (الغزالات) ليكون يوم (حظ) وطرب لا مثيل له ، وبعد أن فكروا
قليلاً رأوا أن نبدأ يومنا من الليلة أي أننا نخرج اليوم فنتقابل (بالبس
السهرة) ونذهب إلى ملاهى من الملاهى حيث نصيب صيد من أردنا

من الغزلات ولما تمت الخطة ، كان علي صاحب (الذهبية) أن يمدّها
والكى يكون له . متسعاً من الوقت ذهب إلى الناظر يشكو له . نصّاً
أصابه فأذن له بالانصراف فذهب لاعداد الذهبية ولوازم (الحظ)
والطرب المقصود

ونقتصر من هذه الحكاية على الخطة والبرنامج الذي قد أعد (لحظهم)
وطربهم لنعرف روح الحظ وما يقصدونه منه ، وقد تمت غالباً كما أرادوا .

الشبان ورجال الأعمال والمراکز : عدت إلى القاهرة مدة قليلة

فأحببت لقاء اخوان كان يبنى وبينهم مراسلة وكتابات وقد أخبرني
أحدهم أنهم يجتمعون كل ليلة بناد كبير في شارع عظيم لا أحب أن
أذكره بالاسم ، أتيت المحل فاذا هو محل واسع الارضاء مزدحم بالوجهاء
وعلية القوم ، درت أفقش على اخواني طويلاً وكثيراً ما لقيني النذل (١)
فلم أسأله ، وهناك أيضاً جميلات يقمن بهذه العملية وقد رأيتني إحداهن
أفقش باهتمام فجاءتني بأدبهن الممهود ورقتهن المعروفة وعلى وجهها
يسمة رقيقة أظنها كانت السبب في إزدحام المحل وسألتني بلسانها
الاعجبي عن أبحث ؟ قلت وهل تعرفي كل زوار المحل ؟ قالت أغلبهم
خصوصاً اذا كان من الزوار دائماً ، قلت لهم من هؤلاء أني

(١) النذل (الجرسون) أو خادم القهوة

أبحث عن فلان وفلان وفلان فجعلت تصفهم لي واحدا فواحدا وأنا
أؤمن على ما تقول فابتسمت وقالت هم من أكرم عملائي ثم سارت وقد
أرمأت الى أن أتبعها حتي فتحت لي باباً جديلاً وأشارت الى الداخل ولما
رأت تباطيء نادى : محمود بك هنا سيد يسأل عنكم وحينئذ وقفت بالباب
وأبصرتهم وما كادوا يروني حتي صاحوا جميعاً . ألو يا يوسف بك وبعد
أر تصالحنا وهزنا الأيدي جيداً واتخذت مقعداً بينهم وقد توقفوا
عن اللعب قليلاً ، إلا أنني لم أوافقهم أن يكون حضوري منغصاً عليهم
فيجب أن يواصلوا لهم وعلى كل حال عادوا جميعاً إلا واحداً أثر أن
راجيني بالنيابة عن اخوانه فجعل يسألني عن حالي وحال البلاد التي أعيش
فيها ومقدار المدة التي سأقضيها بينهم . . . وهنا حضرت أمامي هذه
الحسناء تردد لي أسماء المشروبات الروحية واحداً واحداً ثم اثنين اثنين
وسكنت فالتفت الى صاحبي مازحاً : ألا يوجد هنا ما يؤكل ؟ فأجاب :
أزفة هنا من أرقى ما يكون فابتسمت وقلت له بصوت منخفض :
اسمع لي أن أعتذر فاني لا أشرب خمرأ قط ، فأجاب ضاحكاً مقهقها
يا سلام يا يوسف أنت لسه فتى وأخيراً طلبت (شاي) وبعد ساعة انقضت
على تلك الغرفة جيش من الجميلات الاجنبيات وبدأت يبتناوينهن
المناورات حتي كان بين بعضهن وبين زملائي بعض مسارة ، وهنا قال لي
محمود بك (أظنك تزوجت يا محمد بك زي احمد) فأجبتته بالسلب فقال :

(عمات طيب) قلت له ولست أتي أن أتمكن من الزواج اليوم قيل
الغد وإني ساع لذلك . فقال : (لأوع) وعلى ذلك دخلنا في جدل شعرت
أثناءه أنني أجادل من لا يعقل فترجعت في نفسي على أشخاصهم الميتة
وهم أحياء الأبدان ، وأخيراً جعلوا يتهامون قليلاً ثم قال لي أحدهم :
أظن لا مانع يمنع محمد بك أن يكون معنا الليلة لئتم لنا وله الحظ والسرور
أجبت وغاية ما أرجو الوقوف على ما يفعلون . بل في ذلك منتهى سروري
وعلى ذلك خرجنا من النادي الى سيارة أقلتنا الى منزل نغم ظننت أولاً
أنه منزل أحدهم ، إلا أنني كنت مخطئاً لأنه أحدي مقابر العفة ، وبينما نحن
نقصد إحدى الغرف كنت أخفص بنظري المكان فلمحت (نقرا) (١) من
حملة (الشريط الأحمر) على سوقهم وقد تعمدت أن يترك باب غرفتنا
مفتوحاً لا أتمكن من رؤيته جيداً ، وإذا به بعد قليل منصرف وقد عرفت
أنه . أمور القسم ، وعلى كل حال فقد قضينا ليلتنا غارقين فيما يسمونه
(حظاً) وأسميه فسقاً وكلما طال بي الوقت وأردت الانصراف قالوا
(ساعة الحظ ماتت عوضي)

٤ — حدثني أحد اخواني بمحادثة حدثت له وبعض اخوانه أسوفها
هنا عبرة وذكرة قال : خرجت مع ثلاثة من اخواني وما كدنا نصل

(١) نقر في الاصطلاح العسكري هو الفرد

ميدان ال... (ولا داعي لذكر الاسم) حتي وقت معافاة جميلة
وأخذناها معنا الى منزل أحدنا، ولا أدري ما الذي غر هذه التمسعة
فينا نحن الاربع مسكينة هذه الفتاة لا أكاد أذكرها إلا بدموع الرحمة
والرثاء، أنا لا أدري أيا طالع نحس ذلك الذي رمى بهذه البلهاء في حباله
أربع ذئاب ضواري وأى غمة تلك التي وضعت على بصيرتها حين تبعتنا
راضية بتضحية نفسها دون انتظار أي ربح من وراء ذلك، لعمرى أي
سأعيش ذاكرًا لتلك الضحية التي قضت على مائدة الشهوة البهيمية دون
رحيم أو شفيق بها، ان ذكراها المؤلمة تهيج بنفسى شجون الاسي وهموم
الآلام خصوصا كلما بحثت عن علة انسياقها أمام أغراض الدنيئة
وانصياعها لما ربنا الفاسدة الشريرة دون أن أعرف أنها حصلت أو كانت
تطمع في شيء اذ ما كدنا نصل البيت بل المذبح مذبح العفاف ومجزرة
الاعراض لأن صاحبنا انما اعتده ليكون بؤرة خاصة بنا. دخلنا نحن الخمسة
نحن وهى . والحق انها ما كادت تفتح الباب حتي بانث عليها امارات
الخوف والرعب وأصدقك الحديث ان قد اثلجت يدها، ولكن لم تطلب
الخروج وأظن حتي لو طلبته ما كانت لتحصل عليه ونحن أربعة شباب
وهي واحدة ضعيفة وبعد قليل من المزاح السافل خرج صاحب البيت
وتبعه ناني فقال لى الثالث هيا نرى ما يفعلان خرجنا نحن الاربع مخلفيها
وحدها، وانا لا أشك أنها فكرت وفكرت طويلا في برهة انفرادها

أما نحن الأربع فكنا نتفق بل نتآمر على من يكون أول فاسق
بها ثم من الثاني والثالث والرابع فكان الأول صاحب البيت والآخر أنا
وعلى ذلك عاد إليها صاحب البيت ودخلنا نحن الثلاثة في غرفة ثانية ولبثنا
نتذاكر وما نتذاكر اذذاك إلا الفسوق حتي عاد الينا وراح الثاني والثالث
وجاء دوري وقد كانت الفتاة الجميلة والشيطان لم يردح أطويلا فكنت
لا شك فاعل ما فعلوا إلا ان... ز... ي... ما... كد... ت... أ... و...
صد... علينا... با... ب... و... اق... تر... ب... من... ت... ك...
ال... فر... يسة... حتي... رأيت... ت... ويا... لهول... ما... رأيت
نعم... قد رأيت... قد رأيت... وبعميني رأسي... بقعا... حمراء...
حمراء أي نعم... هي... هي... بقع... الدم... الدم... نعم... الدم...
دم العفاف أيها الشبان نعم... هو دم ذلك العرض المنتهك أيها الرجال...
مسكينه تلك التهمة ! نظرت لها واجما فقالت لي : مالك ماذا جري ؟
قلت وقد غصصت بريقى . لاشيء فأني اشعر كأن حربة قد مرقت بفؤادي
وضعت يد على قلبي فهمت أن تعاقني فلما قامت عن الفراش بدا الدم
أكثر مما كان فلما رأني أحملق باهتا نظرت مكان ما أنظر فما كادت تري
الدم... حتي صرخت وكادت تهوي وتفضحنا بصرختها . أسرع الى
اخواني الثلاث وفتحت لهم الباب فوجدوني بثيابي وهي بين يدي مغنى
عليها أرادوا مني بيانا وكان بأعينهم عمى فهم لا يبصرون . فأشرت بيدي

الى الدم وقلت بغضب أخرجني عن صوابي أنظروا ما اقترعتم أيها الكلاب
فوجعوا المنظر الدم قليلا.. ثم وسوس لهم الشيطان فردهم الى حجاجهم الخبيث
ومكرهم السيء فعاالجوها حتى أفاقتم ثم عالجوها بيهرج القول وفاسد الاماني
وأوصوها بالوصايا التي قضت على شرفها نهائيا وكانت من الساقطات.

٥ - في الصعيد : كان يوم عطلة وكان يوم رياضة عندما جاء
أحمد افندي يطلب الى الاشتراك معهم في اقامة حفلة سمر بأن أدفع مبلغا
صغيرا لم أر بأسا من دفعه وبعد قليل أطلعت على عدد المشتركين فاذا هم
حوالى العشرين فيهم الضابط الكبير والمعلم والمهندس والعين والموظف
طبعا أما البرنامج فهو أعداد مركب شراعية كبيرة تنزل بها ومنا (قدرا
من الحشيش وشيشا من الخمر وآلات الطرب وراقصة) قد تم الاتفاق
على اختيارها من العارفين ثم اذا جن الليل ووجدنا أن الجو قد تغير
ولا يحسن بنا المكث فوق سطح الماء قصدنا منزل (فلانة) كبيرة
موسسات البلدة للعشاء وقد أعدت لنا مائدة عليها من أصناف الطعام
والذو طاب خصوصا (الديك الرومي) الذي أهدها لنا حضرة العين
الوجيه فلان بك (وأعجبوا معي أضائق بنا بيوت البلد بما فيها من
فنادق نفخة لا بأس باتساعها! إنما غرض الفسوق حبيب الينا ذلك) وقد
أعدت لنا حضرتها من بناتها ما تستهوى بهن الطائش

٦ - لي قريب عامل يحترمني جداً ويحبني لأنه يعتقد أنني متعلم ولهذا الاعتقاد الذي ملأ مخه عني كان يميل إلى استشارتي في جميع أحواله الخاصة حتي أخبرني مرة أنه عشق مومسا فنهيته عن ذلك قدر ما وسعه جهدي إلا أنه طلب إلى أن لا أحكم عليها بدون أن أرى وعلى ذلك اتفقت معه على رؤيتها على شرط أن لا يشعرها بالعرض وعلى ذلك قابلته في إحدى القهوات ومعه بعض من إخوانه وقدمني لهم باسم الاسطى محمد وبعد أن برحنا القهوة شعرت حقاً أن هناك فرقاً كبيراً في العقول بين الطبقات المختلفة ولقد ساءرتهم على قدر أميالهم ولو نافي ذلك أميالي أو آمني فدخلوا حان مزدحمة رخيصة لا يأوي إليه الا فقراء العمال والحوذية وغيرهم ممن شابههم وقد رأيت من التقاليد والآداب ما أشعرتني أنني غريب بينهم ، إلا أنني ساءرتهم ثم برحنا الحان الى (البوظة) وهناك ازدحام فوق العادة وهناك جلست قرب رجل قد أشعل ناراً يشوي عليها لحماً ويعطيه لآكليته نصف ناضج وقد سمعت أقوالاً كثيرة لم أفتحه لها مر مرة سوى أن القوم كانوا يضحكون وكنتم أساءيرهم بشدة. خرجنا بعد ذلك فسألني صاحبي عن مقدار سروري فبالغت له الوصف إلا أنه أوماً إلى أنه ينوي الفرار من إخوانه . فلما بلغنا محال الدعارة طلب من إخوانه انتظارنا نصف ساعة وبعد أخذ ورد قبلوا فذهبنا الى بيت في طريق وعرو طرق الباب فسئل عن اسمه فإ قال اسمه حتي فتح

له. دخلت فإذا بيت أعد لجميع المنكرات والموبقات وهناك لم تسلم
لأحدني المومسات بأني صانع كما ادعيت وادعى رفيقي وقد رأيت من
حركات البيت أنه بيت (حظ) كبير وطرب دائم وكان صاحبي قد طلب
مشروبات وطلب أن تسقينا واحدة لكي يتم بذلك (المظ) وكم كانت
دهشتها لما علمت أنني لم أشرب خمرًا حتي سألتني فوراً عن سبب زيارتي
لتلك النواحي ما دمت لا أشرب الخمر أو الخشيش. ثم خرجنا فقابلنا
الآخوان فجلسنا جميعاً في قهوة فيها طبل وبدأ الرقص. رقص آخواني جميعاً
فرداً فرداً وصاحوا وهللوا وتبادلوا مع المومسات المزاح المنحط بأسفل
منطق ولفظ ولما عدنا وكنا متأخرين جداً لم نفترق إلا وقد شجر عراك
عنيف بين الآخوان وراحوا وبعضهم يتوعد بعضاً وهكذا كان ختام
حظهم الذي يعالون . له

كنا نود أن نعد للقراء عدة حوادث من هذا القليل وهي طبعاً
لا تدخل تحت حصر وفي كل يوم آلاف الآلاف من هذه الحوادث
تصدر تحت ستار (المظ) فيقدم عليها المرء وقد اعماه (المظ) فيجني
على الإنسانية والآداب ويحرق كل حد أو قانون ابتغاء اللذة والمظ،
إلا أننا نرى أن تلك الحوادث التي ذكرنا منها ما تقدم ما هي إلا مثلاً
صادقاً عن كل ما يحصل وصورة مما يقع في كل مكان ومن كل شاب

تقريباً ومنها تتبين أنهم قد ساء فهمهم للطرب والسرور كما ضلوا فهم غيره من الأمور الحيوية الكثيرة التي أسلفنا عنها بياناً فهم يكادون لا يشعرون بالطرب إلا في أمرين منكرين السكر والفسوق أو الجنون والبهيمية وإن الرجل الذي يحاول الاعتذار عن الاقدام على هذه الموبقات لا أرضي منك الاصفاء اليه أو محاولة إقناعه فهو مقتنع من قبلك بفساد ما يعمل إنما وهن عزيمته وضعف إرادته يدفعه أمامه صاغراً فلا يستطيع أن يثبت على مقاومة نفسه وهواه ولا تجد أن هاتين النقيضين قد تسيطرتا إلا على من صغرت نفسه وفسدت تربيته وأعماه الجهل عن أن يدرك الأمور على حقائقها وعواقبها

مسكين ذلك الجاهل المنغمس في حمأة الزنا والفسوق ، تراه بعد ذلك يحاول أن يعيب المرأة وما جني عليها سواء ، فاته ذلك الأحمق أن الجنسيتين (١) دائماً يتبايران ليحصل كل جنس على منزلة اعجاب واستحسان الثاني ، فالمرأة فطرت على أن تجعل نفسها دائماً موضع اعجاب الرجل ومحل استحسانه وهي تواصل الجهاد لنوال مركز الاستحسان من نفسه ومشاعره ، فمن المؤكد اقلاعها عن كل مالا يصادف من الرجل استحساناً أو تشجيعاً بل . أكاد أجزم بأن كل ما تقوم المرأة به من الأعمال التي لا ترضي انماهن عليها دائبات لما وجدته من تشجيع

بعضنا أصحاب الالهواء والاعراض . أما لو أعرضنا بكامل هيئتنا عن نقائصهن ولم نحبذ لهن فعالهن لاثبت ان نحصل عليهن طاهرات من أدران تلك العيوب التي يح صوتنا في استنكارها عبثا اللهم ان المرأة عندما يطلب الرجل وكما يريد، فإن أراها كاملة بصدق وعزيمة وجهها كما أراد لأنها بحكم طبيعتها ميالة لارضائه ولو لتحضي بنفارة الرضا .

أما الرجل فميل بطبعه لأن يقع من المرأة موقعا حسنا فلا تفتح له أو تزدريه وما أصعب على نفسه من نقد امرأة له وسرعان ما ينفذ مشيئة المرأة ويتخلى عما لا ترضاه ولو كانت التقوى والصلاة بل ماسقط شبانا ذلك السقوط الأدنى إلا لأنهم تخيلوا رضاء الأوانس به واعجابهم بما يعملون ، ألا تراد وقد انغمس في أحط الموبقات دون مراعاة لفضيلة أو قانون مجرد ان بعض الساقطات قد أعجبين بذلك الفعل الدنيء وهامى الازياء (المودة) التي يتحمل الرجل منها مر الآلام البدنية في سبيل ان أعجبت به المرأة ولو هو في الطريق عابر .

أما وقد بات الرجل لا يسره أو يطربه أو (يحظه) سوا الفسق والخور وهو لا يطلب (الحظ) والطرب إلا في الفواحش من الاثم والكبائر من الذنوب الاجتماعية والنقائص الادبية فهل بعد ذلك يريد من المرأة أن تلبث بعيدة عن ميدان الفجور وقد أصبح قبلة وكعبة أنظاره

ولمن تبقى هي في خدر العفاف وقد طلبها الرجل في بؤر الفسوق، وهما أنك
أيها الرجل تقيم الدليل على أنك سبب كل ما أصاب المرأة ويصيبها في
في جميع حركاتك وسكناتك فانت في كل مجمع وطريق وشارع تطدب
بالفعل المرأة الساقطة (وان كنت في بعض الاحوال تتحدث عن العفة
باللفظ لا غير) ولعمرك هذا نتيجة طبيعية هي لاشك نزول المرأة على
مشيئتك والرضوخ لغايتك والانصاع لما تريد منها من فسق تستره دائماً
بكلمة (الحظ) (المدنية) أو (الحب) ، وستري المرأة دائماً عندما تريد منها
مملك فامرأة كما وصفتها السيدة نبويه موسي :

انما المرأة مرآة بها كل ما تنظره منك ولك

المبحث السادس

في

التربية

التربية الحيوانية ومنشأها وغايتها

التربية هي عبارة عن مجموع الوسائل المؤدية لحفظ الجنس ونموه وارتقائه سواء في ذلك حيوان أو نبات فالتربية الحيوانية ومنها الرعى هي عبارة عن أصالح الطرق التي اتبعت لصيانة الحيوانات من انقضاء معد ان هال الانسان انقراض كثير من أنواعها فعمل على حفظها ونموها كما تقوم بسد حاجته في صور كانت لحوم الحيوانات والذير والاسماك هي قوام حياته ، وكلما كانت الطرق والوسائل أقرب الى طبيعته الحيوان كانت دون ريب أكبر معوان على سرعة نموه وارتقائه ، ولو أننا راقبنا أنواع لحير ان المتغيرة التي تديش بأصفاغ شتي وأرجاء مختلفة كالتي تضرب في انفيافى والقفار والتي ترعى الاودية والسهول وتلك التي تأوي الى لجبال والمغاور أو تلك التي تنجوب الغابات والاحراش ، رأينا : أولا . أنها تختلف في عاداتها وطباعها وطرق حياتها وربما كانت نوعا واحدا .

من ذلك نعلم أن للصقع أو للبيئة تأثيرا كبيرا في تكوين وتكيف طبائع الحيوان حتى أن حيوانات جبال الألب لا تشابه حيوانات أصقاع القرغيز كما أن تلك لا تشابه حيوانات الأراضي القطبية أو التندورة ولا حيوانات الأرجاء الاستوائية في شيء . ثانيا . أن لحيوانات كل صقع طريقة خاصة يتبعها في حياته تلجئه إليها طبيعة أرضه وبلاده ومن هنا كان منذاً تفاوته في النمو والارتقاء وكلما قربنا من الاقطار الحارة ازدادت الحيوانات نموا وانتشارا وارتقاء حتى نصل المنطقة الاستوائية حيث نرى الأنواع العديدة من الحيوانات الضخمة الهائلة وغيرها من الحيوانات المعمرة كثيرة النسل وذلك واضح جلي تحدثنا به المشاهدة . لهذا لما اضطر الإنسان للاعتناء بتربية الحيوانات بحاجته الماسة للمحافظة عليها والسعي في نموها وحمايتها من عاديات الفناء وقد فزع عند ما رأى الاضمحلال يدب في قطعانها عقب اندفاعه في صيدها واهلاكها وقد غرته بوفرته وتزاحمها لأول وهلة وكأنه ما كان يدري أن تلك الكثرة وليدة أحقاب مديدة وأجيال عديدة فلما أكثر من صيدها والفتك بها دب النقص والاضمحلال في جماعاتها ولم تقو سليقتها الحيوانية وطباعها البهيمية على تعويض الهالك أولا بأول زد على أن الإنسان قد نافر كثيرا من القطعان عن مراعيها واستوطن هو فيها ونفرت تلك القطعان طبعاً إلى أرجاء تغاير التي كانت فيها ولو قليلاً فكان هذا مما أدى أيضاً إلى اضمحلال تلك الأنواع إن لم يكن إلى فناءها .

كل هذه الظروف مجتمعة حضت الانسان علي أن يفكر في وسيلة
تحفظ عليه ثروته الحيوانية التي عليها غذاءه وقرته وذلك بعد ان أنذرتة
المجاعة بفناء وانقراض أنواع شتى من الحيوان (وترى ذلك واضحا في
كتابنا حياة الانسان النظري)

فكر الانسان لأول مرة في حماية الحيوانات فعمل على جمعها سائمة
صحيحة ليرعاها ويعتنى بها فوجد أنه مضطرا للدرس أحوالها جيدا ليتعرف
أساليب حياتها ونمط معيشتها وان كان قد ألم بشيء من ذلك عند محاولة
صيدها إلا أنها كانت معلومات خارجية لا تمكنه من ان يقدم لها معاونة
فعالة تساعد على النمو والارتقاء، فدرس واجتهد وبذل قصارى جهده
ليمد لها حياة تتمتع فيها بكل أغراضها الحيوانية كفطرها الاولي . فكان
كلما بالغ في الاعتناء بقطعانه ازدادت نموا ورقيا وانتشارا . وعلى هذا نعلم
أن التربية الحيوانية والرعى بدءا منذ تلك الاجيال السحيقة وقد كانت
هى ثانيا فن عني بدرسه الانسان بعد الصيد وأساليبه المختلفة

كان الانسان في هذه الاجيال منتشرا في بقاع شتى من الارض
فمنه من جاور البحار ومنه من هبط الاودية وشطوط الانهار ومنه من
اعتصم بالصخور وتحصن بالكهوف ومن عاش خلال الغابات والاحراش
ثم من ضرب في أحزان الارض وبلقعها . فأخذ كل انسان يصيد ما جاوره
وأحاط به من أنواع الحيوان ثم أخذ يربها ويعتنى بها ويرعاها فاختلقت

سبل الصيد وطرائق القنص لاختلاف طبائع الحيوان وتعددت طرق الرعى ووسائل التربية لتباين غرائزها إذ مما لا شك فيه أن صيد السمك والحيتان يختلف في طرقه ووسائله عن صيد الخراف والغزلان أو البقر والثيران كما يختلف ذلك عن صيد الطير من بط أو سمان . كما أن تربية الأغنام غير رعى الأنعام أو مراقبة السوام وقد تبع اختلاف هذه الطرق والوسائل اختلاف الأفكار أو طرق التفكير وأدى ذلك إلى اختلاف عادات الإنسان وطباعه حتى أن احساساته قد تأثرت بتأثيرات كانت ذات أثر بليغ وصدى قوي في عقليته وعلى ذلك كان لكل صقع أو بيئة سكان متأثرين به مطبوعين بطابعه الخاص حتى جاز لنا القول بأن للسياسة قوة صوغ ساكنيه طبقا لحاجات المعيشة فيه وها نحن نرى الفوارق الواضحة بين كل جهتين مختلفتين ولو من وجهة واحدة حتى أننا نرى سكان سويسرا يختلفون عن سكان بلجيكا كما أن سكان الأخيرة يختلفون عن جيرانهم الهولنديين وإن تمعنا في هاته الأقوام نجعلنا نؤمن بقوة البيئة وسلطانها عن نفوس من فيها ، ولو حاولنا معرفة قوة تأثير الوسط على من يحل فيه ما كان لدينا إلا أن نرجع بنفوسنا إلى عهد القبائل الرحل ولا أقصد بالقبائل الرحل قوافل الأعراب أو البدو . إنما تلك القبائل الإنسانية التي كانت تنزع عن أوطانها للدافع ما إلى مواطن غيرها حتى إذا اجبرت على فراقها رحلت عنها إلى غيرها . وتلك القبائل كانت غالباً في مبدأ حياة الإنسان فكانت

القبيلة تتخذ موطنها بواد من الاودية أو سهل من السهول فتقوم بأعمال توافق موطنها هذا وتتخذ لها عادات وطبائعا تناسبه حتى اذا مارحلت عن تلك الارض لسبب ما ونزات بأرض أخرى نرى أنها سرعان ما تبدل عاداتها عادات أخرى وحياتها حياة ثمانية (وتري ذلك واضحا في كتابنا حياة الانسان الفطرى) كما حصل لقبائل التتار والتيتون والغالبين

وقد عاش الانسان حينئذ من الدهر عيشة حيوانية بمحبة يأكل ويشرب على السليقة الحيوانية بل ويأتي كثيرا من الاعمال الحيوانية أيضا من ذاك أخذ الذين يسمونه بالحيوان الناطق إلا أنهم لم ينصفوا الانسان بهذا الاسم اذ لم تكن ميزة النطق هي التي فرقته عن باقي الحيوانات بل ان في هذه التسمية نكرا لالا كبر ميزة سودت النوع الانساني وجعلته المسيطر على جميع المخلوقات الا هي ميزة التفكير بل ملائكة العقل الانسان التي تمتاز بها النفس الانسانية أصل الحياة فيه اذ من المعلوم أن الموجودات العالمية تنقسم الى قسمين حية وهى النباتات والحيوانات والانسان . وغير حية وهى كالأجسام المعدنية والاحجار ، فالاولى تنمو وتتغذى ولها مبدأ حياة ومنتهى عكس الثانية التي تجردت من كل هذه الخواص المختلفة وما جعل الاولى تتغير طبقا لنوعها غير النفس الكامنة فيها وما جعل الثانية تلزم السكون فى حالها الاولى ما لم يغيرها عارض أجنبي سوى خلوها من

النفس . ومن ذلك يمكن تعريف النفس على الاطلاق بأنها اصل كل حركات
الموجودات الحية فهي اذا أصل الحياة

والحياة هي خاصية تحرك الموجود بنفسه أي أن الحياة في الحركة
ولا يجوز الخلط بين الحركة الطبيعية والحركة الآلية (كالات البخارية)
انما المقصود منها هي الاولى ويوجد لها ثلاثة أنواع : ا . الحياة النباتية .
ب . الحياة الحيوانية . ج . الحياة الحرة العاقلة وهي للانسان .

فالاولى غذاء ونمو ، والثانية حس طبعي وحركة إنشائية عمياء ،
والثالثة حس بتفكير و ارادة . ولكن جميع هذه الحركات نفسية بحته
لان الحياة بأنواعها ثلاثة تستمد من النفس وحدها . الا أننا لو القينا
نظرة واحدة على الحركات التي تبدر من الانسان لرأينا أنه يتغذى وينمو
كالنبات ويحس ويتحرك كالحيوان زد على أنه يعمل بتمييز وحرية
أو بتفكير و ارادة فهو اذا يجمع أنواع الحياة الثلاثة ولكن ليس له الا
نفس واحدة تلك هي النفس الانسانية وبما أننا سنتكلم عن شيء في
التربية يحسن أن نشيرها أيضا الى وجود حياة رابعة اختص بها الموجود
العاقل أو الانسان وهي الحياة الروحية والتي تمتاز بالعاطفة والعقيدة
ومن ذلك يتأيد أن لحركات الانسان تأثيرا على نفسه وأنها (أي
الحركات) دليلا على تلك النفس أيضا . وكان من اختلاف الاوساط
اختلاف النفوس في حركاتها كلها وظهر الانسان بذلك أمما وشعوبا

• متفرقة متباينة في كثير من الطباع والاخلاق والعادات وأساليب الحياة التي يتبعها بلاريب أساليب التفكير . وكان دائم التفكير لتحسين حياته وتلك فيه غريزة نباتية لامهرب منها قواها الحس الحيواني وساعدها العقل البشري وبذلك الشعور (الانانية) كان هو وأسرته رجلا واحدا في الصيد أولانم الرعى ثم القتال وعلى ذلك قويت فيه العصبية وحب بني أسرته وعشيرته مع ددائه الاصفر لباقي جذسه الانساني وكانت الاسرة أو العشيرة منفصلة تمام الانفصال عن غيرها ولها من التقاليد والعادات . ليس لغيرها ولما تعددت الفنون من صيد وحرب وتربية ورعي غير الاعمال الفردية، اضطرت الآباء للتقنين وتدريب الابناء ومن ذلك الحين نشأ أمر التربية الانسانية وبات الانسان مشغول الفكر بخطر الحرب وبلاء القحط وعلى ذلك بات دائم التفكير في الوصول الى قوته وطعامه بوفرة وسهولة وتعدد المجهودات واثرت النتائج فازم حفظها لمواصلة العمل على أثرها من ذلك نشأ الدرس والتعليم، إلا أن أمر الدفاع عن العشيرة كان دون شك أشرف عمل يقوم به الفرد فكان يفخر بأسرته وبذكر أبطالها وعظماؤها الذين وضعوا في مصاف الآلهة حتى يكون حب الاسرة أكبر دافع للرجل على الحرص والغيرة عليها فيجود بروحه في الذود عنها . ومن ذلك كله نشأ ما يسمى بالقومية والتربية القومية . فلما أن استقرت .

١. قوام وبادت عادة الرحيل وأصبح كل قو يقيم بوطن من المواطنين

سميت القرمية وطنية أو أهلية .

فالتربية القومية أو الاهلية أو الوطنية هي عبارة عن مجموعة الطرق والوسائل التي انساق الانسان الى اتباعها بطبيعة الارض وجوها وخيراتها وليس هناك نزاع في أن ما يصلح لوطن لا يصلح بتاتا لوطن آخر ولهذا يعد من الجنون والجنون المحض نزوع قوم لتقليد عادات قوم آخر لا يتفق مع بيئتهم ووسطهم ومن هذا العمل الجنوني يكون تدهور بعض الجماعات لما يسبب ذلك من الخلل في حياة ونظام المقلدين . لأن في تكلفهم ما ليس من دأبهم أو محاولة اتخاذهم عادة مع مخالفة دواعيه ضررا واضحا ويكفي دليلا على خطأهم أن ننظر الى من ينزحون من بلادهم الى بلاد ثانية فنرى أنهم غالبا يضطرون لترك عادات قومهم وتقاليدهم ظهريا واتباع عادات الوطن الجديد وتقاليده لما في ذلك من الراحة والهناء . واذا نزلت بقية فاعبد ربها أو دارهم مادمت في دارهم . اذاً علام هذا التقليد الاعمى . وأغرب من ذلك أنه ترى قوما يدعون لهم قومية هبوا ليزودوا عنها وهم لم يعرفوا قوميتهم فاصبحوا هم والمغيرون صنوان أي باتوا وقد اتخذوا لانفسهم عادات وتقاليد حاكمهم وغاصبهم فأعرض المرء عن قوميته الاولى واتخذ قومية غالبة على أمره ثم بعد ذلك يظن له قومية ينبغي الدفاع عنها وقد ضيعها بنفسه . ألا رحمكم الله أين كانت عقولكم يوم أن نقضتم بناء قوميتكم وصرح وطنيتكم بأيديكم لا بأيدي

غيركم أين كنتم - إنا فاكم الله يوم نبذتم وطنيتكم وعاداتكم متبعين في ذلك طيش الشباب ورعونة الجهل فإسدلتم بذلك حجاباً اسودا كشيفاً على قائد قوميتكم وعفت آثارها بعد أن نبذتموها . ولا حصن للامة خير من قوميتها ففتشوا يا قوم على قوميتكم أين دفنتوها فانشروها واتبعوها ولا أولادكم لقنوها .

التربية النفسية

رأى الانسان أن خير طريقة يتبعها لاصلاح حياته هي أن يعد أعماله في دائرة من الحدود والواجبات الكمالية وطلب ذلك عن سبيل التربية . إلا أن حصر الاعمال الانسانية في حيز من الواجبات والممنوعات صعب غير يسير فعملوا على تثقيف الفكر بالعلوم ظناً منهم في أن العلم وحده يسدد الاعمال والحركات إلى أحسن وأقوم سبيل إلا أن الفكر مهما كان فهو متأثر بالحس النفساني وغيره من العرائز النفسية ولهذا كثيراً ما نرى الافكار منقادة لغيرها من العرائز النفسية وخصوصاً اذا كانت تلك العلوم من العلوم العملية التي لا دخل للنفس فيها هذا على عكس الاعمال الصادرة عن النفس مباشرة فانها غالباً لا تلقى من الفكر إلا معاونه وتشجيعاً فالفكر في نفسه لا يمكنه أن يكون وحده دافعاً للخير أو الشر ، وقد يستطيع الفكر أن يكشف حقيقة الأمر ان كان خيراً

أوشراً ولكنه لا يستطيع تنفيذه إلا بالمساعدات النفسية الأخرى
أما العلوم النفسية كعلم الاخلاق وعلم النفس والدين فكلها أبحاث
وتجارب نفسية تعد النفس لقبول أصلح الاعمال الحقّة وبما أن النفس هي
سبب الحركات الانسانية فلا شك أنها ان صلحت صلحت جميع حركاتها فكانت
أعمالها جميعها خيرية وعلى هذا يكون اصلاح النفس هو أساس كل جمال
لهذا المخلوق الانساني به يحصل كل كمال وسعادة إذ يجد المرء من نفسه
مراقباً شديداً البطش صعب المراس لا يعصي له أمراً يمنعه عما يراه شراً
ويحضه على ما يراه خيراً

وليبيان قوة النفس وسلطانها في أفعال الانسان نقول أن الانسان
انما يستعمل حواسه ومواصلة للمشاهدات الخارجية إلى غرائزه النفسية
فتتأثر الاحساسات النفسية بنوع من الاحساس فاما ميلاً أو تقوراً وعلى
ذلك يبدأ الفكر بفحصها حتي إذا قر قراره أخيراً رفعه إلى الارادة لتقوم
بتنفيذه وتتولى هذه اصدار الأوامر إلى العضلات البدنية لتقوم بتنفيذه
وتلك هي الحركات النفسية التي تصحب كل عمل من أعمال الانسان ،
وهناك قد جلس الوجدان الحاكم الأعلى للقوى النفسية فلا يكاد ينفذ
قرار واحد من قرارات الفكر إلا إذا وافق عليه الوجدان صاحب
السطة العليا والذي يمكن القول بأنه هو القابض على زمام جميع القوى
النفسية فلا شك أنه أقوى وأرقى القوى النفسية حتي أن كثيراً من

الافكار التي تكون منطبقة على العقل والنطق الصحيح ولكن لا يستطيع
الانسان ~~أن~~ يسلم بها أو يقدم عليها لأن الوجدان لم يرض بها
ورفض اقرارها .

والوجدان هو ككل غريزة نفسية يعتريه القوة والضعف فاذا كان
قويا في إنسان رأيت أنه دائما بعيداً عن كل الصفات والنقائص والذائل
محبا للفضائل والمحامد لأن الوجدان الحى مع البصيرة يدفع صاحبه دائماً
إلى قويم الاعمال ويبعده عن مرطط الزلل والمخاوف أما إذا خمل الوجدان
وضعف ترى أنه بات أقرب إلى الحيوانات العجم لا يفرق بين خير وشر
حتى يكون دائماً الخضوع لأغراضه الحيوانية ، فيتبع ضعف الوجدان
ضعف السجايا الحميدة فينا وتقوي الشهوات الحيوانية إذا لا نجد رادعا
أو زاجراً يوقفها عند حد محدود بل قد يطرأ على الغرائز النفسية من
جراه ذلك فتور شديد أو انقلاب يصور لها المحمود مذموماً والمذموم
ممدوحاً حتى ترى الفضائل رذائل والنقائص محامد

وأن رياضة النفس وتربيتها لمن أصعب الامور تحتاج عناية دقيقة
وتتطلب بصيرة يقظة ومرب حكيم يدرك نتائج الاعمال كل على حدة
وتأثيرها بالنفس فيوجه الاعمال والحركات في الناشئ الى الوجهة
النفسية القويمة فيقوي الغرائز الصالحة التي تساعد الانسان في حياته
فيتمهد الوجدان ويزكيه والاحساس فينقيه وانهنكير فيرقيه والارادة

فيقويها أما تزكية الوجدان فتكون بتوسيع دائرة الفضائل وإحاطته بها
وأما تنقية الاحساس فبإبعاده قدر المستطاع عما يثير شهوة الشهوات
الفاسدة حتي تقوى بنفسه الغبطة والراحة للفضائل والخيرات وأن يستفزه
دائماً الي عملها من طرف خفي بأن يوقظ فيه الرحمة والشفقة والحنان أما
الفكر فيقويه ويرقيه بالمعلومات المحسوسة والادراكات المادية والأدبية
ويعمرنه دائماً على العمل بثبات وتؤدة وراء الحقائق الثابتة واللب والجوهر

الارادة

الارادة هي القوة النفسية التي تمكن الانسان من عمل أو إبراز
ما يفكر فيه فهي عبارة عن حلقة اتصال بين العالم النفساني الداخلي وعالم
المحسوسات الخارجية التي هي مظهر الحياة فلولاها لبقيت الأعمال
والحركات النفسية مضمرة فيها لا تستطيع ظهوراً ، إلا أن الله قد قيض
لنا الارادة لتبرز لنا جميع الأعمال النفسية في حركات جسمية ظاهرة نعلم
منها وجود النفس والحياة ، ولا يخفى بعد ذلك أن الارادة هي القوة
التنفيذية في الانسان يتبع ضعفها عجز الانسان عن إتيان ما يريد به ويهم به
وإن الذين نراهم فنصفهم بالكسالى وننعتهم بالماجزين ما هم إلا الذين
وهنت إرادتهم عن تنفيذ ما يريدون ويتقنون وضعفت همهم عن ادراك

ما يطلبون أولئك الذين فترت عزائمهم فقصت بهم نفوسهم وكانوا من الخاملين . أما أولوا العزم وقوة الإرادة فهم الذين لا تمنعهم الصعاب أو تقعدهم الموانع عن السعى والمثابرة بهمة لا تمل وعزم لا يفل في سبيل الحصول على أميتهم ونوال بغيتهن وما الحياة إلا جهاد وجلاد فأين يكون ضعيف الإرادة إلا خامل الذكر واهي القدر قليل المكاسب حقير الآمال والمطامع ، لا يستطيع أداء عمل ما حتى تراه آلة في يد غيره يعمل بحركة آلية (حيرانية) ما يوحى إليه من غيره دون أدنى مقاومة أو مراجعة ولو أضر ذلك بشخصه وذله ، كما تراه لا يستطيع دفع الأذى عن نفسه والخلاص منه عجزاً وقصوراً وضعفاً فلا يستطيع تدبيراً ، ولما الذين استهوهم الشيطان فأضلهم وأوقعهم في شراكه فباتوا من الآثمين والمرتبكين وهم يشعرون ، يرجون الخلاص مما هم فيه فلا تنصرهم إرادتهم الخائرة أو تعينهم عزيمتهم الواهية فيتعبد ملوماً محسوراً ، وكم من سكير يقتنع بضرر الخمر ويتنهي عن احتسابها أو مدخن يألم من التبغ يرتجى الامتناع عنه أو أوالى غير ذلك ، ولكن أين الإرادة التي تعينهم على ما يتفنون ولو كان لهم مثقال ذرة منها لنجوا بأنفسهم مما هم فيه غارقون

أما معالجة الإرادة وتقوينها فمن أوجب واجبات الرب لا أنها تعين الرجل على الحياة وتمده من لدنها بسلطان على جميع الأعمال وتجعله قادراً على دخول مجال الحياة من جميع أبوابها مادام يريد أن يحيا أما الذين تراهم

يعتمدون في حياتهم على غيرهم أولا يستطيعون دخول ميدان الحياة الا
من باب واحد فقوم عاجزوا الارادة وهذا من الامراض النفسية فينا
بشكل واضح ويرجع ذلك الى تربية لا تكاليف التي تمت فينا الاستقلال
وتضعف منا الارادة وفي ذلك قضاء على مستقبل الشاب ومستقبل بلاده.
ونإذا مجدي قومه رجل لا ارادة له لا يعرف سوي أن يكون عالة على
غيره فعلي الربى الرشيد أن يجعل من أول ما يغرسه في نفس الناشيء
الاحساس الشريف والارادة القوية وتقوى الارادة في الطفل بطرق
عديدة قد لا يتفهم ذكرها اذا لم يكن الربى من نفسه يقضا فطنا لحركات
الطفل وتأثيرها في نفسه، وله مع مراقبته الشديدة أن يترك للطفل الحرية
التامة في العباه لا يقيده بأفكاره وآرائه اذ شأن بين هذا وذاك فلا يسر
الطفل ما يسر الكبير، وفي الغالب سيديء الطفل استعمال هذه الحرية
فيجب ان نجعله يتحمل وحده نتيجة عمله وأرجو أن لا تذهب مع العامة
الذين يقولون بأن الطفل لا يميز بين الخير والشر بل يجب أن تفرض قدرته
على ذلك لأن ذلك سيولد فيه نفس الادراك والفرض لذلك مثل طفل
أعطيته لعبة يلعب بها فكسرها، فلا تصلحها له بل دحها بين يديه مكسورة
فانك ترى على وجهه آثار رغبته في ارجاعها حالتها الاولى فلو انك
خضعت للحنان وأصاحتها له ترى أنه يسرع في كسرها ثانيا ويا أتيك بها
لتصلحها وهكذا تتكرر هذه العملية التي تولد في نفسه الاعتماد على غيره

(وهو انت) وعدم الحرص على ما في يده ، وتسخيرك لأغراضه الشريرة لان كسر الشيء (اللعب) نوع من الفساد أو الشر ، أما لو تركته يحاول اصلاحها بيده حتي يعجز عن ذلك فسيتركها وهو نادم علي ما فعل وقل ان يقدم علي كسر غيرها بعد ويجب أن لا تحذره أنت من ذلك ، ثم افرض ثانيا أن طفلك يجري أمامك فأسرع في جريه حتي وقع فتهب جاريا نحوه بفزع وخوف يرعب الطفل حتي يزداد بكاء وأنيينا ولو أنك تجالدت قليلا وظلمت حينما كنت ترقبه ربما لا يبكي ويتموم ضاحكا وكثيرا مارأيت أمهات فزعن لسقطة أولادهن سقطة بسيطة وقامت الأولاد ضاحكة لاعبة توداستئناف جريها الا ان الام تعترض تلك الارادة لتظهر بعض الحنان عليه ، أما ان كانت السقطة شديدة فيجب علي الام أو المربي الثبات ايضا والاستكانة في مكانه أو لا بأس من الاقتراب منه حتي اذا رفع وجهه يجب أن يرى وجهها باسما ضاحكا يزيل بمنظره أغلب الألم إن لم يكن كله وينقلب استهلال البكاء ضحكا ويجب أن يترك ليقوم بنفسه أو يؤمر بذلك في صيغة غير مباشرة ثم يلفت نظره الى ما آلت اليه حال ملابسه . وهكذا ، وغير ذلك يجب ان يشوق الى امر هو نتيجة حسنة لعمل من الاعمال أو يعرض له جائزة اذا حصل على أمر من الامور أو عمل شئ ويترك دون ان تقدم له مساعدات أو معاونات أو غير ذلك من الاعمال والافكار ، وخير الامور لتربية الارادة دفن

اليأس فلا تظهر للطفل وجهه الا سفع ولا تشمره بوجوده أبدا. فلا يأس ولا عجز ولا معاونة من الغير. بذات يمكن من انشاء رجل قوى الارادة لا تقعد همته عن نوال ما يريد .

يذهب بعض المهوسين الى أن التشبث وصلابة الرأي من قوة الارادة . والحقيقة غير ذلك فانما هي من الرذائل الممقوتة وهما لا يطلبان الا في شخص وهن الارادة لا يستطيع اخضاع نفسه للحق ومن عجزت ارادته عن رد فكره الى حظيرة الحق كانت ارادة أوهى من أن تنال فوزا ما على .متاع الحياة أو ادراك النجاح وغالبا ينشأ التشبث في نفس الطفل اذا شعر أن نداءه سريع الاجابة وطلبه لارادله وحاجته في أى وقت .مقضية .مهما كانت ولو تخطت المعقول خصوصا اذا شعر الطفل بان له من القوة ما يرغمك على تلبية طلبه . كأن طلب طفل من أمه ما رفضته فذهب يبكي بأجهر صوته ويصرخ ويلطم وربما القى نفسه أرضا وأخذ يضرب يديه ورجليه ورأسه ، كل هذه الامور تحصل من الطفل ليرغم امه أو أباه على أن يعطيه ما يريد وفي هذا الخطأ الفظيع إذا الواجب أن يكون عمله هذا داعيا للرفض ألبات أي اذا كان الرفض الاول لأجل ما يكون بعد هذه المناورة أبعد أجلا حتي لا يسلم اليه به وهو في هيجان غضبه كما انه لا يصح ضرب الطفل في هذه الحال وكفاه ما يشعر به من الالم النفساني من مصادرة اهوائه .ويجب أن يشعر الطفل

بل أن هناك أشياء تصادر أمياله وشعوره ويجب التسليم بها كي يشب ومن
السهل على نفسه الرضوخ لقيود الاجتماع والقانون

التربية المنزلية

التربية المنزلية عندي هي أهم أركان تربية المرء فهي التي كلفت غرائزه
وأثبتت رؤوس أوراقيها بين ذرات ترى الحياة ومما يؤسف له جد الأسف
ويذهب بيباض العين حرقه أن التربية المنزلية لدينا من أخط ما يكون
وفي أسفل الدرجات لا يتولاها إلا الخدم والاتباع وهم أنفسهم أحوج إلى
التربية من الطفل الصغير فيشب ذلك التمس ملوثا بما نقله عن خدمه
وما جنوه عن أخلاقه مباشرة أو بواسطة النقل والتقليد واه وأبوه لكل
أمريء منهم شأن يغنيه أما الخادمة فتذهب بسيدها كل يوم للحديقة ترجو
لقاء فاسد يداعبها ومجرم يمازحها فلا تلبث أن تبرح الحديقة إلى بيت عفن
الرائحة قد تسبب للطفل التمس أمراضا أما إذا بقيت بالحديقة تركته
مع رصيفة لها وولدت بجلباسها يناجيها وتناجيها ثم إذا انتقل من رعاية الخادمة
إلى الخادم كان أمر من الأولي أولا: لأن الولد قد غدا يحفظ لما يقع تحت
حسه. ثانيا: لأن الخادم أقل حشمة واستتارا من الخادمة فيكون
فيه الطور الثاني من الفساد وعند ما يأتي الدور المدرسي ، يحضر له المعلم

المنزلي ليحضر له الدروس أولاً بأول فيشب المسكين رغم سفالة أخلاقه
لا يستطيع عمل شيء بنفسه ولا يعتمد علي نفسه في أمر ما وهذا ما يخفف
من شره قليلا خصوصا اذا صادف صلاح الوسط المحيط به أما اذا ساء
وهو الغالب كان عبارة عن آلة يجر كونه لمطامعهم ويسخرونه لأهوائهم
وها هي الحوادث الجمة. ازالتمتناقواها إلا لسن. وعلى يد مثل هؤلاء الابناء
يكون هدم بيوت الأسر وفناء ثروة الآباء

أما أبناء الطبقة المتوسطة فلا يكاد يبكي الرضيع حتي يلبم الثدي فيأخذه
ظاناً أنه هذا يزيل ما به من ألم وقد يكون ألمه من كثرة الرضاع ولا
تمنعه أمه حتي يرجع اللبن من فيه وترى ان الرضيع خصيم النظافة والماء
لأراء سخيفة وأفكار عتيقة ، كما ان الأم تكثر من حمله بين يديها
حتي كأنه قد ربط فيها وتترك عمل البيت على كاهل الخادمة. أما كثرة حمل
الطفل بين الذراعين وكثرة الرضاع فأمران يقضيان بالمرض وحينئذ تلجأ
الامة للاستشارات الاهلية القاضية على الصحة الجيدة السليمة
واكثر من ذلك أن يوكل حمل الطفل الى خادمة صغيرة قد لا تحسن هي
اختراق الشوارع والطرق ثم لا تحمله وحده بل تحمله في فراش وثيراب
تبلغ الطن وزنا فعلام كل هذا هل ستدسه الرياح أم سيأكله الذئب ولم
هذا الفراش ، هل تعجز الخادمة عن حمله وحده بانداء وتحمله ووزنه

مثلين! أن هذا غريب! دعونا من كل هذا ولنفرض أنه قارب الفطام وأصبح يهدهد ويتم تري أمه تحاول تثقيفه كلمات محرفة قد لا يدرك الكبير مرماها زد على ما يفرض منها في مراقبته من اتباع التقاليد العتيقة. ولا يبدأ القول إلا ب : ممة ، تس ، أبس ، أمبوه! فإذا درج بعد ذلك قليلا جعله حجة لنوال ما تريد من زوجها فتعلم الولد دون أن تشعر اراقة ماء وجهه من كثرة السؤال بما توحى هي اليه (بابه موزبا به قشطه) وغير ذلك حتي اذا لب قيدته بفكرها في العابه ومنعته عما يريد وعادته في كل ما يعجز عنه رائدها حنانها لا تعرف ما هي التربية يسرها أن بأكل أكثر مما تأكل ولا تعلم أنها تقتله بذلك ثم تقوم عنه بكل عمل من ضروري جدا وغيره حتي تري انه يعجز عن لبس جلبابه وحده وقد بلغ العشرة أعوام وهكذا يخرج الطفل من بين يدها وهو لا كما ولدته نقيابل قويت في نفسه الاميال الفاسدة الشريرة حتي تري أنه والحمد لله خلوا من أي سجية ولا يكاد يملك محمدة واحدة أو غريزة طيبة فتعلمه الكذب والرياء والانكار والشراسة وربما تعلمه بسوء تصرفها نوع من السرقة وتضرب عنها صحفا ثم تستر عن أبيه مساوي أعماله فيزداد لها أتباعا وتزداد لها كتمانا حتي تقوي نفسه الشريرة ولا تجد من مراقبة والديه زاجرا وقد زالت من نفسه هيبة أمه وسترت هذه عيوبه عن أبيه. ثم يذهب الى المدرسة وهو مستعد لكل نقيصة عصي القبول للفضائل الحققة ، ولو أننا

تركنا أعمال الوالدين لتربية ولدهما ظهريا ، نرى أنهما لا يراعيان له كرامة
ما حتي قد يغفلان أمر وجوده اعتمادا علي صغره وعدم إدراكه وقد فاتهم
أن الطفل عبارة عن صورة مصغرة لأعمال والديه فتراهم يقلد جميع حركاتها
في ألعابه حتي أنني كثيرا ما أقف على داخلية الأم وحرركاتها وأيالها الجرد
مراقبة بنتها الصغيرة وهي تلعب ، فانظر اليها تراها تقوم بجميع حركات
أمها تقريبا وتقلدها في صوتها ومشيتها وانفعالاتها وغير ذلك وقد صادف أن
رأيت طفلة تلعب عرفت منها كل صفات وأعمال أمها فلما تحدثت بذلك ظن
السامعون العارفون لها أنني خالطت تلك السيدة طويلا ويعلم الله خذ أما ذهبوا
إليه إنما قد أبصرت صورتها مصورة في حركات بنتها وكذا الأولاد بأعمال
آبائهم لأن كل جنس يميل إلى التشبه بمنسبه ، فالرجل العاقل والمرأة الرشيد
هما اللذان لا يظهران أمام عين طفلها إلا في أكمل صورة واسما حلة
من الاخلاق الطيبة كما تكون له مثلا عاليا وقدوة صالحة تثبت بنفسه
حميد الخلال بتوالي التكرار ، وهذا مما لا شك فيه خير درس يتلقاه الولد
عن والدين من غير أن يكلفاه في ذلك اجهدا يسيرا إذ الطفل دائما يتطلع
إلى من هو اكبر منه سينا بنظر الآمل إلى معاقد أمه ، فالكبير عبارة
عن مثل لما سيؤول إليه شخصه في المستقبل ولذلك يقلد ما يراه من
أعمالهم سريعا معدا نفسه للمستقبل ، وكما من ولد بات وهو لا يستطيع هما
أوتى من العلم في حياته الخلاص مما مني به في نفسه من جراء أغلاط

والديه وجهلهم خصوصاً وأن للخرافة البالية أكبر أثر في حياتنا العائلية حتى أن كثيراً من الأعمال المنزلية تسير طبقاً للنواميس الخرافية بكل دقة فتزرع بنفس الصقل من الأوهام ما يفت في عزيمته ويشب متأثراً بالخرافة خاضعاً لسلطانها، لها على نفسه صولة وتقوذة، والرجل العاقل ينقي فكره ولده من الأوهام والضلالات لا يكون هو أول محدثه بها كما سمعت والد ينصح ابنه فيقول وقد فرغاً من الطعام ؟ يقال يا ولدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - إن من أكل فتات طعامه وبقاياه عوفي من جميع الأمراض وتحصن من الجزام وجزاه الله بكل فتاة حسنة - والله يعلم أن نبينا أرفع من أن يقول ما ليس في الدين من شيء وهو أحكم آل الأرض طراً . وسمعت أبا يحدث بذيته عن كنوز الأرض وهو واقف الرزق وخاتم سليمان وغير ذلك من أمور تشغل الفكر وتفسده . وشر ما رزقنا به من الخرافة الحمقاء الجري وراء المنجمين ومدعي الولاية ثم الزار وهذه الأمور يطول عنها الحديث أما المنجمين فلا أدري ما الذي أسكت القوة الحاكمة عن تطهير البلاد منهم وهم يستعملون سلطانهم على البسطاء لا ارتكاب أفظاع الآثام وليس بعد قول النبي في حقهم : كذب المنجمون ولو صدقوا . منزعا لدخول أقل ذرة من الثقة بهم في قلب العاقل زد على أنهم في الحقيقة عبارة مراكز للنفس وبيوتهم بيوت للغنا والفجور وكل منجم قواد فاسد ، أما مدعي الولاية فليدسوا بأقل من المنجمين خطراً فعلمهم نصب واذتيال يغتالون الناس بتلك الطريقة الفارهة

لتأثيرها على عقول البسطاء فيتوصل أحدهم الى أغراضه الدنيئة دون
خشية رقيب أو عتیب ولقد سمعت من الحوادث أن عبيطا كان يأوي
بيت أحد الوجهاء وكان له ثلاثة بنات إذا كان من العبيط الى أن يسطو
على عرض أجهلن وهي نائمة فاقتربها وخشية العار شربت السم فماتت
مأسوفا على شبابها وجمالها وطرده الولي فأوى منزلا آخر ويقال أن هذه
الجريمة ليست الوحيدة منه وأمثاله ، فهو لاء المدعين إذا رأيتهم لا تلقاهم إلا
بضرب النعال فوق رؤوسهم وأفواههم أما الزار فسواء كان زورا أم حقا
إلا أنني أراه اليوم علة الخراب وطريق المفسد والفجور ولو أن هناك
متسما لا يتنا بمحادثات لا تدخل تحت حصر تثبت مساويء الزار إلا أن
قصاري القول فيه أن المرأة تتخذ الزار في كثير من الاحايين واق لها من
غضب زوجها وسبيلا لتنفيذ ما آربها سواء كانت طيبة أو خبيثة ووسط
الزار قد غدا وسطا موبوء بجرائم الفسوق والضلال . والمرأة قوية
الارادة محال أن تصاب بمرض الزار وفي الاستطاعة أمانة فكرة الزار
من نساتنا بعدم موافقتنا عليها والأمر له عندى بحث طويل ، فمن طهر
بيته وحصن أولاده من هذه الامور الثلاثة تفهم خير تفهم يحفظونه له في
قلوبهم ماداموا بنعمة الحياة متمتعين

الشدة والتراخي

التراخي والشدة كلاهما مضر ، ففسد لا يصحان بتاتا للتربية الحسنة
لذا التراخي مع الطفل الغرقاض بزوال هيبة الاب من نفس الولد
وقد ينقلب ذلك الى تهاون بكرامته فيشب الطفل لا يحترم أباه أو يأبى له
وبذا لا يري له زاجرا يرده الى حضيرة الرشد ويتبع هواه ويكون في أمره
فرطا ، أما الشدة فتغفر الولد من أبيه وتنمو النفرة مع الايام حتي تستحيل
يوما بنضاء ومقتا وعندها تنجسم أمام عيني الطفل هانات أبيه وعين السخط
تبدي المساويا ولا شك أن الولد أقدر الناس معرفة بأسرار الرجل وأقرب
اليه من حبل الوريد فهو عشيره وجليسه وما اكثر أغلاط المرء إذ فتحت
العيون لرؤيتها دون الحسنات وسرعان ما يبدو له احتقاره ويكون به من
المستهزئين وتلك شر نتيجة تنبت القسوة . من ذلك نرى أن كليهما قاض على
الاخلاق الطيبة مفسد للطباع القويمة وقد لا يدعوا الى الاثول سوى فرط محبة
الابن وإعزازه إلا أنه مثل هذه المحبة تكون محبة وقتية عمياء لأن الاب المحب
لبنيه هو من تطلع لهم بزويته ونظره الذي ثقلته التجارب الي مستقبل
يرضاه لهم فعمل معهم ومهد لهم الوصول اليه بكل حيلة وأسلوب . ويجب
على الأب أن يحيط ولده بكل ما يعاونه على بلوغ ما يريد فيسعى لراحته

لا يضحىها في سبيل راحته الشخصية وسلطة الأبوة لأن النفس لا ترضى أن تقصب ولكنها تمنع عن طيب خاطر فالعاقل من أجبر ولده على احترامه من جهة قلبه وحبه لا من سبيل فزعه ورعبه ، أما الذين يظلمون يلعبون بأطفالهم صغاراً وكأهم سيظلمون هكذا صغاراً فإذا شبوا أعرضوا عنهم لتأديبهم على ما يزعمون فهو لاء قوم لا شك أنهم مخدثون فهل يظنون أن قد نسي الطفل هزلهم معه أم هناك سجن تسدل على عقول الاطفال فتدسيهم ما كانوا به يلعبون . والتراخي ثم الشدة كالبرودة ثم الحرارة أمور لو تعاقبت على الصخر لتفتت إنما خير الأمور الوسط لأننا كثيراً ما رأينا أن التراخي قد غدا إباحة لا يجني من ورائها إلا شراً وما كل فساد الأخلاق والجرائم والآفات إلا من ولائد التهاون والشدة وعدم تدقيق الآباء النظر في صفات الأمور التي لا تعقب إلا جسيمها وإني محدثك بما ثبت لك سوء نتيجة التهاون والشدة : — كان للسيد محمد بنت وكان لجاره ولد وكلاهما صغير يلعبان سوياً وبمرور الزمن كبرا معا وذهبت الفتاة الى المدرسة وكذا الولد وكان ذكياً فكانت البنت تذاكر مع رفيقها وهل تصلح البنت أن تكون للولد في درسه نجياً تألم الجار فمنع ولده عن لقاءها وكان أمراً مقضياً وجعل الفتى يذاكر خارجاً ولا يأتي داره إلا بغسق من الليل فيحضر ^{خبرها} فخررت اليه تعقب

عليه عتبا أخوياً ولم يك قلبه لندائها صغيا فخرجت ذات خميس إلى
مدرسته ولم تعد إلا عشيا فلما لم تجد زاجراً تابعت هواها جهلا وغيا
وفهمت أم الفتي الأمر جليفاً وحت به لأهلها عسي أن تمنع عن الخروج يومياً
فاتخذت لها بفناء الدار مكتبا أرضيا تقضى به ليلها منفردة لا جليسا ولا
وليا إلا صاحبها الذي غدا فاسقا شقيا جني على كثير غيرها وهو للشيطان
نجيا حتي اذا خطبت وكان خطيبها رجلا غنيا أبت الزواج رغبة في
العلم والأدب ظاهريا فكتبت وحررت فما كانت تجيد إلا كتابا غراميا
وعرفت الكتاب والأدباء وباتت لأسمها بالصحف مكانا عليا إلا أن مكانها
من الشرف كان ممحيا فالتجرا أبوها غرقا فرارا من العار وما أتى به إلا
تهاون وتراخي ، أما الولد وقد سمح له أبوه أن يذاكر خارج البيت
فاستغل عن الدرس وكان خبيثاً وكان عتياً فلما آانس أبوه
منه إهمال درسه رغب في تدارك الأمر بمنعه من المذاكرة خارج الدار
فأبى إلا المذاكرة مع زميل ليكونا سويا فطاوعه أبوه وأحضر له سميراً
ونجياً وحاول الوالد أن يشتد على ولده ويغلظ له القول ليجد . فكان
بغضه يمنعه عن متابعة دروسه ليفكر في وسيلة تخلصه من ربة الذل
والعبودية افتعاون مع زميله على خطة أضاعت كرامة الأب من عين
أولاده جميعا وغدا في أسرته محترماً زرياً وكان كلما اشتد قوله أكثر خروج

الولد عن حدود الادب حتي جابهه بالسب علنا وحينئذ خرج على أبيه واشتغل موكفا وساك - لوك الموظفين حتي شاعت سمعته في النصب وحازت شهرته شهرة صاحبه وأن اتسمت بينها شقة البعاد وما ذلك الا من غلطات غرسها في نفسه والده صغيرا وكبيراً ، فحقا على الوالد أن يحذر التراخي خصوصا مع البنات لانه يكسبها جرأة والمرأة الجريئة أولى بها أن تكون وقودا للسعير اذ تمسكها الجرأة من الاقدام على شتى المنكرات يساندها التراخي وليس لها والحمد لله من خلاق تدفع عنها تيار المفسدان آدابنا الشكالية لا أثر لها بالنفس لتزجرها عن أثم أوتنهاها عن منكر فعلى الوالد الحكيم أن يتخذ في تربية أبنائه السبيل الوسطي فلا تراخي ولا شدة

التربية البدنية -

قال اسكندر دumas الصغير مامناه : لو أني كنت حاكم فرنسا ما كنت أسمع اطفال دون الثانية عشرة سنة من العمر أن يأتي المدن واحتم دلي الاطفال أن يمشوا الى هذا السن في الهواء الطلق تحت حرارة الشمس في الخلاء والغابات والحقول مع الكلاب والخيول والطبيعة المجردة التي تقوى أبدانهم وكتحسن عقولهم وتمنحهم الروح الشعرية وتحرك بنفوسهم عوامل التطلع والادراك أكثر من درس جميع كتب أجرومية العالم . وفي سن الثانية عشره تقوي روح الطالب وتحدد عقلية حتي يستطيع أن يهضم وبشكل سهولة منهج التعليم بتأليفة عظيمة في مدة لا تتجاوز

الاربعة أو الخمسة أعوام إلا أنه لسوء حظ الاطفال وحسن حظ فرنسا
انى لست ملوكا وكل ما أستطيع عمله هو أن أشير بالرأى وأمحض النصيح
فأقول : يجب أن تجعل التربية البدنية للطفل هى أول أدوار حياته

واسكندر دوماس هذا كاتب فرنسي كبير زائع الصيت في بلاده
بل في انحاء العالم ولا أقواله قيمة عالية في نفوس أهلها وهو أن لم يكن
من كبار المربين وأساطين علماء التربية إلا أنه أصاب بقوله هذا ما يصيبه
أكبرهم علما وأوسعهم طائعا فان التربية ليست تلك الحركات النظامية
التي تقوم بها العالمة بين جذران المدارس كلا وأيم الله انما هي التمتع
بالمهواء الخالى من أدران الاوباء هذا المهواء الذي لاشك عند أى فرد فى
أنه اكسير القوة والصحة وقد شاهدت ذلك كثيرا إذ يبدى أنا قد أنهكنى
التعب وأضنانى التفكير فما هى الا جلسة لبرهة وجيزة على قمة المقطم
تعيد الى نشاطى وتزيدنى قوة وحركة وصفاء فى الذهن وقدرة على
مداومة التفكير . يعلم الله أنه ما استعصى على كتاب من الكتب
فصحبته الى روض من الرياض فاذا به على هين ليس به صعوبة وزال ما كان
به من تعقيد فاذا كان هذا مقدار تأثير الجو الصحو والمهواء النقى على
من جاوز العشرين فلا ريب أن تأثيره على الطفل والصغير أقوي وأفضل
وأشد فهناك الذهن الصافى والبالى الخالى والقلب الوادع والنفس المطمئنة
فليس للحواس ما ينغص عليها أن تسبح فى جنة نعيمها . ألم تر طفلا يلعب

في روض ألم تر أنه جميل وجميل جدا خفيف الروح حلو الحركات مع
نشاطها وخفة روحه . ألم تر أنه يضحك لكل شيء ، للماء والأشجار
والطير والأزهار كلهم له أصدقاء أوفياء ألم تر ذلك الطفل الذي يجري
وراء الغراب والغراب يلعبه فيقفز من هنا الى هنا ولا يرضى ان يتعد
عنه . ان أبناء الطبيعة كلهم أخوات يميلون الى بعضهم بعضا ولا تفرقهم
سوي الضغائن والاحقاد

وأن الجسم كممثل للانسان وخادم لنفسه وعقليته فلا شك أن مهمته
شاقة وصعبة جدا فلو لم يكن من المتانة بمكان لخار تحت كلسها وناء
بحملة الصعب الثقيل فيجب أن تؤسس ذلك الصرح صرح البدن
على دعائم من القوة والشدة والصلابة تعينه على تحمل أعمال الحياة وأعباء
الاشغال وأثقال المعيشة . فان لبدنك عليك حق من الغذاء والشراب والهواء
ولكل حاسة غذاء يجب أن لا تحرم منه ، غير أنني أعجب كثيرا لقوم
يبحثون عن أشهى الاطعمة دائما ولم أرهم يوما يطلبون هواء نقيا مع أن
الهواء للبدن ألزم من الطعام والشراب حتي يستطيع الفرد الصيام عنهما
أياما ولكنه لا يستطيع الصيام عن الهواء دقائق معدودات ولو أقدم على ذلك
دفع فيه تمنا غاليا هو حياته نفسها أما باقي الحواس كالنظر والسمع . وشبه
المناظر الجميلة والنفحات الشجية بفواكه لها وانظر هل الفواكه من ثمرة

للبدن فبذلك نستطيع تقدير ما يجب للسمع والابصار من الرعاية والحفاظاة
ذلك بعد أن فرضنا اهتمام الفرد بهما وتقدير فوائدهما المباشرة في الحياة

التربية المدرسية

أن التربية المدرسية هي التربية العلمية ولا أكاد أقول أن لها أساس
بأصلاح الاخلاق لانه ليس هناك في برامج التعليم ما يشعر اهتماما
بالاخلاق ويظهر أن ذلك موكل الى نفس المعلمين الذين يعلمون أن العلم
لا يحل إلا حينما كانت الاخلاق الفاضلة ولكن نظرة واحدة الى مدارسنا
تجعل الانسان يذوب حسرة وأسفا لاذأني أكاد أجزم بأنه لا يوجد
بين المعلمين في المائة يشعرون بمسئولية المعلم وأنا لا أعرف العلة في ذلك
فمنهم من يدعى أن نظامات الوزارة هي التي قضت بذلك ومن الناس
من يرى أن ذلك لجهل المعلم نفسه . فاذا كان المعلم لا يعلم قيمة مركزه
سواء تعالى عنه أو نزل أتى في كلتا الحالين ضررا على الذين بين يديه
وايكون لهذا القول نصيب من الثقة في نفوس قارئيه سأصف بعض
حركات المعلمين التي يغلب أن رآها كل من جاز دور الدراسة :

هناك معلمون يغالون في شدتهم زعما أن الشدة أكبر مساعد على
أن يعي الطالب الدرس فتراهم يقف في الفصل كالجلاد قد أمسك عصا

طويلة يقطع أصابع الأقدام وقد استعمل بعضهم (المؤثر) في ذلك عندما منعت وزارة المعارف الضرب وهوؤلاء الغلاة في الشدة لاشك أنهم جهلوا سبيل العلم لأنه لا يكون حشوا دكا بل هو شرحا وفهما

ومنهم من يقف بين تلاميذه كالفانية بين عشاقها بدلال وتيه فلا يرضي نفسه اجتهادا حتي لا يفسد هدايته أما كلامه فلا يلاحظ فيه قواعد الكلام بل قواعد (الجنتلمانية) مع مراعاة الدوكة والسيكة

ومنهم من يقف بين تلاميذه بانفة وكبرياء فكانما أشرف النروذ على حشالة قومه ولربما فيهم ويذهب من هو أعظم منه ذكاء، يشمخ عليهم بعلمه ولا يرضي منهم. ولا وإذا أجاب فبكل عظمة وإن سأل كان بكل احتقار وحضرته يرى أن عقله العظيم لا يناسب عقولهم وهو لسمة علمه يرى أن الكتاب واضح فلا يكف نفسه عنه الشرح مادام هو يفهم ذلك الكتاب والله يعلم أنه ما فهمه الا فهم (ميكانيكيا) وبالإطامة الكبرى عندما يتمسك طالب بحقه في السؤال عما لا يفهم فلقد زالت العقول وعدمت الافهام وجاءت البغال تدعى الاحلام حتي قام ذلك الطالب المسكين يطلب من معلمه توضيحا لما لا يفهم، فلقد كان المعلم يستشهد على صحة قوله بدهية بلا فير فقام طالب يسأل عما هي بدهية بلا فير هذه فاحتد عليه الاستاذ وجعل يرميه بقوارص الشتائم والسباب الا أن الطالب بعد أن أشبعه

المعلم سبارجاء ثانيا أن يوضح له ما جهل من أمر بدهية بلايفير فقال
المعلم اذا احتاجت البدهيات الى شرح قل على العقل السلام. قال الطالب اني
ياسيدى لم أسمع ببدهية بلايفير فلا أعرف منظوقها فسأل الطلبة ان
يذكر أحدهم. منظوق هذه البدهية فلم يوجد بينهم من يذكرها فما تجلى
ذلك حتي احمرت أذن المعلم من الخجل لان الواجب عليه أن يقول
لهم مالا يعرفون ثم بان جهل الاستاذ الفاضل بنفس البدهية وهنا كشف
له الطالب (الغبي) سابقا عن خطأ في ذكر هذه البدهية وبعد
قليل من المداولة بين الطالب (الغبي) سابقا ومعلمه المتكبر رجع الاستاذ
الى استئناف أقواله وهو خجل من انهزاه أمام طالب له . ولو كنت
مكانه ماعراني شيء من الخجل اذ ليس من العار أن يغفل الانسان عن
ذكر ما علم ولكن العار كل العار الادعاء بعلم ما لم يعلم . فهذا عين الجهل
والغرور . ولقد قال ابن المقفع من العلم أن تعلم انك لا تعلم مالا تعلم .

هذا وكثير من الاساتذة لا يفهمون روح تلاميذهم وعقليتهم فيتعالون
في القول ظنا منهم وزعما أنهم كلما غمضوا المعاني على تلاميذهم ظن التلاميذ
فيهم العلم وما يفيد هذا التلميذ وقد أتت المدرسة ليتعلم لا ليري ان علماء مثل
هؤلاء أن يكاف معلم تلاميذ السنة الثالثة الابتدائية كتابة موضوع
انشائي عن بيت من الشعر قد لا يدرك معناه طلبة الشهادة الثانوية
قسم ثانى وهو

شمال المال تقصر عن يميني ومعنى المجد تقصر عن شمالي
اللهم ان اضطياد معنى هذا البيت وما قصده منه قائله والذي لا تدل عليه
الفاظه لا صراحة ولا تلويحا فقيه ما فيه من أنواع البيان الصعب إدراكه
على الكثيرين ممن أجازوا القسم الثانوي فكيف يدركه طالب السنة
الثالثة الابتدائية ؟ ثم لنفرض أن حضرة الاستاذ قد قام لهم بشرحه فهل
يظن وجود القوة الخيالية التي تدرك مرامى الشعراء حتي يتعمق الطالب في
فهم البيت فيكتب عنه ، ! لله ما أجهل حضرة الاستاذ وأشد غباوته حتي
ظن في هذا ما يفيد أمثال هؤلاء الصغار ، أن المعلم الحق هو من أدرك
حقيقة روح ونفس تلاميذه فنزل اليهم لينهض بهم ويأخذ بنفوسهم فان
المعني البليغ الذي يسترعى اذجاب عالم كبير يمر عليه الصغير مر الكرام وربما
عابه ، فان لم يكن المعلم واقفا على مقدار عقول بنييه أخطأ تصوير افكاره
لهم فضلمهم ولم يزدحم الا جهلا ، اما تلك الطبقة التي تزعم أن التعمق
والمغالاة يجب أن تكون دائما حتي يظن السامع في سامعه العلم والفلسفة
فقد فاتهم أن تمام العلم يمكن صاحبه من مخاطبة كل فرد على قدر عقله
وإدراكه ولنا من النبي الكريم وصحبه خير أسرة فكم عدل عليه الصلاة
والسلام عن لهجة قريش الى لهجة القوم الذين يحدثونه ليكون أقرب
الى قلوبهم وأملك لأفهامهم بل نرا في مختلف الاحاديث قد ألبس كل قول
حال سامعه . ثم بعد هذا نري من الادعياء من يقول أن الرجل العلامة

قد أصبح لا يعرف من مبادئ علمه شيئاً ولربما يعجز عن توضيحه ! قول يدعو الى العجب والسخرية اذ العالم اللغوى إن عجز أو نسي ماهو الاسم أو الفعل كان لا يدري من اللغة شيئاً والعالم الرياضى إن غاب عنه تكوين الخط المستقيم أنهار علمه من أساسه والعالم الاقتصاد إن لم يعرف أصول الشحن ضل في علمه والمشرع إن لم يفرق بين الجائز والواجب كان واجهل سواه كما أن المعلم إن لم يلبس لكل فصل ثوبه حق عليه أن يكون من الجاهلين

أما من جهة أخلاقهم فاسمع أحدثك وإن كنت لن أعدد لهم من مثالبهم شيئاً . بل سأصف بعض حركاتهم : إذ يدخل المعلم الفصل وفي نفسه أثر من مشاجرة قامت أمس بينه وبين زوجته أو بينه وبين فرد من الناس . فتراه يرعد ويزبد ويهدر ويزجر بل يقضى الحصّة في ترديد سباب ولعنات يكيلها للبلد ومن فيها وهو وتلاميذه منهم فتتألم الطلبة من تلك الالفاظ التي تأتلفها الأدماع اثم ينسى التربية وله ما يقرب من العشرين عاماً يشتغل بمهنة التعليم فأين ما أثره . بل هو لا ينجل أن يقوم بتمثيل دور من السفاهة قد لا يصدر من أسفل الناس خلقاً

وهناك في مدارسنا الأولية : (والتعليم الاولي كما لا يخفى على أحد هو أساس التعليم والتربية دون أقل ريب . فيجب أن تكون مدارسه عبارة عن معاهد أخلاقية بحثة قبل أن تكون مدارسنا لتلقين مبادئ

القراءة والكتابة فانما حياة العلم بالاخلاق والادب) يقوم بالتدريس بها فتية وشباب هم أحوج الى التعليم من الطفل الصغير ولم يحصل لهم نصيب ضئيل من التعليم حتى أسرع وزارة معارفنا بمنحهم اجازة التعليم وأنا أرى انهم لا يعرفون شيئا حتى يقوموا بمهمتهم العظيمة على الوجه المفيد ولذا ترى أن الاطفال الارباء تدخل تلك المدارس طاهرة نقيه فتتخلع بها كل السجاياء وينقلون عن معلمهم أخلاقهم وسفالتهم وأولئك لجبايتهم لا يعلمون وقد حدثني صديق لي أنه سمع معلمين من معلمى المدارس الاولى يمزحان في فناء المدرسة ويبين الاولاد بصوت عال بالفاظ وكلمات بذئثة يستحى من النطق بها من كان أحط أسافل الرعاع . كما أنني أعرف بعضا من المشتغلين بهذه المهنة ! تراني أعاف الاحتكاك بواحد منهم ولا أرتضي لنفسي محادثة فرد فيهم الا إن اتخذت لى الحمار جايسا لسفالة أخلاقهم وفساد أحلامهم

ولما كان اغلبهم يافعون تراهم لا يشعرون بخنان الابوة أو قيمة محبة الولد فى قلب أبويه فيعاملون الاولاد بخشونة وقسوة بدون تمييز، ولكنهم غير ملمومين وخدمهم ادمت الوزارة (وزارة المعارف) قد رضيتهم معلمين بها ونصبتهم على افلاذ أكباد نامهذين وما درسوا من العلم شيئا فمن المكاتب الاولى أميرية أو أهلية الى مدرسة المعلمين الى المهنة ! مهنة التدريس نعم مهنة التعليم ، تعلم أطفالنا ، أولادنا ، رجال الغد ! ! ! وكان الواجب أن

يكون معلو المدارس الأولية من أقدر رجال علم النفس والأخلاق ذوي الخلق الطيب والتجارب الكثيرة كما يحسن أن يكونوا دائماً من الآباء الذين شعروا بمسئولية الأمانة وحنانها

أما مدارس البنات وأكثرها عندنا أولية فلا ترضي حالها ولا حال معلماتها أنفسهن وأخلاقهن وعقليتهن يكفي أن تسأل كل شاب عن أمرهن فيزيك وإن كان لا يحدثك إلا سرا ، تلك حقيقة والحقيقة مرة ولا يزيد بها الإخفاء إلا حنوا وظن من أكبر دواعي سوء حالهن نظام وزارة المعارف الذي صاغته يد أجنبية لا ترجو تفعا أو تبغى إصلاحا ، وقد نادى كثيرون بوجوب إصلاح الحال دون مصغ أو سميع . فمن دواعي صغر عقليتهن صغر مدة الدراسة التي تذبح قلة المعلومات فتكون أحداهن معلمة وهي جاهلة بأبسط المبادئ الأولية ، فاني أذكر عام أن كنت بالسنة الثانية الابتدائية وصعب على فهم مسألة حسابيه من مقرر السنه المذكورة وكان لنا جارة معلمة فذهبت إليها رجاء أن توضح لي ما غمض على في المسألة وبالإسف وجدت أنها أجهل مني (يومذاك) وكنت إذذاك تلميذ وسط فاذا كان المعلمات بهذا الشكل للزري فهل من شك فيما تصبح عليه تلميذاتهن من الجهل والغباوة وقد بات ذا أمرا محسوسا ، ومن فساد عقليتهن جهلن ما ركنهن حتى يستثن التصرف به أمام تلميذاتهن ، وتلقى إحداهن الالفاظ جذافا دون تقدير أو حساب فتبدر منها عبارة قد تكون

بذرة للشرف في نقوس بناتها ! مثل ذلك ما سمعته من أن معلمة بمدرسة راقية
كلفت تلميذاتها برسم صعب فلما شككون اليها صعوبته قالت : إنها لا تحتم
أن ترسمه التلميذة بيدها ويكفيها أن تراه في الكراسة سواء لديها كان عمل
التلميذة أو أخيها أو أحد أقاربها أو شخص آخر ؟ ١٢١

يعني : لا بأس من أن تجتهد كل تلميذة من تلميذات حضرة المعلمة
الرشيدة في معرفة من يقوم لها برسم ما تكلفها به حضرة أستاذتها ١٢١
أف لك أيتها المعلمة ، وويل لك يا مصر من أمثالها .

وقس على ذلك من كل من لا تعرف من التدريس أو التعليم سوى
قراءة الدرس وتمضية الحصة بأي شكل ، ولا ميزان عندها للالفاظ أو الحركات
حتى ترى أن حركاتها لا تفرق بينها وبين حركات الجاهلة العامية ، لأن نصيبها
من التعليم كما أسلفنا قصير لم يقو على إزالة أدران الخرافة والاهام الأهلية
أما النقص الأخلاقي فيهن فبشع معيب ، ويرجع أغلبه إلى نظام
الوزارة المقيت ، فالوزارة تحتم على كل من تقوم بمهنة التعليم أن لا تكون
في عصمة بعل ١٢١ لم ؟ ! وما الداعي لغيرة الوزارة من بعولة المعلمات ١٢١
وهل هذا له مساس بالتعليم ؟

أن الوزارة لا تخشى من زواج المعلمات إلا طور الحمل والرضاع
وهذا عذر لا يبرر هذا الأمر أو القانون أن جاز لنا أن نسمي ما يخاف
سنة الاجتماع بقانون لأن من المحال على أي فتاة أن تتبتل في سبيل خدمة

التعليم الشاقة فتحرم نفسها من التمتع بالحياة . كما أنه من الغريب أن يكون عمل التعليم قاض على الفتاة أن تحرم من الحياة العائلية التي خلقت لها . نعم عجيب جداً أن لا تتفق - في نظر الوزارة - الامومة والتعليم . لقد كان هذا القانون داع الى امتناع كثيرات من الحائزات على الكفايات والمقدرة من العمل بهذه المهنة وباتت تلك المهنة بعد ذلك وقفا علي من يضطرهن اليها طمع أو فقر أو غرور حتي تري أن أغلب المعلمات اللاتي يقبلن العمل في خدمة التعليم مضطرات الى ذلك بفقرهن أو حاجتهن الى عائل يكفل أمرهن . فمن لذلك دأبات التطلع الى الزواج وسرعان ما ينبذن المهنة ظهرياً في سبيله . وبهذا العمل تخسر الوزارة المعلمات اللاتي تمرنّ أولاً بأول ولهذا تقل عندها منهن الكفآت . زد على انهن لا يحصلن على اجازة التعليم الا وقد أعصرت الواحدة منهن أو قد دنى اعصارها فتبدأ عملها وهي تفكر فيمن سينتشلها من شقاء التدريس (كما يقلن) وان في هذا التطلع لنقصاً أخلاقياً تبعاً لنقص نفسي أثارتة عوامل داخلية : أما اللواتي يرجعن الى وظيفة التدريس بعد طلاقهن فمن غالب الظروف يظهرن من السفالة والانحطاط . اتسود منه وجه الارض فمن المحال للمرأة أن تحصن بلا رجل مع الاحتكاك

فلو فكرت وزارة المعارف في السماح للمعلمات بالزواج (١) لأحصنت فروعهن وودعت نفوسهن واستجمت قلوبهن (٢) فتهصل بذلك على

معلمات ماهرات متدربات يفدن البلاد أكبر فائدة بأخراج أمهات
مشتقات مدبرات عاقلات . وما تلك الا غاية التعليم الحقّة وما أظن أن
مسألة الحمل والرضاع بعويصة الحل ان رغبت الوزارة في الفائدة العظيمة
آئفة الذكر فتقرر منح الحامل اجازة قدرها ثلاثة أشهر أو أربعة بتبديء
من الشهر السادس على أن تكون الثلاثة الشهور الاول بنصف مرتب
والمعلمة الحق في مواصلة عملها ان آتست في نفسها المقدرة على العمل
وآدائه كالمعتاد . ولهذا يزداد عدد المعلمات احتياطيا .

وايس هناك من عار في وقوف المعلمة تحمل ولدها أمام تلميذاتها بل
في ذلك لمن نعم المثل والاسوة ولكن يجب على الوزارة أن تعد خدمات
لحمل أولاد المعلمات في أوقات دروسهن أن وجدن في صحبتهن ما يمنعن
عن القاء الدرس تماما ، وتكون الخدمات مدد مؤقتة طبعاً حتي يبلغ الطفل
سن روضة الاطفال فيحول اليها بنصف مصروفات أو يحسن بالوزارة
إنشاء روضة خاصة بأولاد المعلمات والموضوع إذا درس بتمعن تجلت ثماره
الأخلاقية والادبية العامة من اصلاح أهم عنصر له أكبر أثر
في الحياة الاجتماعية

الخاتمة

تكلّمنا فيما سبق عن بعض عيوب التربية والتعليم بين ظهرائنا في كل ما كان له مساس بموضوع الكتاب وبعد أن ثبت لنا من درج سطوره أن التربية هي أساس أعمال المرء سواء من خير وشر، والتربية من أكبر المباحث الادبية والنفسية والاخلاقية والاجتماعية يحتاج الباحث فيها إلى الاسهاب في هذه العلوم ولهذا فهي وحدها تستغرق من الباحث عدة مجلدات، أما ما كتبناه فيها فقطرة تشفي الصدى ونهلة تروي العطش فمن وعظ وارشاد لتحذير وترغيب ومن مداعبة الاطفال لملاعبة الصغار لمناجاة الشباب ومن نقد الآراء للعلماء الامهات لتعنيف المعلمين وتجريح الملمات .

الحق، هو قصدي الذي ~~يسمى به من يسمى~~ ارنجيه . حتي انه يسرني ولا يخجلني أن أسمع كلمة النقد الخالصة لوجه الحق وابتغاء الصواب ولهذا جعلت عنواني الي آخر ديسمبر سنة ١٩٢٥ بشباك مكتب بريد القلعة بمصر لمن تكرم من القراء بابداء رأيه في

(تم)

مايو سنة ١٩٢٥

القاهرة